حجر الزاوية

مجلة تعنى بالمواقع الأثرية

العدد التاسع · حزيران 2022

مدينة اللد

الكلية الأكاديمية تل-حاي
Tel-Hai College

سلطة الآثار
ISRAEL ANTIQUITIES AUTHORITY

Tel-Hai College
الكلية الأكاديمية تل-حاي

سلطة الآثار
ISRAEL ANTIQUITIES AUTHORITY

حجر الزاوية

العدد التاسع

مدينة اللد

حزيران 2022

حجر الزاوية
مجلة تعنى بالمواقع الأثرية

محرر علمي: د. وليد أطرش

محرر اللغة العربية: د. شكري عراف

محررة اللغة الإنجليزية: د. راحيل كوديش-وشدي

مركزة الجهاز: هناء عبود

الجهاز الإداري: د. حمودي خلايلة
د. كميل ساري
د. أماني أبو حميد
رافع أبو ريا
عمر زيدان
درور بارشاد
د. يوڤال باروخ

صورة الغلاف الأمامي: اللد، صورة جوية لمنطقة التنقيبات بنهاية موسم 2014 (تصوير: سكاي فيو)

صورة الغلاف الخلفي: اللد، الفيلا الرومانية، الفسيفساء المركزي (تصوير: نيكي دافيدوف، سلطة الآثار)

طباعة وتدقيق: رنين فران

تصميم الطباعة: هاجر ميمون

طباعة: ديجيفرينط زهب م.ض
© حقوق الطبع محفوظة لسلطة الآثار
ص.ب 586، القدس 91004
ISSN 2790-7155

www.antiquities.org.il
hanaa@israntique.org.il

الفهرس

مدينة اللد في عصور ما قبل التاريخ
دكتور حمودي خلايلة1

اللد القديمة: مسح تاريخي من فترة الحكم الفارسي حتى الفترة البيزنطية 11
بروفيسور يهوشع شوارتس

زيارة متكررة إلى فسيفساء اللد 25
دكتور أمير كورزلزني

إشارات لمحنة بحرية: مصاعب السفينة التجارية في فسيفساء اللد 43
دكتور إيلي هداد

سينوبيا (الرسم التحضيري) متعدد الألوان لفسيفساء اللّد من الفترة الرومانية: خصائص، أصباغ السينوبيا والدراسات المجهرية لتراكماتها الطبقية 55
بروفيسور ريبيكا بلوفيزان، بروفيسور لارا مارتن والمهندس جاك نيغور

عملية إنشاء مركز الفسيفساء الأثري في اللد على اسم شيلبي وايت وليون ليفي 67
المهندس رعنان كيسليف

عملات اللد (ديوسبوليس) خلال الفترة الرومانية 87
دكتور يوآب فرحي

اللد في خريطة مأدبا 117
دكتور وليد أطرش ودكتور غابي مازور

هل فعلاً أدّى تأسيس الرملة إلى دمار اللد؟ قصة المدينتين من خلال المكتشف الأثري 125
دكتورة حجيت طورغه

اللد في الفترة الصليبية 135
دكتور ربيع خميسة

السكان وعادات الدفن في قرية جنداس المملوكية والعثمانية على ضوء نتائج التنقيبات الأثرية في مقبرة القرية 143
فيرد اشد، روني توايج وشاحر كريسفين

اللد: الحياة اليومية في أواخر الفترة العثمانية على ضوء نتائج التنقيبات الأثرية في البلدة القديمة 155
أريولا يكوئيل، دكتور توفيق دعادلة، عمري دانتزيچر وشاحار كريسبين

صناعة صابون الزيت في الفترة العثمانية: الوسائل، المواقع والابتكارات 179
دكتور يوآب أربل

مدينة اللد صباح الجمعة 26 حزيران 1936 201
دكتور توفيق دعادلة

المشروع التربوي الأثري - التعايش المشترك في اللد 217
دانيال وينبرچر

مدينة اللد في عصور ما قبل التاريخ

دكتور حمودي خلايلة، سلطة الآثار

مقدمة

تقع مدينة اللد على الطرف الغربي لسهل اللد المنبسط الممتد على طول ضفة النهر "الكبير" الجنوبية، المعروف بوادي "أيّالون"، وتبعد حوالي 10 كم جنوب شرق مدينة تل أبيب (الشكل 1). بالرغم من أن منطقة اللد ومحيطها مروج منبسطة، إلا أنها تأسست على سلسلة هضاب من صخر الكركار وموازية لشاطيء البحر الأبيض المتوسط. يسمح ارتفاع الهضاب الطفيف لمياه الأمطار بالتدفق إلى الأودية القريبة مثل النهر الكبير المحاذي، ووادي الناطوف الذي يجري بين اللد والمطار (بن غوريون). بالإضافة إلى النهر الكبير، فإن اللد غنية بالمياه الجوفية

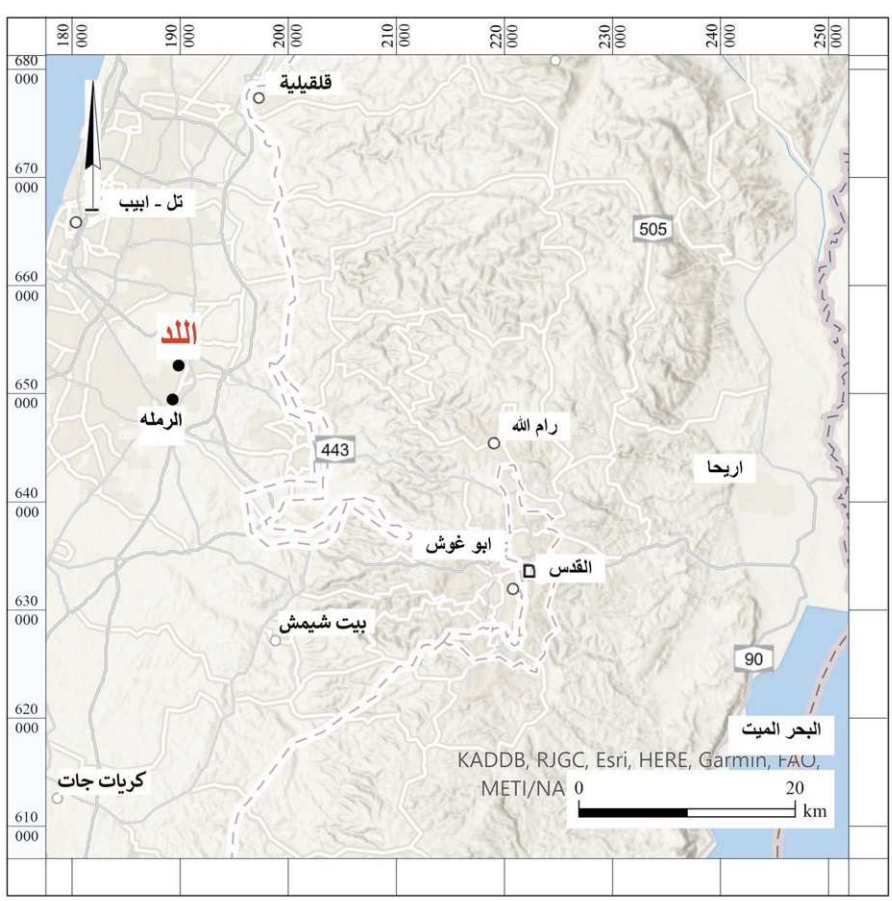

الشكل 1. مواقع مشروع تنقيبات كابلان.

العذبة القريبة من سطح البحر، وذلك لوقوعها على شرق الحاجز الباطني، بين المياه العذبة والمياه المالحة القريبة من شاطيء البحر الأبيض المتوسط.

كما ذكرنا، تحيط بمدينة اللد مروج واسعة، واهمها مرج اللد الذي يمتد بين المدينة وبين الهضاب المنخفضة الوسطى "الشفيلا". تتميز هذه المروج بتربة خصبة طينية، عميقة وغنية بالكالسيوم المناسب لمعظم أنواع المحاصيل الزراعية النموذجية في البلاد، وأشهرها زراعة الحبوب وبيارات الحمضيات وكروم الفاكهة.

ساعد موقع المدينة المتميز، بمحاذاة مصادر مياه وفيرة، وموارد زراعية غنية على الاستيطان المستمر فيها منذ العصور القديمة وحتى يومنا هذا. ومع ذالك كان لموقعها في منطقة سهلية تأثير سلبي، منعها من تأمين منظومة دفاعية للدفاع عن أمنها، لذلك كانت مدينة مريحة للغزوات المتكررة.

تشير الاكتشافات الأثرية أن الاستيطان في اللد ابتدأ قبل حوالي 9,000 عام، خلال العصر الحجري الحديث ما يسمى أيضًا بالعصر النيؤوليثي. اقيمت نواة المستوطنة يجانب مجرى النهر الكبير، في الطرف الشمالي الشرقي لمدينة اللد الحديثة. تم الكشف خلال التنقيبات الأثرية في نواة المستوطنة عن العديد من الطبقات السكنية، الواحدة فوق الأخرى، والتي تشير إلى استمرارية واستقرار الاستيطان فيها عبر كل الفترات التاريخية. تضمنت طبقات الاستيطان بقايا معمارية عامة وخاصة، مواد ثقافية متنوعة، أواني محمولة من مواد مختلفة، مقابر وموجودات أخرى تساعدنا في تحديد جيل هذه الطبقات، وكذلك تحليل الأسس الحضارية والاقتصادية لكل حقبة من هذه الحقب العريقة.

اللد في العصر الحجري الحديث (8,500–5,500 قبل الميلاد)

زودتنا نتائج التنقيبات في النواة القديمة (التي تقع معظمها في الحي الشرقي لمدينة اللد الحديثة) بمعلومات قيّمة حول هذا الموقع متعدد الطبقات، والذي تضمن طبقات تحتوي على مكتشفات من أربعة عصور: العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار، العصر الحجري الحديث الفخاري، العصر النحاسي والعصر البرونزي القديم. يمكننا الجزم أن بداية استيطان الإنسان القديم في اللد كان منذ حوالي 9,000 عام، خلال العصر الحجري الحديث، عندما تخلى الإنسان عن نمط حياة التجوال "الصيد والبقل"، وانتقل إلى حياة استقرار، فقام ببناء مستوطنات ثابتة، واعتمد في معيشته على الزراعة البدائية بعد أن دجّن الحبوب، البقوليات وأصنافًا عديدة من الحيوانات.

عُثر أثناء التنقيب الأثري عام 1996 (بإدارة عالم الآثار أدوين فان دن برينك) على أقدم مخلفات ثقافية في اللد، يعود تاريخها إلى العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار. لكن اتساع المستوطنة كان خلال الفترة المتأخرة من العصر الحجري الحديث الفخاري، وقدرت مساحتها بعشرات الدونمات. نظرًا لأهمية الاكتشافات الأثرية هذه في اللد، فقد تميزت بعض الموجودات وسميت "بالحضارة اللّدية"، كوصف لحضارة ثقافية نموذجيًه عثر عليها لاحقًا في العديد من مستوطنات العصر الحجري الحديث الفخاري.

تقلصت مساحة المستوطنة خلال العصر النحاسي وبلغت مساحتها أقل من نصف دونم، واتسعت مرة ثانية خلال العصر البرونزي القديم، وتحولت إلى مدينة مركزية محصنة، ومحطة تجارية مهمة عن طول طريق البحر، وأسس فيها الفراعنة المصريون مركزًا إداريًا. لكن قبل المضي قدمًا في وصف الاكتشافات، سأقدم لكم جدول التسلسل الزمني للعصر الحجري الحديث وحضاراته المختلفة كما هو مقبول في جنوب بلاد الشام، مدعّم بعشرات التواريخ الدقيقة المستخرجة عن طريقة الكربون 14 (الجدول 1).

الجدول 1. طبقات الاستيطان في اللد خلال العصور القديمة

الطبقة	العصر	التاريخ ق.م.	الحضارة	الموقع
3	العصر البرنزي القديم	3800–2600		جميع نقاط التنقيب
4	العصر النحاسي	4800–3800	الغسولية	جميع نقاط التنقيب
5	للعصر النيوليثي الفخاري "ب" المتأخر	5500–4800	وادي رباح	جميع نقاط التنقيب
6	العصر النيوليثي الفخاري "أ" القديم	6400–5500	أريحا XI اليرموكية	جميع نقاط التنقيب
7	العصر النيوليثي ما قبل الفخار "ب"	8500–6400		تنقيب فان دن برينك عام 1996

التنقيبات الأثرية واكتشاف المستوطنة من العصر الحجري الحديث

تم إجراء العديد من التنقيبات الأثرية في اللد، والعديد منها في الحي الشرقي، والمعروف اليوم بحي الخضراء "نڤي ييرك" بالقرب من "بئر الزئبق". يقع في الطرف الشرقي للحي إستاد اللد القديم وبجانبه تلة منخفضة هي النواة التي أقيمت عليها مدينة اللد التاريخية. خلال التنقيبات الأثرية تم الكشف عن بقايا معمارية وموجودات محمولة تشير أن الاستيطان خلال العصور الحجرية استمر لأكثر من خمسة آلاف عام.

ابتدأ البحث الأثري عام 1950 في النواة القديمة لمدينة اللد، بعد نشر نتائج المسح الأثري الذي أجراه الباحث أوري في نهاية سنوات الثلاثين من القرن الماضي. كان الأثري كاپلان هو الرائد بأعمال التنقيب في الجزء الشمالي من المدينة بمحاذاة التلة، لكنه لم يتمكن من تحديد منطقة تنقيب واحدة لكثرة المباني السكنية الحديثة هناك. بعد مسح مكثف للمنطقة، وجد كاپلان مساحة أرض تستخدم سوقًا للحيوانات، فيها ابتدأ أعمال التنقيب. تقع هذه المنطقة شمال التل البارز، وحدد فيها كاپلان ثلاث مناطق تنقيب (A,B,C; الشكل 2) واخرى (D) على بعد حوالي 250 مترًا إلى الشمال. تبيّن من مذكرات كاپلان التي نُشرت مؤخرًا، بأن تحديد مناطق التنقيب كانت مدروسة وغير عشوائية، حدد موقعها بعد أن شاهد على الأقل ثلاث طبقات أثرية في قاطع عميق حفر لبناء أنبوب تصريف المياه العادمة. استمرت أعمال التنقيب لمدة سنتين، خلالها تم اكتشاف أربع طبقات استيطان، أقدمها (الطبقة الأولى)، تأسست مباشرة فوق صخر الكركار، وتميزت بعدد كبير من الحُفَر، عمقها يزيد عن المتر الواحد والتي حُفرت في صخر الكركار الطبيعي، عُثر بداخلها على موجودات ثقافية نموذجية للعصر الحجري الحديث الفخاري القديم (حضارة أريحا التاسعة)، ولم تُلاحظ أية بقايا معمارية. فوقها الطبقة الثانية، طبقة من التربة الطينية، حفر فيها حُفَر أو تجويفات ضحلة وعُثر في داخلها على شقف أواني فخارية وأدوات صوانية من العصر الحجري الحديث الفخاري المتأخر (حضارة وادي رباح). فوقها الطبقة الثالثة، طبقة من العصر النحاسي. وفي منطقة التنقيب (B) كانت الطبقة الرابعة، وعُثر فيها على مخلفات من العصر البرونزي القديم. إن التقرير الأثري الذي كتبه كاپلان في رسالة الدكتوراة، كان بمثابة دليل قاطع ودقيق لأقدم استيطان مؤرخ إلى العصر الحجري في اللد. منذ ذلك العصر وحتى يومنا هذا استمر الاستيطان في اللد، كما تبين في التسلسل الطبقي شمال النواة القديمة، وخصوصًا في منطقة التنقيب (B).

بعد أعمال التنقيب التي قام بها كاپلان عام 1950 لم يجرِ في اللد والمناطق المجاورة لها أي بحث أثري حتى بداية سنوات التسعين من القرن الماضي، فيها شهدت اللد نهضة عمرانية كبيرة وتوسعت نحو النواة القديمة. ومنذ سنة 1992، ولمدة عقد كامل، أجري أكثر من 11 تنقيب إنقاذ في النواة القديمة ومحيطها على مساحة تقدر بحوالي 40 دونمًا. عُثر خلال مشاريع التنقيب على الضفة الغربية للنهر الكبير، في معظم الطبقات السفلى عن مخلفات من العصر الحجري الحديث المتأخر.

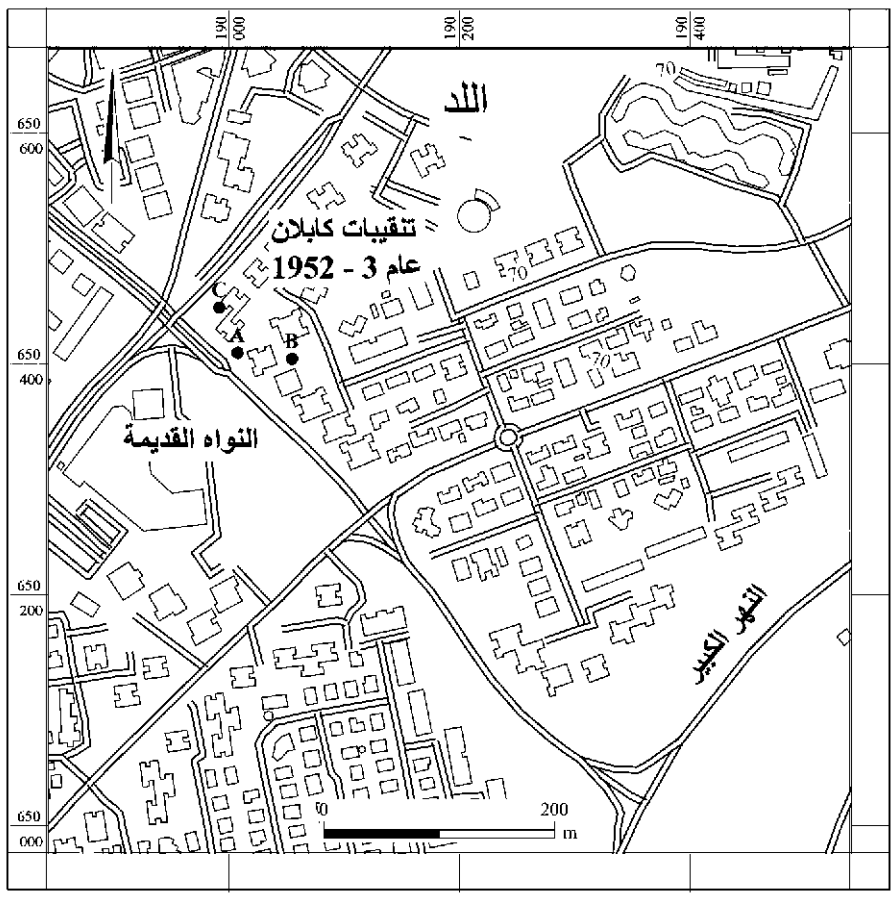

الشكل 2. اللد، خريطة نقاط تنقيب كابلان في بداية سنوات الخمسين (بعد أبراهم غوفر 2017).

في أوائل عام 1991م، أجرى الأثري أفراهم چوفر وتلميذه روزنبرچ من المعهد الأثري لجامعة تل ابيب تنقيب إنقاذ على بعد حوالي 200 متر شمال منطقة (C) التي نقب فيها كابلان، واستمر التنقيب حتى نهاية عام 1992. عُثر خلالها عن طبقات استيطان دون انقطاع، بداية من العصر الحجري الحديث الفخاري القديم وحتى الفترة الإسلامية المبكرة. في عام 1995 أجرى كاتب هذه المقالة وأفراهم چوفر تنقيب إنقاذ في حي الخضراء "نفي ييرك" وعلى بعد 250 مترًا شمال منطقة الحفر الأولى لأفراهم چوفر (الشكل 3)، بعد أن دمرت الأدوات الميكانيكية الطبقات العليا وتوقفت فوق طبقات العصر الحجري الحديث. في نفس السنة قامت الأثرية مريم أفيسار التابعة لسلطة الآثار بالكشف عن فسيفساء فيلا رومانية من القرن الثالث للميلاد أقيمت على ما يبدو، فوق طبقة سكنية مؤرخة للعصر الحجري الحديث الفخاري.

قام الأثري ادوين فان دن برينك التابع لسلطة الاثار في بداية عام 1996 بالتنقيب في منطقة تقع على بعد حوالي 200 متر شرقي تنقيبات كابلان. وكشف عن سبع طبقات سكنية: ثلاث طبقات من العصر الحجري الحديث، ثلاث طبقات من العصر البرونزي وطبقة من العصر الحديدي. الاكتشاف المميز في هذا التنقيب، عُثر داخل حُفر نحتت في صخر الكركار على أدوات صوانية نموذجية للعصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري، قبل حوالي 8,500 سنة، وتشير هذ الأدوات إلى أن الإنسان القديم سكن اللد قبل حوالي 1,000 سنة، مما كان متفقًا عليه.

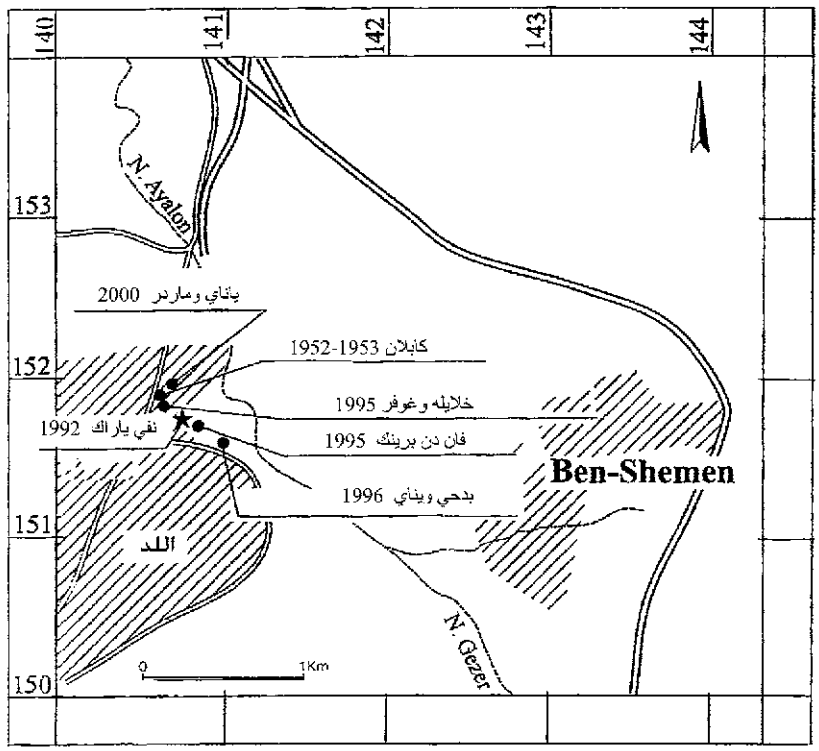

الشكل 3. اللد، خريطة نقاط التنقيب في النواة القديمة (بعد أبراهم غوفر 2017:182).

أجرى الأثريان رضوان بدحي وإيلي ياناي عام 1996 تنقيب إنقاذ من قِبَل سلطة الآثار في قطعة أرض خاصة، قريبة من منطقة تنقيبات كابلان. تم حفر قاطع طولي وبجانبه مربع بمساحة 50 متر مربع، ووصل لعمق ثلاثة أمتار حتى الصخر الطبيعي. تم الكشف عن بقايا ست طبقات استيطان: طبقتان من العصر الحجري الحديث الفخاري القديم، طبقة من العصر النحاسي وثلاث طبقات من العصر البرونزي القديم. وتشير الأواني الفخارية التي استخرجت من الطبقة السادسة إلى انتمائها للحضارة اليرموكية، أما الطبقة الخامسة فقد انتمت إلى حضارة اريحا XI. لم تُكتشف أي سمات معمارية، لكن الأواني الفخارية والأدوات الصوانية النموذجية ساعدت في التمييز الطبقي والزمني لهذه الطبقات.

في عام 1997 قام الأثري فان دن برينك بأعمال تنقيب في قاطع آخر كشف عن طبقة استيطانية فوق صخر الكركار يعود تاريخها إلى العصر الحجري الحديث الفخاري القديم، حضارة أريحا XI. وفي عام 2000 ترأس الأثريان إيلي ياناي وعوفر ماردر بعثة أثرية من قِبَل سلطة الآثار، لإجراء تنقيبات إنقاذ مكثفة في ملعب كرة القدم القديم الواقع شمال شرق النواة القديمة للد، وكانت نتائج التنقيب الكشف عن ثلاث طبقات استيطان: طبقة من العصر الحجري الحديث الفخاري "أ" (حضارة أريحا XI)، طبقة من العصر الحجري الحديث الفخاري "ب" (حضارة وادي رباح)، أما الطبقة الثالثة فمن العصر البرونزي القديم.

منذ ذلك الحين وحتى عام 2011، أجريت ثلاثة تنقيبات محدودة في المنطقة الواقعة بين ملعب كرة القدم ومنطقة تنقيب كابلان القديمة، ولم ينتج منها تغيير كبير في التسلسل الطبقي والثقافي المعروف من نتائج التنقيبات السابقة، باستثناء عدد قليل من القبور التي وجدت في طبقة الاستيطان العليا التابعة للعصر الحجري الحديث، حضارة وادي رباح.

المخلفات الثقافية المتنقلة

أواني الفخار

مصدر مجموعة أواني الفخار من المواقع التي حفرت خلال نصف قرن، وأهمها تنقيبات كاپلان، چوفر، ڤان دن برينك وتنقيبات ياناي وماردر الواسعة عام 2000. صنعت الأواني الفخارية التي كانت شائعة في هذه المواقع والمؤرخة للعصر الحجري الحديث الفخاري باليد، دون استخدام الدولاب، وزينت بخطوط عريضة باللون الأحمر. تميزت هذه المجموعة بكثرة الأواني المفتوحة التي شكلت أكثر من ٪70 من مجموع الأواني الفخارية، بينما كانت نسبة الأواني المغلقة أقل من ٪30. كانت قواعد الأواني مسطحة وبعضها زين بالإبهام. تمتاز الأواني الفخارية اللدية بتنوع أصنافها، مما جعلها مميزة ونموذجية للعصر الحجري الحديث الفخاري، وهي مشابهة إلى حد كبير لأواني فخار أريحا (الطبقة XI) من الألف السادس قبل الميلاد، ومشابهة بشكل كبير لمجموعات الأواني الأخرى التي عُثر عليها بمواقع معاصرة في جميع أنحاء البلاد.

تشكل الصحون والطناجر حوالي ٪40 من الأواني، وتتميز بجدرانها المستقيمة والقواعد المسطحة. ولكنه هنالك بعض الصحون ذات الجدران المنفرجة (الشكل 4: 2) وبعضها الآخر ذات الجدران المقوسة (الشكل 4: 1).

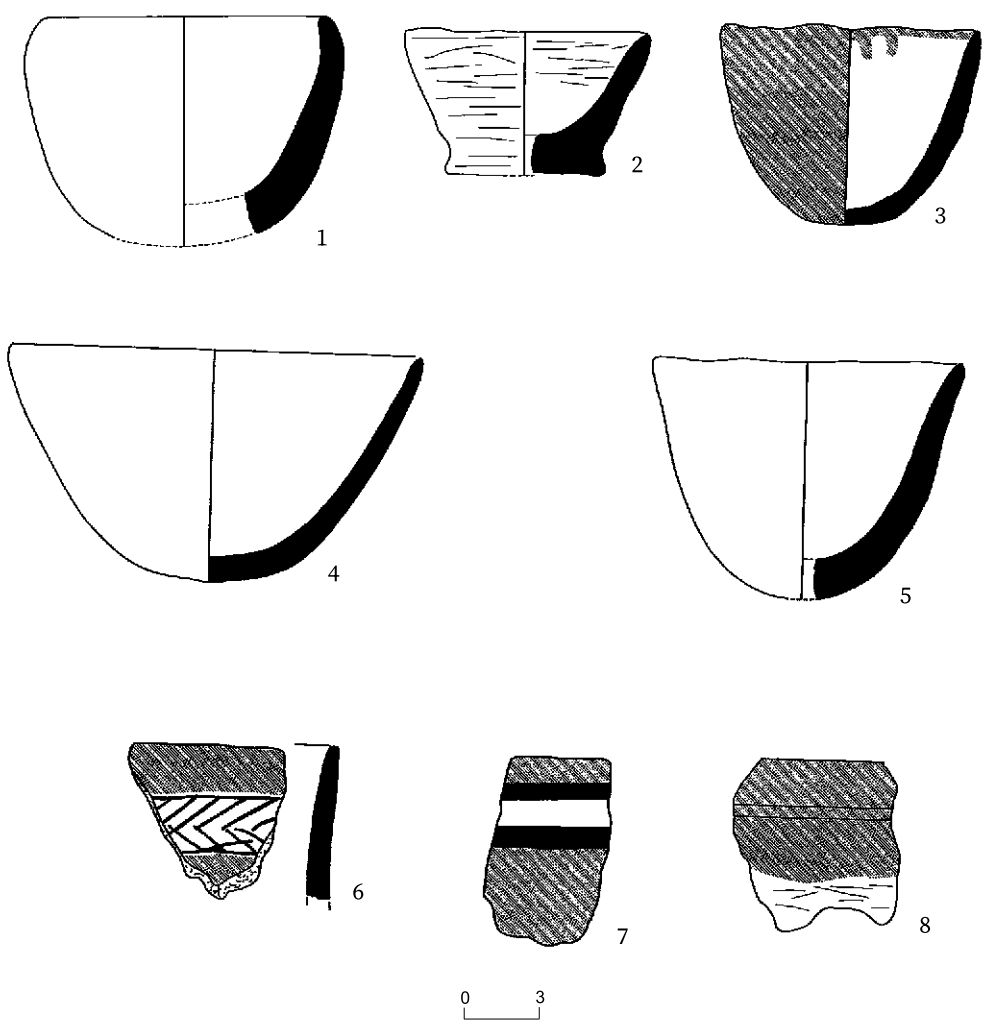

الشكل 4. اللد، مجموعة صحون وطناجر من العصر الحجري الحديث الفخاري (بعد دمج من أبراهم غوفر 2017).

زيين سطحها الخارجي باللون الأحمر وهناك بعض الأواني التي زيّن سطحها الخارجي باللون الأحمر المصقول وكذلك سطحها الداخلي (الشكل 4: 5–7). مقابض الأواني ليست شائعه ومعظمها من صنف المقابض المثقوبة التي ألصقت في وسط الإناء. هنالك أيضًا صحون دائرية نصف كروية تشبه الفنجان (الشكل 4: 7)، بعضها مزخرف باللون الأحمر من الداخل والخارج.

أما الجرار فتشكل ما يقارب 40٪ وتنقسم إلى صنفين: جرار بدون عنق وأخرى ذات عنق مرتفع (الشكل 5). الجرار بدون عنق، جرار كبيرة ذات فوهة واسعة، جدرانها سميكة وحافاتها مستديرة. زخرفت جدرانها الخارجية

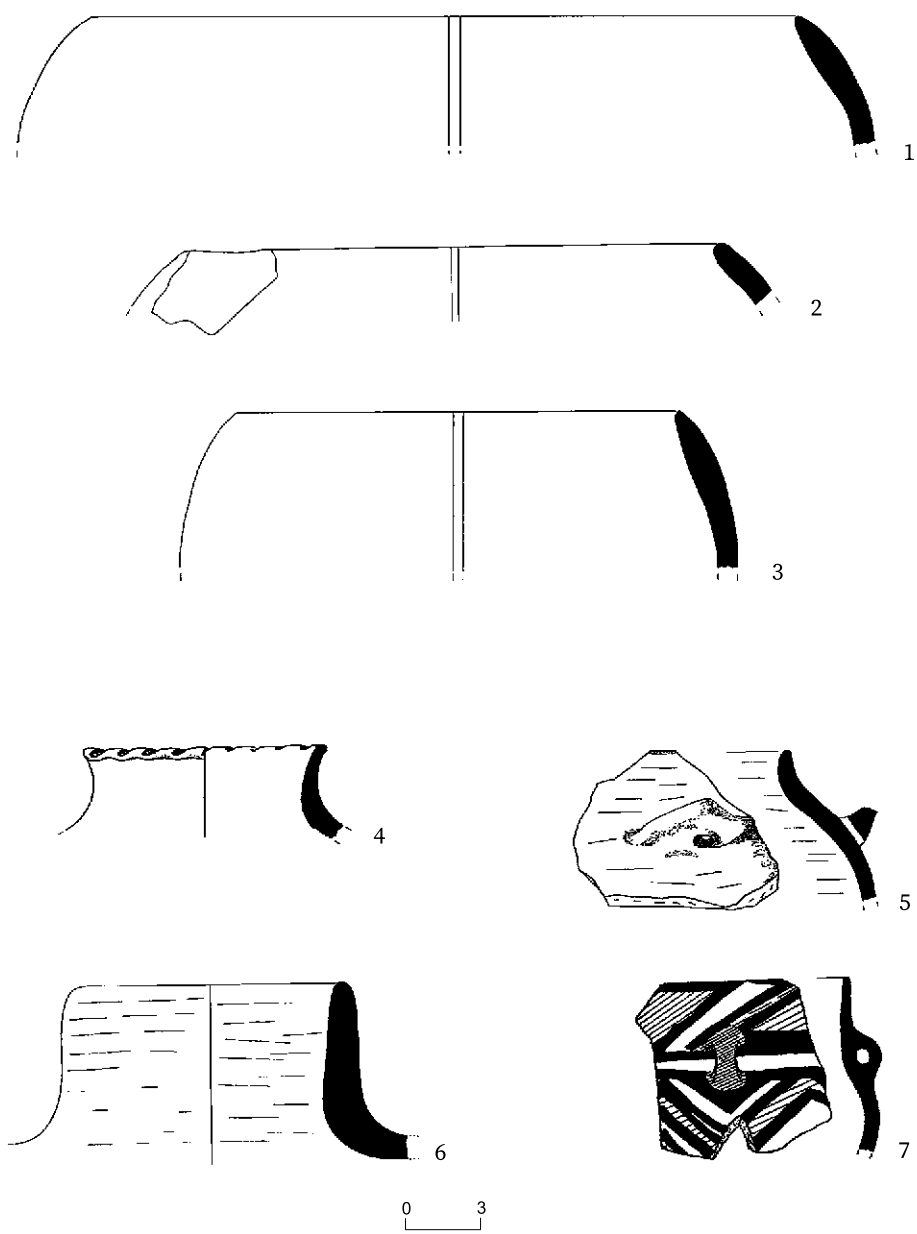

الشكل 5. اللد، مجموعة جرار من العصر الحجري الحديث الفخاري (بعد دمج من أبراهم غوفر 2017).

بخطوط عريضة طُليت باللون الأحمر، وبعضها زُخرف بأشكال هندسية تشبه الهيكل العظمي للسمك وتحيطها خطوط حمراء (الشكل 5: 1–3).

الجرار ذات العنق المرتفع، كروية الشكل، قواعدها مسطحة (الشكل 5: 4–7) وتمتاز بزوج من المقابض الحلقية الملتصقة بين الكتف والعنق (الشكل 5: 5، 7)، وزخرفتها مشابها لزخرفة الجرار دون العنق.

الأدوات الصوانية

تشتمل الأدوات الصوانية على رؤوس الأسهم، شفرات المناجل، أدوات قطع وقص مثل البلطات، ومجموعة متنوعة من أصناف أدوات محلية. تمتاز رؤوس الأسهم التي اكتشفت في مواقع اللد بحجمها الصغير، لا يزيد طولها عن 3 سنتمتر. وقد كانت مقشرة جيدًا بشظايا دقيقة أنتجت عادةً بالضغط وليس بالكسر، وعادة تنتج بعد تسخين الصوان ومصنوعة من قبل خبراء. رؤوس الأسهم الشائعة هي من صنف "هبرسا" التي تشبه رؤوس أسهم من صنف أريحا، ولكنها صغيرة الحجم، وكذلك تشبه صنف "نتسانيم" ورؤوس أسهم "العاموق" (الشكل 6: 1–3). أما شفرات المناجل الشائعة في هذه الحقبة فهي الشفرات المستطيلة والعريضة والسميكة ذات الأطراف المبتورة، وأنتجت عادةً من سكاكين صوانية سميكة، ولكن بعضها أنتج من شظايا صوانية سميكة. الشيء الذي يميز شفرات المناجل اللدية، طريقة معالجة سطحها الخارجي، وقشرت بإتقان بطريقة تقشير بالضغط (الشكل 6: 4–7). الشفرات المناجل الأكثر شيوعًا في اللد هي شفرات المناجل ذات الحافات المسننة بتسنين ناعم، ولبعضها حافات مسننة بتسنين عميق، ويظهر بريق لامع على حافتها من كثرة الاستخدام.

أما أدوات القطع السائدة في اللد فهي البلطات ذات التفصيل الجيد والحافات العريضة والمصقولة (كتلك الظاهرة في الشكل 7: 1–3). هذا بالإضافة إلى أدوات قطع من أصناف مختلفة وفقًا لنوع القطع، وتشمل هذه الأصناف أدوات حجرية مختلفة، على سبيل المثال، أدوات التقشير، القشاطات، المخارز، ومجموعة كبيرة ومتنوعة من أدوات النقر.

الخلاصة

أشارت نتائج التنقيبات المختلفة في مدينة اللد على أن استيطان الإنسان الحجري كان مستمرًا لمدة تقدر بحوالي 5,000 عام، منذ نهاية العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (نهاية الألف السابع قبل الميلاد) وحتى نهاية العصر البرونزي المبكر (حوالي الألف الثاني قبل الميلاد). تبين من أعمال التنقيب أن الإنسان القديم أقام أول مستوطنة على هضبة منخفضة جنوب غرب النهر الكبير. هناك أقام مواقع من أكواخ مؤقتة، ومارس الزراعة البدائية والصيد. فيما بعد أقام مستوطنة دائمة امتدت جنوبًا مؤسسًا بهذا أقدم تسلسلًا استيطانيًا، وهو تل اللد.

كان الاستيطان خلال العصر الحجري الحديث (الألف السادس قبل الميلاد) في اللد مميزًا للغاية، غني بالكثافة السكانية والمخلفات الحضارية إلى درجة أن الباحث أفراهم چوفر - قام بتحديد حضارة مميزة تدعى "الحضارة اللدية" الموازية لحضارة أريحا تسعة، والتي هيمنت على منطقة الساحل ووصلت حتى مرج ابن عامر شمالًا. تتميز هذه الحضارة بالأواني الفخارية ذان القواعد المسطحة، الفوهات الواسعة والمزخرفة بالخطوط الحمراء العريضة. أما رؤوس الأسهم في هذه الثقافة فقد تميزت بحجمها الصغير، أما الشفرات المنجلية السميكة فقشرت بتقنية الضغط، مما يشير على أن منتجيها كانوا من الحرفيين المختصين.

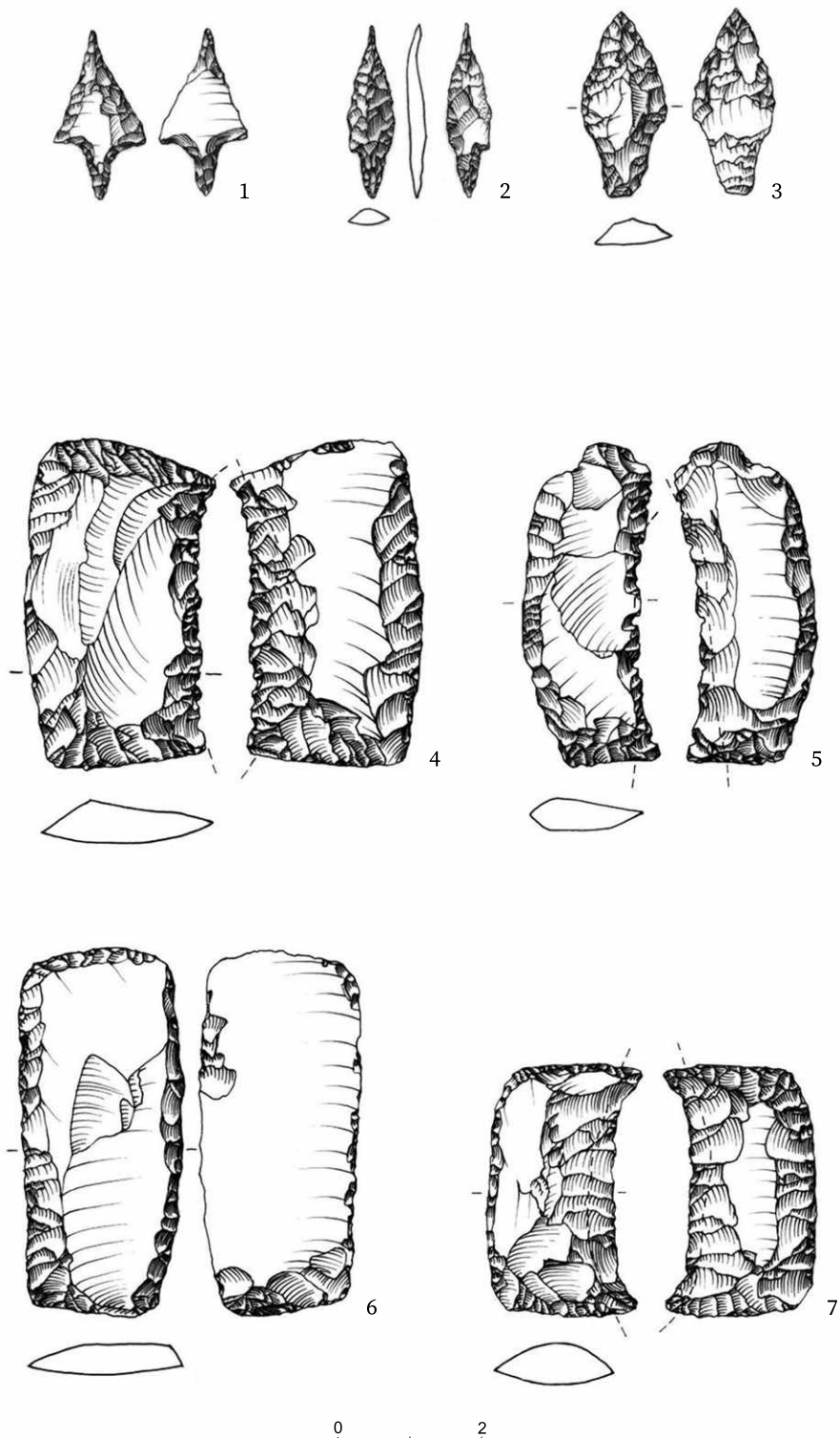

الشكل 6. اللد، مجموعة أدوات صوانية من العصر الحجري الحديث الفخاري: 1–3 رؤوس اسهم، 4–7 شفرات مناجل.

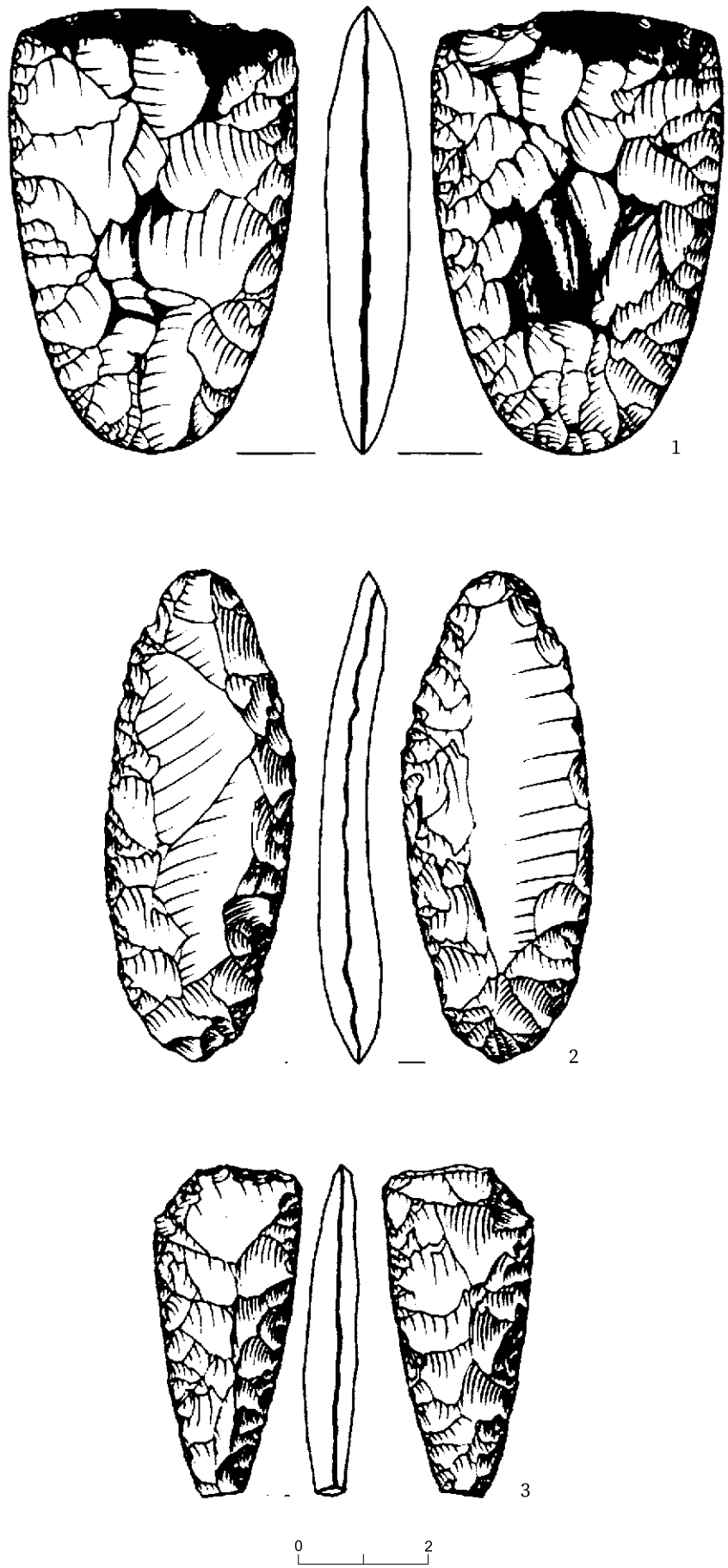

الشكل 7. اللد، أدوات قطع صوانية "البلطات".

اللد القديمة: مسح تاريخي من فترة الحكم الفارسي حتى الفترة البيزنطية

بروفيسور يهوشع شوارتس، جامعة بار إيلان
ترجمة الدكتور وليد أطرش، سلطة الآثار

مقدمة

تم تحديد تاريخ مدينة اللد أولاً، وقبل كل شيء، من خلال موقعها. تقع المدينة بالقرب من الضفة الجنوبية لنهر أيالون (وادي الكبير)، وبالقرب من تقاطع طرق هام، خاصة على طول الفرع الشرقي لطريق البحر أو طريق ڤيا ماريس (Via Maris) التي تربط مصر مع سوريا وبلاد ما بين النهرين. وتقع اللد في **"حوض اللد"** وهي محصورة بين حوضي نهر العوجا (اليركون) وسهل سارونة (الشارون) في الشمال وسهل يهودا الساحلي في الغرب. جنوب اللد وجنوب غربها يمتد السهل الساحلي الجنوبي، بينما في جنوبها الشرقي توجد تلال الجزر. شرقي حوض اللد تمتد جبال السامرة الجنوبية ومنطقة جمزو. البيئة العامة في اللد غنية بالموارد المائية والتربة الخصبة نسبيًا والطقس الجميل. كل هذه العوامل مجتمعة معًا جعل مدينة اللد نفسها موقعًا جذابًا للاستيطان.

مدينة اللد القديمة ليست مماثلة للمدينة الحديثة. أفضل رسم لحدودها رسمه ج. أوري من دائرة الآثار خلال فترة الانتداب البريطاني. الاكتشافات الأثرية وتفسيرات المصادر التاريخية غيرت مع مر السنين معرفتنا عن المدينة.

ثلاث مناطق من اللد الحديثة يعود تاريخها إلى فترات قديمة. أصغر منطقة هي تل اللد، والذي لا يبدو كما كان في الماضي مأهولًا بالسكان في عصور ما قبل التاريخ، وعثر فيه أيضًا على طبقات أثرية من العصرين الحديد والبرونز. ولكن خلال الفترات الهلنستية والرومانية والبيزنطية كان التل غير مأهول بالسكان، على الرغم من اكتشاف بعض النشاط الصناعي خلال الفترتين الرومانية البيزنطية. إلى الجنوب من هذه المنطقة توجد **"المدينة القديمة"**، وهي أكبر منطقة في المدينة، والتي كانت جزءًا من المدينة في الفترات الهلنستية والرومانية والبيزنطية. كانت منطقة شمال تل اللد مأهولة، على الأرجح، حتى القرن الثالث الميلادي. نظرًا لعدم وجود مصادر إدارية قديمة تتناول هذه الحدود، فمن المستحيل أن نعرف على وجه اليقين أي مناطق تابعه لمدينة اللد وأي مناطق تعتبر من ضواحيها. هناك دائمًا احتمال أن تكون **"الضواحي"** جغرافيًا جزءًا من المدينة في وقت أو آخر.

الفترة الفارسية (538–332 قبل الميلاد)

لا نعرف شيئًا عن مدينة اللد في الفترة الفارسية على الرغم من ذكرها في قائمة الأماكن التي سكنها اليهود أثناء عودتهم إلى صهيون، في بداية الفترة الفارسية، ولكن هناك شكوك في مصداقية هذه القوائم. ورد ذكر مدينة اللد أيضًا في قائمة مدن سبط بنيامين في الفترة الفارسية، ولكن في هذه القائمة لا توجد معلومات مفصلة وواضحة، ومن المحتمل أن تاريخ القائمة ليس من الفترة الفارسية، حتى على الرغم من أن سفر أخبار الأيام الأول الإصحاح الثامن (الأنجيل في العهد القديم) يشير إلى هجرة اليهود من بنيامين إلى اللد وضواحيها خلال حكم يوشيا ملك

يهودا (641–609 قبل الميلاد) أو حتى قبل ذلك، في زمن أماصيا، ملك يهودا (797–796 قبل الميلاد). لكن من المستحيل معرفة ما إذا كانت هذه المستوطنات اليهودية، التي لم يتم التأكد من هويتها، قد نجت من الاحتلال البابلي.

حاول الباحثون إعادة تصوّر صفات التركيبة السكانية في اللد بناءً على وضعها الإداري. ومع ذلك، من الصعب تحديد ما إذا كانت تابعة إلى يهودا أم الى السامرة وليست يهودية. لا توجد طريقة لمعرفة ما إذا كانت هذه الطريقة صحيحة حيث لا تتوفر معلومات إضافية. يعتقد معظم العلماء أن اللد كانت تحت الحكم الإداري التابع للسامرة، ولكن كما ذكر سابقًا، فإن هذه الحقيقة لا تساعد كثيرًا في إعادة بناء تاريخها. النتيجة المحزنة أننا لا نعرف شيئًا عن اللد في الفترة الفارسية.

اللد في الفترة الهلنستية (332–37 قبل الميلاد)

لسوء الحظ، لم يتغير هذا الوضع في المراحل الأولى من الفترة الهلنستية. لم يرد ذكر اللد في أي مصدر مكتوب ولا توجد معلومات أثرية ذات صلة بالموضوع. يمكن للمرء أن يفترض فقط أن اللد بقيت تحت الحكم الإداري التابع للسامرة. على الرغم من ذلك، فمن المحتمل أنه بغض النظر عن التكوين الديموغرافي أثناء الحكم الفارسي، وفي مرحلة ما خلال الفترة الهلنستية، ازداد الوجود اليهودي في اللد ومحيطها، وحتى عام 152 قبل الميلاد، أصبحت اللد ومحيطها (في الغالب) يهودية، بالرغم من وجود مستوطنات غير يهودية في ظهيرها. يمكن العثور على دليل لهذا الادعاء في اقتراح ملك الدولة السلوقية ديميتريوس الأول (161–150 قبل الميلاد) إلى **"الأمة اليهودية"** بفصل مقاطعة اللد عن السامرة وضمها إلى يهودا، جنبًا إلى جنب مع المنطقتين المتاخمتين لها رَمَتاييم (عرب أبو كشك) وعَفَريم (الطيبة). حتى إذا افترضنا أن ديميتريوس فقط أراد الفوز في تأييد اليهود وقائدهم يونتان في صراعه ضد منافسه على العرش، ألكسندر بالاس (152–145 قبل الميلاد)، من غير المحتمل أنه كان يمنح السيطرة اليهودية على مناطق ذات أغلبية ديمغرافية ليست يهودية. يونتان و**"الأمة اليهودية"** رفض عرضه لأنهم شكّوا في صدق ديمتريوس الأول. بقيت اللد جزءًا من السامرة، لكن ليس لوقت طويل، لأن يونتان كان يُحدّق بها وفي المقاطعتين الأخيرتين.

في عام 145 قبل الميلاد، بعد أن عين يونتان كرئيس للكهنة من قبل ديميتريوس الثاني (145–139 قبل الميلاد و129–125 قبل الميلاد)، ابن ديميتريوس الأول، وبعد وفاة الإسكندر بالاس، طلب يونتان **"فرصة ثانية"** وعرض أن يدفع لديمتريوس ثمن اللد والمناطق الأخرى وتمت الموافقة على طلبه. هذه الحقيقة تعزز الافتراض بأن اللد والمناطق الأخرى كانت يهودية. امتثل الملك لطلبه وتمت أيضًا موافقة أنطيوخس السادس (148–138 قبل الميلاد) ابن ألكسندر بالاس، المنافس على العرش، الذي حاول تجاوز ديميتريوس الثاني ومنح اللد ومناطق أخرى الى ملكية يونتان الخاصة.

على الرغم من أن اللد كانت عاصمة **"توبوركيا"** في يهودا، إلا أنها لم تكن پوليس ولم يكن مخططها العمراني أو مبانيها كما هو معتاد في البوليس الهلنستي. من المعقول أن نفترض وجود ساحة مركزية في اللد في ذلك الوقت، ومن المحتمل أنه كان هناك مبنى حضري مركزي في تلك الساحة، بطريقة أو بأخرى. للأسف، علم الآثار لم يزودنا بمعلومات عن مظهر المدينة في الفترة الهلنستية.

ليس لدينا أي ذكر آخر للد، سواء للمدينة نفسها أو لظهيرها، حتى نهاية الفترة الهلنستية. ليست لدينا طريقة لمعرفة ما حدث في المدينة في ذلك الوقت، على الرغم من أن جزءها الخلفي أو ظهيرها أصبح على ما يبدو يهوديًا. هل كانت المدينة وظهيرها بمثابة منطقة خاصة للحشمونئيم أم أنها عادت إلى دولة الحشمونائيم؟ إذا أصبحت المدينة ملكية خاصة للحشمونئيم، فمن المحتمل أن تكون قد نُقلت منهم إلى **"الشعب اليهودي"** بواسطة يوليوس قيصر عام 47 قبل الميلاد، بعد فترة انتقالية قصيرة عادت خلالها إلى السامرة في زمن بومبي

(63 قبل الميلاد). هل لهذه اللعبة الإدارية انعكاس لأحداث اللد وتكوينها الديموغرافي؟ أو هل كان هذا جزءًا من السياسة الواقعية في ظل الحكم الروماني؟ ربما كان قرار بومبي استجابة طبيعية للسيطرة اليهودية في منطقة اعتقد الرومان أنها منطقة غير يهودية وعمل يوليوس قيصر على تغيير الخطأ.

استمرت المصادر القليلة التي تذكر اللد في أواخر الفترة الهلنستية في كونها عامة، وظل بعضها مقصورًا على الأمور الإدارية. كانت السنوات الأخيرة من الفترة الهلنستية صعبة على اللد، رغم أنها لم تكن "مذنبة". بعد اغتيال يوليوس قيصر عام 44 قبل الميلاد، فر بعض المتآمرين إلى الشرق لتجنيد الأموال وتجنيد الجيوش لمحاربة ورثة قيصر. جاء أحد هؤلاء الأشخاص، كاسيوس لونجينوس إلى سوريا ونظم العديد من الجنود الذين كانوا موالين للإمبراطور في السابق. احتاج إلى المال وطلب مبلغًا كبيرًا من المدن والمناطق في البلاد. لم تتمكن بعض المدن في يهودا من الحصول على المبلغ المطلوب من المال. كانت اللد واحدة منها. لم يكن لدى كاسيوس صبر على المدن التي تأخرت في الدفع، وفق يوسف بن متتياهو (يوسيفوس)، تم رهن اللد مع جوبنا وعمواس وتمناع. لا يوجد نقص في التقديرات حول السؤال عن سبب عدم قدرة اللد والمدن الأخرى على دفع المبلغ. ربما التغيرات الإدارية الموصوفة أعلاه، ضربت اقتصاد اللد، ربما لسبب ما، أنبيبطر الحاكم نيابة عن أمير الحشمونائيم هوركانوس الثاني أدخل اللد في فخ. كما يصعب فهم معنى عبارة **"استعباد"** اللد. هل تم بيع سكان اللد ككل كعبيد؟ على الاغلب لا. وكذلك من الصعب فهم القصد من أن اللد رُهنت. هل سكان اللد جميعًا بيعوا للعبودية؟ ربما لا. بغض النظر عن تفسير الموقف المعني، فقد كان قصير الأجل. هُزم كاسيوس في عام 42 قبل الميلاد على يد ماركوس أنطونيوس وأوكتافيانوس وقضيا بإطلاق سراح أي شخص بيع للعبودية.

تحسن الوضع في اللد. كانت المدينة قادرة على إيصال الإمدادات للجنود الرومان الذين عاشوا هناك خلال شتاء 38–39 قبل الميلاد. بسبب رشوة قائد القوة المحلية سيلو من قبل أنتيجونوس، سليل السلالة الحشمونائية، الذي عارض تعيين هيرودس (40 قبل الميلاد)، توقفت المدينة مؤقتًا عن تقديم المساعدة العسكرية لهيرودس. لم تتضرر مدينة اللد الحشمونائية من أي تداعيات سياسية أو أضرار بعد عسكرة الجنود بالقرب منها في الشتاء، كما أنه عندما أدرك أنتيجونوس أن دفع الرشوة لن يوقف الرومان، أمر سكان اللد وضواحيها بالتوقف عن إمدادات وتجهيز الرومان. كان الرومان في خطر المجاعة وبدأوا في الانسحاب. لم تتضرر المدينة. من ناحية أخرى، انتصر هيرودس في النهاية، واضطرت اللد الذي ارتبط حظها بنجاح أو فشل الحشمونائيين إلى التكيف مع حكم هيرودس.

اللد في فترة هيرودس (37 قبل الميلاد – 70 ميلادي)

لم يعاقب هيرودس سكان اللد وضواحيها لدعمهم أنتيجونوس الحشمونائي، وبقيت اللد عاصمة إحدى مقاطعات يهودا خلال فترة الهيكل الثاني وربما حتى بعد ذلك، ولكن لم تتوفر الكثير من المعلومات عن اللد في تلك الآونة. يبدو أن المدينة لم تكن ذات أهمية كبيرة لهيرودس. بعض اليهود الأثرياء انخرطوا في الحضارة اليونانية، ويمكننا أن نتعلم من تابوت جمع العظام (جلوسكما) الذي عثر عليه في القرن التاسع عشر عالم الآثار الفرنسي تشارلز كليرمون چانو، ونقش عليه النقش التالي: "ينتمي إلى فيرينيوس الشاب ولملتس، أبناء أكيوس (ابن؟) سيمون جوبار (أو: ابن جوبار)، والذي يعود تاريخها إلى نهاية فترة الهيكل الثاني. الأحداث القليلة الموثقة في الأدب، يعود تاريخها إلى مرحلة متأخرة بفترة هيرودس".

يصف سفر أعمال الرسل (9: 32–35) رسالة بطرس إلى اللد: "وَحَدَثَ أَنَّ بُطْرُسَ وَهُوَ يَجْتَازُ بِالْجَمِيعِ، نَزَلَ أَيْضًا إِلَى الْقِدِّيسِينَ السَّاكِنِينَ فِي لُدَّةَ، فَوَجَدَ هُنَاكَ إِنْسَانًا اسْمُهُ إِينِيَاسُ مُضْطَجِعًا عَلَى سَرِيرٍ مُنْذُ ثَمَانِي سِنِينَ، وَكَانَ مَفْلُوجًا. فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ: "يَا إِينِيَاسُ، يَشْفِيكَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ. قُمْ وَافْرُشْ لِنَفْسِكَ!". فَقَامَ لِلْوَقْتِ. وَرَآهُ جَمِيعُ السَّاكِنِينَ فِي لُدَّةَ وَسَارُونَ، الَّذِينَ رَجَعُوا إِلَى الرَّبِّ". ومن هناك واصل بطرس طريقه إلى يافا وقيسارية. ليس

من الواضح ما إذا كان إينياس مسيحيًا بالفعل أم أنه أصبح مسيحيًا بعد حقيقة أن بطرس شفاه، ولكن إذا بطرس كلف نفسه للتوقف في اللد، فلا شك أنه كان هناك على الأقل عدد قليل من المسيحيين فيها. على الرغم أن الاسم إينياس، المشلول غير اليهودي، فمن المحتمل أنه كان يهوديًا مسيحيًا، لأن محاولة جلب البشارة كانت في ذلك الوقت مقصورة على اليهود. وفقًا لسفر أعمال الرسل، كانت نتيجة شفاء إينياس على يد بطرس تحولًا جماعيًا إلى المسيحية في اللد وشارون، لكن طبيعة هذا التحول، إذا كانت القصة حقيقية والمصدر تاريخي، كانت مؤقتة.

بعد بضع سنوات، في عام 51 ميلادي، حكم المبعوث السوري أوميديوس كوادراتوس في اللد بقضية سامريين هاجموا حجاج يهود بطريقهم من الجليل إلى القدس: "من هناك (سامري) جاء إلى اللد، قرية كانت كبيرة كمدينة، جلس على كرسي القاضي وعقد جلسة استماع ثانية متعمقة في قضية السامريين. كانت اللد عاصمة إقليم في ذلك الوقت، لذلك كان من الغريب بعض الشيء أن يصفها يوسيفوس بأنها قرية، حتى لو كانت **"كبيرة كمدينة"**. من المحتمل أن الوضع الإداري الإقليمي للُد لا يتوافق مع الوضع الحضري الرسمي، حيث لم تصبح المدينة بعد پوليس أو مستعمرة. ألمح يوسيفوس إلى أن هيكل اللد كان هيكل مدينة، على الرغم من عدم وجود دليل أثري يؤكد هذه الحقيقة في الفترة الرومانية المبكرة.

ربما جلس كوادراتوس على كرسي القاضي في اللد في محكمة أو بازيليكا رسمية، أو استخدم مبنى مؤقتًا. لم يشرح يوسيفوس سبب اختيار كوادراتوس اللد للحكم. هل كانت على الطريق الرئيسي وبالقرب من السامرة حيث كان كوادراتوس قاضيًا من قبل؟ إذا كان الأمر كذلك، فمن الواضح، لماذا اختار اللد للمحاكمة. هل كانت اللد عاصمة إقليمية مهمة على الرغم من وضعها الحضري المتدني، أم تم تنفيذ الهجوم في المنطقة؟ ومرة أخرى، من المستحيل معرفة ذلك، على الرغم من وجود البعض الذين يعتقدون بأن الخيار الأخير هو الأرجح. موقع اللد على الطريق الرئيسي بين المنطقة الساحلية والقدس ليس دائمًا بَشَّر بالخير للمدينة، وبعض القوات الرومانية التي أحدثت الخراب في المدينة. في عام 66 ميلادي، مر النائب السوري كاستيوس چالوس عبر اللد خلال عيد العرش، في طريقه إلى القدس لقمع ثورة كانت قد بدأت هناك. اعتقد يوسيفوس أنه وجد مدينة مهجورة بالكامل تقريبًا لأن سكان المدينة زاروا القدس تكريمًا للعادات الثلاث، وألمح إلى أن المدينة كانت ذات أغلبية يهودية. على الرغم من ذلك، وجد خمسين شخصًا بقوا في المدينة. أعدمهم دون تأخير وأحرق المدينة.

أعدم چالوس سكان اللد ليس من باب الاستفزاز، ولكن لترويع السكان اليهود في المنطقة ومنعهم من الانضمام إلى الثورة. لكنه فشل على ما يبدو في جهوده. سرعان ما أعيد بناء المدينة، بعد أن أحرقها چالوس، معًا مع يافا، تمناع وعمواس حكمهم القائد اليهودي يهودا هناسي. يحتمل أن تكون قوات من اللد قد شاركت في المحاولة الفاشلة لمهاجمة مدينة عسقلان الساحلية. كانت مشاركة اللد في الثورة قصيرة نسبيًا. جذب موقعها الاستراتيجي على الطرق الرئيسية انتباه الرومان. لغاية عام 68 ميلادي كانت اللد تحت سيطرة رومانية وأصبحت معسكر اعتقال. ومع ذلك، كان سكانها لا يزالون في الغالب من اليهود. لا توجد أدلّة أثرية على الدمار في اللد أو حولها في ذلك الوقت.

الحاخامات في فترة الهيكل الثاني

يوجد في الأدب الحاخامي العديد من التقاليد المتعلقة باللد خلال فترة الهيكل الثاني. لم نستخدمها لأنها ليست من فترة الهيكل الثاني، وبالتالي فهي ليست تاريخية. بعضها يكمل المصادر، لذلك سنتطرق بسهولة إلى هذه التقاليد أيضًا. إن الاستمرار في مراجعتنا للفترات الرومانية والبيزنطية، يستفيد من هذه التقاليد الإشكالية، لكن على الأقل سوف نستخدم التقاليد التي تتعلق بزمنهم.

التقليد الأول يسبق الفترات التي استعرضناها، لكنه يسلط الضوء على الطبيعة الإشكالية لاستخدام هذه المصادر. وفقًا للحاخامات، كانت اللد مدينة محصنة في زمن يهشوع بن نون، ولكن على الأرجح أن الحاخامات

أرادوا أن تكون اللد فريدة من نوعها. ليس من المؤكد على الإطلاق أن اللد كانت موجودة في ذلك الوقت وبالتأكيد لم تكن محصنة.

تم الاستشهاد بتقاليد أخرى كدليل على الوضع الإداري للُد خلال الفترة الهلنستية عندما أصبحت اللد عاصمة الإقليم. بما أن التقاليد التلمودية لا تعود إلى الفترة الهلنستية، فهي لا تشير مباشرة إلى مكانة اللد في الفترة الهلنستية. قد يستطيعون تسليط بعض الضوء على جغرافية اللد أو وضعها الشرعي أو القانوني.

في المشناه مسيخت معشر ثاني 5:2 وصفت اللد بأنها تبعد رحلة يوم واحد من القدس وتشير إلى أن اللد كانت حدود الاستيطان اليهودي في غرب يهودا. في المشناه مسيخت السابعة 2:8 عُرف **"سهل اللد"** بـ **"السهل الجنوبي"**. حاولت التقاليد التلمودية الإضافية والأدب البحثي، بنجاح ضئيل للغاية، فهم المعلومات الإشكالية والمربكة أحيانًا فيما يتعلق بالواقع الإداري للد في هذا الوقت أو بآخر في الفترة الهلنستية.

تقاليد أخرى عند حزال (معناها: تذكر حكماؤنا للبركة) ترتبط برسالة بطرس في اللد. في توسفتا سنهدرين 11: 10 يروي قضية بن ستادا التي اتهمه الحكماء بالتحريض على (العمل الغريب). كان بن ستادا في اللد عندما أسره الحكماء وأعدم رجمًا. لا يخبرنا التقليد ما إذا كان من مواليد مدينة اللد أم عابر سبيل مثل بطرس. في التلمود البابلي سنهدرين 67، 71 كتب أنه لم يرجم إلا صلبًا في اللد عشية عيد الفصح واسمه الحقيقي كان بن فنديرا، كنية المسيح التي استخدمها الحاخامات. هذا التقليد أيضًا لا يفسر العلاقة بين بن ستادا واللد، وفي الحقيقة لا نعرف ما إذا كان الرجل موجودًا أم لا. حينما مر بطرس من اللد، هيلينا الحديابية هي إحدى ملكات مملكة حدياب، التي كان مركزها في اربائيلو، أربيل حاليًا، وزوجة الملك مونوباز الأول، وهي أم إيزاتيس الثاني ومونوباز الثاني، تنحدر هيلينة من اصول يونانية، واعتنقت الديانة اليهودية في عام 30 ميلادي، بنت قصرًا في القدس، تركت انطباعًا كبيرًا، ولذلك ذكرها الحكماء عدة مرات. على سبيل المثال، ذكر أنها قضت عطلة عيد العرش في مدينة اللد وبنت عريشة عالية جدًا وفقًا للقوانين اليهودية، لكن الحكماء لم يعوضها هنا عن هذه المسألة (توسفتا أ:أ وفقًا لمخطوطة لندن). ما كانت أفعالها هناك، إذا كانت موجودة على الإطلاق هناك، غير واضح.

تقليدين عند حزال (الحكماء) متأخرة تشير إلى اللد خلال الثورة الكبرى. في أحد التقاليد، المتعلق بهروب الربان يوحنان بن زكاي من القدس، توجه إلى الجنرال إسبسيانوس، الذي سيصبح قريبًا القيصر، وطلب من أن يخفف الضغط الروماني عن منطقة **"البوابة الغربية المؤدية إلى اللد"**، حتى يتمكن أولئك الذين يريدون الهرب من القدس أن يفعلوا ذلك. ربما يعكس هذا الطلب افتراضنا بأن اللد كانت بمثابة معسكر اعتقال خلال الجزء الأخير من الثورة الكبرى، لكن التقليد الحاخامي هذا متأخر. التقليد الثاني من المدرسة (المدراش)، يخبرنا عن نساء ثريات تم جرهنّ منّ شعرهنّ من القدس إلى اللد. هل يعكس هذا التقليد ذكرى حزينة من معتقل اللد؟ العديد من التفاصيل المتعلقة بتاريخ اللد في فترة الهيكل الثاني غير معروفة، ولكن من الواضح أن الوضع في نهاية فترة الهيكل الثاني لم يكن جيدًا. كما سنرى، تحسن الوضع فيما بعد.

بين حربين: "جيل اللد"

لقد أشرنا بالفعل إلى الإشكاليات في استخدام أدب الحكماء (حزال) لإعادة بناء تاريخ اللد خلال فترة الهيكل الثاني. لسوء الحظ، اعتبارًا من عام 70 ميلادي وطوال الفترتين الرومانية والبيزنطية، كان أدب الحكماء هو المصدر الرئيسي للمعرفة فيما يتعلق بالتاريخ اليهودي في اللد ومحيطها. المصادر غير اليهودية ليست كثيرة وفيها أيضًا مشاكل منهجية. في حين أن الاكتشافات الأثرية، مثل **"فسيفساء اللد"**، يمكن أن تضيف معلومات، إلا أنها لا تضيف معلومات حيوية وحاسمة. لذلك، سوف نستخدم أدب الحكماء بعناية، وسنضيف مراجع من مصادر أخرى عندما نستطيع.

لقد رأينا بالفعل أن فترة الهيكل الثاني لم تنتهِ بشكل صحيح بالنسبة إلى اللد. لا يوجد دلائل أثرية على هدم المدينة أو تدمير داخلها أو حولها. لم يكن الوضع مروعًا، وتشير الاكتشافات الأثرية إلى استمرار، وتجديد، بل وحتى توسيع الاستيطان اليهودي في المنطقة. سرعان ما أصبح معسكر الاعتقال شيئًا من الماضي. في الماضي كان يُعتقد أن الاستيطان اليهودي الرئيسي في ذلك الوقت كان في يُبنا، جنوب غرب اللد، والتي أُرسل إليها ربان يوحنان بن زكاي، وفقًا لتقليد أدب الحكماء، عندما غادر القدس، وهناك، وفقًا للتقاليد الحاخامية أعاد تأسيس السنهدرين. وفقًا لبحث حديث، فإن التقاليد الحاخامية المتعلقة بيوحنان بن زكاي متأخرة وليست تاريخية. تشير التقاليد الحاخامية نفسها إلى معارضة مركز التوراة للربان يوحنان بن زكاي في يبنا، إذا كان موجودًا. يبدو أن الرابان چمليئيل، خليفة يوحنان بن زكاي، كرئيس للسنهدرين، سكن في اللد وكان نشطًا هناك. اليوم، من المعتاد أن نرى في اللد، وليس في يبنا، مركز التوراة في الفترة ما بين الثورة الكبرى وثورة بار كوخبا، على الرغم من أن رئيس السنهدرين لا يزال في يُبنا. اتخذت قرارات عديدة في اللد عندما لم يجتمع السنهدرين في يبنا. لقد كان "جيل اللد" وليس "جيل يبنا" والعديد من الحكماء غير العاديين في تلك الفترة، مثل الحاخام عَكيفا، قضوا وقتهم في اللد، حتى لو لم يسكنوا فيها. العديد من الحكماء، مثل الحاخام إلعيزر بن عَزريا، الذي حل محل الحاخام چمليئيل كرئيس السنهدرين، الحاخام إلعيزر بن هوركانوس والحاخام تريفون، عاشوا في اللد. حتى أن الحاخام تريفون ترأس السنهدرين قبل سنوات قليلة من ثورة بار كوخفا، عندما تم نقل مقر السنهدرين إلى اللد، ربما التقوا من حين لآخر في منزله. وفي السنهدرين ناقش المتعلمون مسائل لاهوتية مهمة مثل: ما هو أهم من الناحية اللاهوتية، التعلم أو العمل، أو في أي ظروف يجوز مخالفة التعاليم الدينية بغرض إنقاذ الأرواح. عبّر الحاخام تريفون بنفسه عن آراء ضد يهود-مسيحيين، ومن المحتمل أن تكون هذه الآراء تعكس توترًا موجودًا في المجتمع اليهودي بين مجموعات يهودية عادية ويهود-مسيحيين. يصف أدب الحكماء هذه الفترة بأنها القمة في سجل نشاط الحكماء في اللد، حيث كان معظم سكانها، وليس جميعهم، من اليهود. داخل المدينة وحولها كان لا يزال هناك مستوطنون غير يهود مثل: السيدة السورية الثرية التي تحدثت مع الحاخام إلعيزر بن هوركانوس وابنه هوركانوس عن الكتاب المقدس. كما ذكرنا سابقًا، قضى الربان چمليئيل الكثير من الوقت في اللد وسكن فيها فترة طويلة. ترأس الحاخام إلعيزر بن هوركانوس والحاخام تريفون بيت المِدراش هناك، وبحسب أدب الحكماء فقد استخدموا قوة كبيرة وكان رأيهم مقبولاً بشكل عام في اللد، حتى لو كانت آراؤهم مخالفة لآراء الحكماء. تشير المصادر الحاخامية إلى أن هذا الوضع لم يكن قائمًا فقط على السلطة السياسية، ولكن أيضًا، كما سنرى أدناه، على أساس القوة الاقتصادية. اختفت الطبقة الحاكمة بعد الثورة الكبرى وملأ الحكماء الفراغ. وُصف بعض الحكماء، مثل الحاخام تريفون، بأنهم أثرياء للغاية. سوف نتوسع في هذا الموضوع، عندما نناقش التقاليد الاقتصادية للحاخامات في اللد. إلا أن حاخامات اللد لم يسيطروا بالكامل على المدينة سياسيًا. تذكر المصادر الحاخامية وجود مجلس مدينة أو عضو مدينة.

كما ذكر أعلاه، ركزت المصادر الحاخامية على الحاخامات ورؤيتهم. العالم الموصوف هو عالمهم حيث كانوا في الغالب لاعبين رئيسيين. لذلك ركزت المصادر الحاخامية على دور حاخامات اللد وشددت عليه. في اللد، على ما يبدو، كانت هناك طبقة غنية من ملاك الأراضي والعديد منهم من الحاخامات، مثل الحاخام إلعيزر بن هوركانوس والحاخام تريفون والحاخام إلعيزر بن عزريا. تذكر المصادر الحاخامية أيضًا مالكي الأراضي الأثرياء الذين كانوا قريبين من الدوائر الحاخامية مثل بييتوس بن زونين. هل كان الحاخامات مسيطرين بين هذه الطبقة؟ على الأغلب لا. لكن الحاخامات لم يكونوا قلقين من الآخرين. نقش قبور المذكور أعلاه كان على الغالب لعائلة ثرية، ولكن غير حاخامية، ربما من فترة الهيكل الثاني.

في حين أن وضع مالكي الأراضي الأثرياء قد يكون علامة على وجود اقتصاد سليم بشكل عام، لم يستفد الجميع من مثل هذا الواقع. ازدهرت هذه الطبقة في أغلب الأحيان على حساب صغار مالكي الأراضي أو على حساب

طبقة الفلاحين. هكذا، على سبيل المثال، كان السبيل للإنقاذ من سنة جفاف أو من مواسم صعبة، من خلال استيراد المنتوجات، كما في حالة بييتوس بن زونين. عندما ينهار الآخرون، يرفع مالك الأراضي الثري الأسعار لزيادة الأرباح. لذلك ليس من المستغرب أن يكون هناك أيضًا فقراء في اللد. بعض الحاخامات الأثرياء في اللد، مثل الحاخام تريفون والحاخام إلعيزر بن هوركانوس، استخدموا بقوة استعباد العمال، دون أي مشكلة من جانبهم، وكان بعضهم في الماضي من أصحاب الأراضي الحرة الذين أفلسوا بسبب فترات صعبة. على الرغم من ذلك، فإن واجب المحبة والكرم الذي أقر في قوانين اليهودية، جنبًا إلى جنب مع شعور محدود بواجب المساعدة، تسبب في دعم الفقراء في أوقات المجاعة أو الجفاف. ولهذه الغاية، كانت تُؤدى أحيانًا ألعاب تشريعية، كما في حالة الحاخام تريفون، كهن، الذي خطب ثلاثمائة امرأة حتى يتمكن من أكل التبرع الكبير الذي قُدم له. لا نعرف ما إذا كان الأثرياء الذين لم يكونوا حاخامات يميلون أيضًا بإعطاء صدقة أو مساعدة.

خلال هذه الفترة، وخلال معظم الفترتين الرومانية والبيزنطية، كانت اللد بمثابة مركز زراعي، حيث تم زراعة كمية كبيرة من المحاصيل فيها، والتي بيعت في الأسواق. بالإضافة إلى ذلك، تم بيع منتجات أخرى في اللد، خاصة الجرار والمنسوجات، كما وتداولوا خدمات مختلفة. التقليد التلمودي ذكر كتب، عاملين في الحمامات وأطباء. كان النشاط الاقتصادي كبيرًا لدرجة أن فئة من كبار التجار وتجار الجملة، المعروفين باسم "متحدو اللد" أو تجار اللد. وبحسب الأدب الحاخامي، وافق هؤلاء التجار على قبول التعليمات الاقتصادية والمالية لحاخامات اللد فيما يتعلق بأسعار المنتجات.

كما حافظ المركز الزراعي في اللد على تواصل اقتصادي مع الأسواق الزراعية الموسمية وفي ظهير مدينة اللد، وخلال فترة **"جيل اللد"** استمر الاتصال مع الأسواق حتى شمال السامرة. كما يبدو، أن ظهير اللد الاقتصادي-زراعي قد توسع إلى ما وراء حدودها الإدارية. كان لسكان المستوطنات البعيدة ظهير أكبر ومقرات تجارية في اللد. تغير الوضع بعد ثورة بار كوخفا، وخاصة فيما يتعلق بالظهير الزراعي في الشمال.

يشير العدد الكبير من اليهود المولودين في بلاد أجنبية، وخاصة في مصر وآسيا الوسطى، والذين كانوا في المدينة في ذلك الوقت، إلى مكانة المدينة. ساهم قرب اللد من ميناء يافا، بلا شك، في تأسيس هذا المجتمع. ومع ذلك، فقد كانت المراكز الحضرية قوية وثرية وهي التي جذبت مواطنين أجانب. إن وجودهم في حد ذاته مؤشر جيد على مكانة اللد. استمر اليهود الذين ولدوا في الشتات السكن في اللد، وفي بعض الأحيان شكلوا مجتمعًا هناك، طوال الفترتين الرومانية والبيزنطية.

هل يمكننا معرفة شكل المدينة في عهد **"جيل اللد"**؟ يعطينا الأدب الحاخامي رموزًا عن الفترة الرومانية المتأخرة، والتي سنناقشها أدناه. في الوقت الحالي، هناك القليل من الأدلة الأثرية القيمة التي تدعم الادعاءات الحاخامية. من الصعب التحقق من افتراضات الحاخامات حول مظهر وشكل مدينة اللد. على الرغم من أن التحقق الكامل ليس ضروريًا، إلا أن هناك نقصًا كبيرًا في الأدلة الأثرية. هذا لا يعني أنه لا يوجد دليل أثري ذو صلة على الإطلاق، لكنه لا يكفي لرسم صورة واضحة لهيكل المدينة وشكلها بطريقة تتلاءم مع ادعاء حاخامي تاريخي هذا أو ذاك. سوف نشير إلى وصف حاخامي المتعلق بـ **"جيل اللد"**، وفيما بعد بالمدينة الرومانية-البيزنطية.

لم تكن مدينة اللد في عهد **"جيل اللد"** پوليس أو كولونيا (مستعمرة)، رغم أنها كانت تضم عناصر من هذه المدن. لا يوجد مصدر بخصوص وجود أسوار للمدينة. كما أنه ليس لدينا أي إشارة بخصوص الأحياء السكنية. وَصَفَ الحاخامات ازدهارًا اقتصاديًا، بالإضافة إلى سوق أو أسواق، واقترحنا أيضًا أنه ربما كانت هناك مراكز بلدية أو مقر أعمال محلي للقرى النائية. ومع ذلك، فمن غير المرجح الافتراض أن يكون السوق أو الأسواق **"أجورا"**، مما يعني سوقًا كلاسيكيًا كما كان في المدن الهلنستية-الرومانية. يصف أحد المصادر شارعًا فيه متاجر ووحدات سكنية فوق المحلات. سار الحاخام إلعيزر بن هوركانوس على طول السوق ورأى امرأة تزيل القمامة من منزلها وتلقى ضربة في رأسه من جسم ألقته المرأة. لم يكن السوق **"كاردو"**، ولكنه كان أقرب إلى البازار الشائع في

الشرق. لسوء الحظ، فإن الأدلة الأثرية في اللد لا تؤكد الافتراضات حول شارع كهذا، سوق أو مساكن. كثيرًا ما كان الحاخام إلعيزر يزور محلات تجارية أخرى في اللد. هل كانت بالقرب من هذا الشارع أم أنها أقيمت بنفس الطريقة؟ ليس لدينا القدرة على الإجابة على ذلك.

أشارت التقاليد التلمودية في ذلك الوقت إلى ساحة مركزية مرتبطة بالتجمعات الدينية، ولكن ربما كان لها أيضًا وظائف بلدية أخرى، ربما فيما يتعلق بوضع اللد كعاصمة الإقليم. تناول أدب الحكماء في الغالب الحكماء; تعامل بشكل مفصل مع أنشطة الحاخامات والأماكن التي حدثت فيها. يمكن للحاخامات التدريس والحكم في أي مكان، مثل: سوق، متاجر أو خارج المنازل. كما رأينا بالفعل، التقوا حتى في محطات بلدية عندما لم يكن لديهم مدارس دينية أو مكان رسمي فيه تعلموا. هل تم النشاط الحاخامي في أماكن "**رسمية**" أم لم يكونوا بحاجة لهذه الأماكن؟

أشار تقليد متأخر من الفترة البيزنطية إلى أن بيت مدراش الحاخام إلعيزر تم تصميمه مثل حلبة احتوت على حجر مخصص للحاخام إلعيزر الذي جلس عليه. نظرًا لأن التقليد تم تأليفه بعد مئات السنين من زمن الحاخام إلعيزر، فمن غير المرجح أنه يعكس الواقع وبالتالي لا جدوى من محاولة العثور على المبنى الذي يشير إليه التقليد. وأشار تقليد متأخر آخر إلى أن الحاخام إلعيزر التقى بتجار قشّ وأسمدة في طريقه إلى بيت مدراشه، ويمكن الافتراض أن هؤلاء التجار لم ينقلوا بضائعهم في وسط المدينة، وبالتالي لم يكن بيت مدراش الحاخام إلعيزر في مركز المدينة.

يمكن قول نفس الشيء عن بيت مدراش الحاخام تريفون. شهد عدد من التقاليد المتأخرة أن بيت مدراشه، الذي ربما لم يتم بناؤه في نفس المبنى الذي كان فيه بيت مدراش الحاخام إلعيزر (حقيقي أو خيالي)، كان أيضًا في ضواحي المدينة. على الرغم من أن التقاليد الحاخامية التي تشهد على موقع مبنى بيت المدراش تعود جميعها إلى الفترة الرومانية المتأخرة أو البيزنطية، فإن ادعاءاتهم منطقية لأنه في تلك الفترة أصبحت اللد بالفعل لكلونيا ديوسبوليس. وعلى الرغم من أنها لا تزال تحتوي على مكون يهودي كبير، إلا أنها لم تعد مدينة يهودية. خلال "**جيل اللد**"، إذا كانت بيوت مدراش هذه موجودة بالفعل في مبانٍ، فهم أقرب إلى مركز المدينة أو "البلدة القديمة". أما بالنسبة لكنيس يهودي في تلك الفترة، على الأقل تقليد قديم واحد ذكر وجود كنيس في اللد، إلا أن تقاليد أخرى تطرقت إلى كنيس في المدينة خلال فترة "**جيل اللد**"، وقد يعكسون حقيقة فترة كان فيها، كما سنرى، أقام الحاخامات العديد من الكنس هناك.

كما كان هناك، بالطبع، عدد كبير من المنازل والساحات في المدينة. لقد ذكرنا عدة مرات المحطات البلدية، التي كانت بمثابة مراكز تجارية، وقاعات تعليم للحكماء ومساكن للزوار الذين يزورون المكان لأهداف الأعمال في اللد. بعض هذه المنازل، وفقًا للحكماء، كانت طوابق متنوعة، على غرار منازل السوق ولها فناء مركزي (أتريوم)، كما هو معتاد في عمارة المنازل في الفترة الرومانية. مرات عديدة كان الحكماء يجتمعون في الطوابق الثانية أو في الفناء، وليس في غرف المعيشة، سواء استعملوها أم لا.

ربما لم يكن المنزل الذي كان يقع فوق المتجر في السوق كبيرًا أو مطورًا. لكن من الممكن أن يكون للأغنياء، وبينهم الحاخامات، منازل كبيرة أقيمت وفق متطلبات العمارة الرومانية. تقليد متأخر إدعى أن منزل الحاخام إلعيزر كان من طابقين، يضم قاعة داخلية وغرفة طعام. للأسف ليس لدينا بقايا أثرية يمكن أن تثبت هذا الادعاء. الأثر الوحيد المتبقي من هذه الفترة هو بقايا ڤيلا مؤلف من ثلاث غرف مزينة بالفسيفساء ويقع اليوم في حي نڤي ييرك. الغرف كبيرة والانطباع العام أنها غنية. ومع ذلك، فإن موقعها ليس في وسط المدينة وليس من الواضح على الإطلاق أنها كانت جزءًا من الحدود الإدارية للُد في ذلك الوقت. كما أنه من الصعب معرفة من عاش هناك، لأنه تم اكتشاف ثمانية قبور بالقرب من المبنى.

ذُكر في أدب الحكماء مقبرة، وكشف خلال التنقيبات الأثرية عن مدينة قبور من الفترتين الرومانية والبيزنطية، والتي كانت تقع خارج الحدود الإدارية للمدينة. ومع ذلك، فإن المكتشفات الأثرية تتوافق مع مقابر وثنية أكثر من مقابر يهودية.

أنهت ثورة بار كوخفا (132–135 ميلادي) فترة **"جيل اللد"**. عكست التقاليد الحاخامية حول السرقات التوتر المتزايد في يهودا. بعض التقاليد تحدث عن حالات سرقة الحاخام تريفون الذي كما رأينا يعيش في اللد. ومع ذلك، من المستحيل ربط هذه التقاليد باللد، لأن الحاخام تريفون يسافر كثيرًا. فيما يتعلق بالوضع خلال الحرب نفسها، هناك قصة عن لص اعترف بقتل الحكيم شمعون بن كهانا في اللد، قبل وقت قصير من إعدامه في كابادوكيا، وادعى بعض الباحثين أن هذه القضية تعكس الأحداث التي وقعت خلال ثورة بار كوخبا. حتى لو كانت هذه الواقعة صحيحة، فلا سبيل لمعرفة ما تعنيه من حيث تأثير الثورة على اللد، أو من حيث دور اللد في الثورة. ومع ذلك، فإن العدد الكبير من الأنفاق تحت الأرض التي تم العثور عليها في ظهير اللد أثناء ثورة بار كوخبا والعدد الكبير من العملات المعدنية من فترة ثورة بار كوخبا التي تم العثور عليها في المنطقة تشير إلى أن ظهير اللد شارك في الثورة، ومن المرجح أن اللد انضمت إلى قوات بار كوخبا في تمرده ضد الرومان.

الفترة الرومانية المتأخرة

من المحتمل أن تكون اللد قد شاركت في ثورة بار كوخبا، لكنها لم تتعرض الى الدمار مثل مناطق أخرى في يهودا التي كانت أقل حظًا. لم تدمر المدينة وتعافت بسرعة. ربما تضرر جزء من ظهيرها الزراعي والاقتصادي، لكن لم يكن لهذه الحقيقة آثار طويلة المدى. لكن **"جيل اللد"** لم يعد له وجود، وتحول تركيز الاستيطان اليهودي إلى الجليل وخاصة إلى المدينتين صفورية وطبرية. بقيت اللد مركزًا للحياة اليهودية في يهودا، لكنها لم تعد مركز الحياة اليهودية في أرض إسرائيل. انخفض عدد اليهود بشكل كبير في يهودا، التي كانت اللد عاصمتها، مقارنة بالفترة ما بين الحربين التي ازدهر فيها **"جيل اللد"**. كما في السابق، نعتمد الآن إلى حد كبير على أدب الحكماء على الرغم من كل قيودها. حتى الآن من المهم أن نتذكر أن هذه الأدب تناول بشكل أساسي حياة الحاخامات، وبالتالي سنحاول قدر الإمكان استخدام الاكتشافات الأثرية الضئيلة المتاحة لنا.

على الرغم من الادعاء المذكور أعلاه بشأن تقليل قيمة اللد لليهود، استمر الحاخامات في زيارتها بشكل متكرر، بما في ذلك الحاخامات المحليون والحاخامات من مدن الجليل. في حالة واحدة يمكن أن نجد رئيس السنهدرين، الحاخام يهودا هَنَسي بينما كان يقضي يوم السبت في اللد مع زملائه الحاخام يشماعئيل بربي يوسي، الحاخام إلعيزر هكفر والحاخام بنحاس بن يائير. على غير العادة، التقوا جميعًا في متجر لمناقشة قضايا الشرائع المتعلقة بفترتهم.

الحاخام يهودا هنسي أحب مدينة اللد. يشير تقليد حاخامي غامض إلى "أربعة وعشرين عربات الحاخام يهودا هنسي التي دخل قبل عام الى اللد وأصابتهم عين شريرة وماتوا جميعًا بفترة واحدة". كتب الكثير عن هذا التقليد في الغالب بأسلوب تآمري. حتى أن الحاخام يهودا هنسي سعى إلى إعادة الأولوية الدينية إلى اللد، ولهذا السبب كانت العربات في طريقها إلى اللد. هل هوجمت العربات أثناء الحرب الأهلية التابعة لسيبتيموس سفيروس المدعي أن حقه بتاج فيسكانيوس نيجر (193–194 ميلادي) كما يعتقد البعض؟ لماذا انسحب الحاخام يهودا من خطته؟ هل كانت هناك معارضة لهذه الخطة من قبل حكماء اللد الذين كانوا يخشون أن تتضرر مركزتيهم وسيضطرون إلى طاعة حكماء الجليل؟ ووفقًا لهذا التصور، اعتبر علماء اللد أنفسهم مدافعين عن تقليد يهودا الديني، ولم يكونوا مستعدين للتخلي عن أسبقيتهم واستقلاليتهم. هناك العديد من الفرضيات والنظريات حول هذا الموضوع. هل ترتبط هذه الأحداث بالقصة الغامضة لـ **"ضحايا اللد"**؟ تطرح هذه الأسئلة العديد من المشاكل للمؤرخ. يبدو أن أحداثًا مهمة وقعت في اللد خلال الفترة المذكورة، لكن الحقائق وتفسيرها غير واضحة.

وصفت الأدبيات الحاخامية التوتر بين حاخامات اللد والجليل. كان هناك رمي بالطين وافتراءات متبادلة، حيث اتهم حاخامات الجليل حكماء اللد بأنهم "**فظّون وفقراء توراة**". بحسب المنافسين من الجليل، سكان اللد احتقروا وصايا التوراة. أي محاولة أو فكرة لإعادة السلطة إلى اللد (أو يهودا) أو حكمائها فيما يتعلق بالتقويم أو بالسنة الكبيسة، وإلى الوضع التشريعي السابق قوبل بالازدراء والاحتقار في الجليل.

هل تعكس هذه الاتهامات واقع حكماء اللد وسكانها اليهود؟ تشير التقاليد الحاخامية إلى أن العكس هو الصحيح، أي أن تعليقات سكان الجليل نابعة من الغيرة لتعليم حاخامات اللد وفي تقوى الجالية اليهودية المحلية. يخبرنا التقليد المتعلق بالجفاف في الجليل واللد عن الحاخام يهوشع بن لڤي من مدينة اللد الذي صلى من أجل الغيث وتم الاستجابة لصلواته في اللد والحاخام حنينا بار حماه في صفورية ولم يُستَجب لصلواته. اشتكى أهل صفورية إلى الحاخام حنينا بر حماة وقيل: "**للجنوبيين، أو أهل اللد، قلوبهم رقيقة يسمعون كلام التوراة ويستسلمون. أهل صفورية قساة القلوب وهم يسمعون كلام التوراة ولا يستسلمن**". الرأي السابق ضد اللد لم يعكس الواقع، ولكن حقيقة أن اللد ظلت مركزًا هامًا للتوراة. ربما لم تكن مركزًا هامًا للتوراة في كل أرض إسرائيل، ولكن على الأقل مركزًا في يهودا، وكانت مراكز التوراة في الجليل تخشى أن تطغى اللد عليها.

إن نجاح اللد مثير للاهتمام بسبب التغييرات الحضرية والإدارية التي حدثت في اللد خلال الفترة الرومانية. حوالي عام 199–200 ميلادي، قام سبتيموس سيڤيروس بترقية مكانة اللد إلى كولونيا، بغض النظر عن السؤال عما إذا كان الحاخام يهودا هَنَسي يدعمه أم لا، وبغض النظر عما إذا كانت التقاليد التلمودية قد ربطت الإمبراطور والمدينة.

أصبحت اللد كولونيا لوسيا سبتيميا سيفيريا ديوسبوليس، ما هي انعكاسات هذه الخطوة على تطورها الحضري؟

أولاً، نتوقع أن يكون لمدينة كهذه أسوار، لكن لا يوجد دليل تاريخي أو أثري، على أن للد كانت أسوار في الفترة الرومانية أو أنه تم بناء أسوار نتيجة وضعها الإداري الجديد. لم يكن للد أسوار قبل تحسن وضعها، وبعد التحسّن لم يكن هناك سبب لبناء أسوار جديدة. اضطر سكان المدينة، وليس ميزانية الامبراطورية، إلى تمويل بناء الأسوار. لم تكن اللد المدينة الوحيدة التي تحسنت وضعها ولم يكن لها أسوار. علاوة على ذلك، لم يكن تكوين المدينة معياريًا، وبالتالي كان بناء الأسوار أكثر تكلفة. كما رأينا في المقدمة، فإن تل اللد هو النواة القديمة للمدينة في الفترات التوراتية، لكنه لم يكن مأهولًا بالسكان خلال فترة الهيكل الثاني أو في الفترتين الرومانية والبيزنطية. انتقلت المدينة جنوبًا. كما لاحظنا أنه حتى القرن الثالث الميلادي كانت المنطقة الشمالية مأهولة وسوف نتناول هذا الأمر لاحقًا. كان من الممكن أن يغلق سور المناطق غير المأهولة في المركز دون سبب واضح.

هناك صعوبات في فهم التوسع في الشمال كجزء من التنمية الحضرية الجديدة. من المستحيل إثبات أن الجزء الشمالي كان ينتمي بالفعل إلى اللد ومن المحتمل أنه كان منفصلًا، وليس له صلة - موقع "**مجهول الاسم**". لغرض النقاش ومزيد من التداول، سوف نشير إليه، مع ذلك، كجزء من الإطار الحضري لمدينة اللد.

انعكس وضع المدينة الجديد في عملاتها. تعود الفترة القصيرة لصك العِملات المعدنية في هذه المدينة إلى الأعوام 210/209 – 219/218 ميلادي. ظهرت على العملات المعدنية معابد وثنية. وطبعت عليها صورة الإلهة تيخا، صورة إله الأنهار ديميتريوس، زيوس، سيربيس وديونيسوس. تصور إحدى العملات الإلهة تيخا واقفة في المعبد وتضع قدمها اليمنى على صورة إله الأنهار. تم نقل المدينة القديمة في الجنوب من وادي أيالون. يحد القطاع الشمالي الوادي. إذا كانت العملة تعكس الواقع بالفعل وكان هناك معبد حقيقي، فإن موقعه كان على حدود القطاع الشمالي. لماذا يُبني معبد وتسكن المنطقة القريبة من الوادي الذي قد يغمر المكان؟ من ناحية أخرى، ربما كانت هناك رغبة في الابتعاد قدر الإمكان عن المدينة القديمة الجنوبية المزدحمة. ومع ذلك، فإن عملات اللد تُظهِر سمات الخصوبة، وبالتالي ربما سعت المدينة الجديدة إلى قرب أكبر من سهل اللد الخصب. الاحتمال الآخر هو أن المدن التي تأسست في الفترة المذكورة أقامت معابدها بالقرب من الجداول، كما حدث في بيت جبرين حيث

أقيم المعبد على ضفاف وادي جبرين. يبدو أن بناء المعبد في شمال المدينة كان مصحوبًا ببناء حضري جديد. ومع ذلك، يبدو أن البناء على طول ضفاف وادي أيالون كان فكرة سيئة، ومن المحتمل أن تضرب المنطقة فيضانات من وقت لآخر.

أما بالنسبة للمباني الأخرى في المدينة، كما رأينا، فقد كان فيها بالفعل أسواق، ميادين وما إلى ذلك. كانت هذه المباني في المدينة القديمة، ويبدو أنها استمرت في الوجود خلال الفترة الرومانية، ولا يوجد دليل على إنشاء أسواق أو ميادين جديدة. أشار مصدر مسيحي، أبو الكنيسة أوسابيوس، في كتاباته عام 308 ميلادي إلى سبعة وتسعين مسيحيًا أرسلوا من مصر إلى مناجم النحاس في فونون الواقعة جنوب البحر الميت، والذين حوكموا في مدينة اللد. هذه الحقيقة تعني أنه كانت في المدينة بازيليكا، مبنى أُجريت فيه المحاكمات، ولكن كما رأينا في حالة كوادراتوس والسامريين، فإن موقع اللد المناسب على طول الطرق الرئيسية غالبًا ما جعلها موقعًا مناسبًا لإجراء المحاكم، والتي لم تتطلب وجود بازيليكا، ويمكن عقدها في أي مكان.

كشفت التنقيبات الأثرية المختلفة عن بقايا هياكل أخرى مثل أرضية فسيفساء صغيرة وبسيطة تعود إلى الفترة الرومانية المتأخرة وأرضية من الفسيفساء من الفترة البيزنطية تم الكشف عنها شمال شرق البلدة القديمة في حي نڤي ييرك. وكان أهم اكتشاف هو **"فسيفساء اللد"**، الذي تم الكشف عنه في الجزء الشرقي من المدينة، وأدارت مشروع التنقيبات ميريام أڤيشار في عام 1996. ستكون تعليقاتنا بشأنه أدناه موجزة، وفقط حول تاريخ المدينة مثل: المبنى الذي وجد فيه الفسيفساء، من استخدم المبنى، من سكنه، وما يعنيه بالنسبة إلى اللد.

لا توجد إجابات دقيقة وواضحة على هذه الأسئلة وأي فرضية ستخلق استنتاجات مختلفة فيما يتعلق بالمنظومة الحضرية والاقتصادية والديموغرافية. كان المبنى الذي وجدت فيه الفسيفساء كبيرًا. ربما كان مبنىً عامًا؟ وإذا كانت بناية عامة، فمن أي نوع ولمن؟ إذا كانت هذه الفرضية صحيحة، فقد يكون موقعه في ضواحي المدينة القديمة غير معتاد. من الأرجح أن الأرضية الفسيفسائية كانت جزءًا من منزل سكني. ومع ذلك، يمكن طرح أسئلة مماثلة فيما يتعلق بمثل هذا المنزل، على سبيل المثال: من يعيش هناك؟ من الممكن أن يتم تعريف هذا المنزل معماريًا على أنه ڤيلا رومانية، ويمكن أن تكون الغرفة التي توجد بها الفسيفساء عبارة عن قاعة استقبال كبيرة وفاخرة. ومع ذلك، لا تقدم هذه الحقيقة الكثير من المعلومات فيما يتعلق بساكني الڤيلا أو أصلهم العرقي أو دينهم. شيء واحد مؤكد. إذا كان بالفعل منزلًا سكنيًا، فإن الشخص الذي طلب الفسيفساء كان ثريًا، حيث يتطلب العمل فيه على طاقم ماهر. جودة العمل استثنائية. هل مشاهد الصيد، الحيوانات، الطيور، الأسماك، الأسد، اللبؤة، الفيل، الزرافة، وحيد القرن، النمر والثور البري تلمّح إلى شخصية الساكنين؟ هل رأوا دورهم في حلبة المصارعة المحلية خارج اللد أم أن لديهم صلة بشمال إفريقيا، كما توقع البعض؟ رأى آخرون خلفية ديونيسي، على الرغم من عدم تصوير ديونيسوس هناك، وليس لديه أي شخصية بشرية. وهذا أيضًا يمكن أن يكون تلميحًا. من الواضح أن قول من الكتاب المقدس ليشعياهو يشير إلى أن الساكنين لم يكونوا وثنيين. ربما كانوا أثرياء، يهود أو مسيحيين، تأثروا بالثقافة الرومانية. على الرغم من كل هذه الافتراضات، من الصعب التعلم من ثراء الفسيفساء حول الحقائق التاريخية الدقيقة.

في حين أن المكانة الجديدة للكلونيا كان حقًّا شرفًا عظيمًا، وربما ساهمت أيضًا في الازدهار الاقتصادي، وربما ساهمت أيضًا في بناء أوسع، فليس من المؤكد أن كل هذه الأشياء كانت خطوة إيجابية للمجتمع اليهودي في اللد. عاش اليهود الآن في مدينة سميت ليس فقط على اسم الامبراطور الروماني، ولكن أيضًا باسم زيوس (ديوس). رغم كل هذا، الجالية اليهودية في اللد ليس فقط حافظت على حجمها فحسب، بل ازدهرت أيضًا تحت قيادة الحاخام الحكيم يهوشع بن لڤي الذي عاش في منتصف القرن الثالث الميلادي وتحت قيادة زملائه الذين كانوا جميعًا نشيطين في حياة المجتمع والصدقات. كانت هناك أيضًا مواجهات في بعض الأحيان مع الرومان، لكنها أكدت نشاط الجالية اليهودية خلال الفترة الرومانية. يحكي التقليد التلمودي عن هارب يهودي من الرومان، عولا

بن كوشر (أو كوشب)، الذي فر إلى اللد وطلب حماية الحاخام يهوشع بن لقي. تبعه الرومان وهددوا بتدمير المدينة بأكملها إذا لم يتم تسليمه لهم، في النهاية أقنعه الحاخام يهوشع بتسليم نفسه للرومان لإنقاذ المدينة. يُظهر هذا التقليد، على الرغم من عدد من الجوانب المقلقة، أن المدينة كانت يهودية إلى حد كبير على الرغم من الوضع الحضري الجديد، التطور وربما حتى السكان غير اليهود الذين أعقبوا هذه التغييرات. الأوصاف الحاخامية التي جعلتها مدينة يهودية، كانت بلا شك مبالغًا فيها، وعكست تصورهم وآمالهم. هذا على الرغم من حقيقة أن أب الكنيسة أوسابيوس ذكر في القرن الرابع الميلادي في بيان أن تفسيرها كان إشكاليًا، في عام 308 ميلادي، أن اللد كانت يهودية بالكامل. ومع ذلك، يجب أن نتذكر أن الاسم الوثني أو غير اليهودي ديوسبوليس لم ينتشر أبدًا خلال الفترة الرومانية-البيزنطية، وربما كان اسم اللد السامي قد استخدم. يهودية أم لا، بقيت المدينة سامية وربما يهودية. ربما كانت "**المبالغة**" حقيقة أكثر من كونها مبالغات. ربما كان الطابع اليهودي للُد هو السبب في دمج المنطقة المجاورة غير اليهودية في كولونيا اللد، وكانت بمثابة ثقل موازن للمدينة اليهودية، والسبب في انفصال المدينة اليهودية المجاورة أونو عن اللد واكتسابها استقلالية إدارية. كان معنى إضافة منطقة غير يهودية إلى اللد وفصل منطقة يهودية عن أراضيها تقييدًا لسلطة الجالية اليهودية المحلية.

وواصل الأدب الحاخامي وصف واقع الوجود اليهودي الكبير في المدينة. وهكذا، وفقًا للحاخامات، في أواخر الفترة الرومانية كان هناك العديد من بيوت المدراش والكنس في المدينة. أشهر بيت مدراش في ذلك الوقت كانت "بيت مدراش الكبير" للحاخام يهوشع بن لقي، والذي كان بلا شك مشابهة لبيت مدراش الكبير للحاخام إلعيزر بن هوركانوس في فترة "جيل اللد". دعم المجتمع اليهودي المحلي مؤسسات الجماهرية اليهودية. نقش باللغة اليونانية على قبر يهودي "درع الأيتام"، وتشير التقاليد التلمودية إلى مثل هذه الدروع. وفق ادعاءات ا لحاخامات، كانوا تحت حمايتهم، على الرغم من أنهم ربما كانوا تحت رعاية المجتمع ككل.

اللد في الفترة البيزنطية (325–640 ميلادي)

تميزت الفترة البيزنطية في بلادنا بسيطرة المسيحية وفي كثير من الحالات، حولوا المواقع اليهودية أو الوثنية إلى مواقع مسيحية. العقود الأولى من هذه الفترة لم تجلب معها تغييرًا كبيرًا في اللد أو في البلاد على الإطلاق. في عام 351 م، في عهد چالوس قيصر، قاد سكان اللد اليهود، مع أصدقائهم في صفورية وطبرية، تمردًا قصير العمر. نشأت هذه الثورة في أعقاب القمع الاقتصادي وليس نتيجة لاضطهاد ديني. لسوء حظ اللد، دمرت المدينة خلال الثورة. تنعى تقليد المدراش المركز اليهودي في اللد، "**المشناة إلى القدس**" الذي لم يعد له وجود.

ومع ذلك، بقيت جالية يهودية صغيرة في المدينة وضمت أيضًا عددًا من الحكماء. قام أحدهم بتعليم راهب الكنيسة هيرونيموس العبرية وفصولاً من الكتاب المقدس أثناء زيارته إلى اللد. من الصعب وصف أن حاخامًا مهمًا وعالي الرتبة كان سيفعل ذلك بمحض إرادته، وقد تكون موافقته تعليم هيرونيموس يشير إلى وضع صعب أو ضائقة اقتصادية لحاخامات اللد خلال تلك الفترة. في الواقع، فإن معظم الحكماء الموصوفين فيما يتعلق باللد خلال تلك الفترة مكثوا فترة طويلة في الجليل. على ما يبدو لم يكن لديهم الكثير من الأعمال في اللد.

هذه الحقيقة تنطبق أيضًا على المجتمع اليهودي ككل في تلك الفترة. التقليد الآخر الوحيد المتعلق بالجالية اليهودية في اللد يعود إلى القرن الخامس الميلادي. رسالة بالعبرية مكتوبة على بردى (بابيروس) تناقش الأعمال التي كانت بين سكان اللد ويهود الجليل، ربما قاموا أيضًا بأعمال مع شخص مسيحي. رثاء، الذي يعود إلى نهاية الفترة البيزنطية أو إلى فترة متأخرة أكثر، تذكر هدم كنيس. بالنسبة لليهود، اختفت إلى الأبد ذروة "**جيل اللد**" وأهميته التي كانت في أواخر الفترة الرومانية. أصبحت اللد مسيحية.

ناقشنا في مقتطفات سابقة من بحثنا جماعة يهودية-مسيحية في اللد خلال فترة الهيكل الثاني، وزيارة القديس بطرس للمنطقة. لا توجد طريقة لمعرفة ما إذا كانت هذه الجماعة بقيت في اللد خلال الفترة الرومانية. لم تشر

التقاليد الحاخامية إلى يهود-مسيحيين أو مسيحيين غير يهود في الفترة الرومانية. يبدو أن الوجود اليهودي المستمر لم يكن ذا أهمية لأي مسيحي. من ناحية أخرى، تحكي التقاليد المسيحية عن الوجود المسيحي المستمر في المدينة خلال الفترة الرومانية- البيزنطية. لا توجد حقائق كثيرة تدعم هذا الرأي، على الرغم من أنه ليس من المستحيل وجود جماعة مسيحية صغيرة في اللد خلال الفترة الرومانية. تغير حظ هذه الجماعة خلال الفترة البيزنطية، كما حدث في معظم مدن البلاد في تلك الفترة. كان في اللد أسقفٌ من بداية الفترة البيزنطية، أتيوس، وشارك هذا الأسقف في مجمع نيقية (325 ميلادي) وأيد أريوس، زعيم تيار الجزية الذي حمل اسمه **"أريوسي"**. تشير هذه الحقيقة إلى أن الطائفة المسيحية في اللد كانت أريوسية، أو أن جزءًا كبيرًا منها على الأقل كان أريوسيًا. أريوسية الأسقف أزعجت مكاريوس، أسقف القدس، الذي حاول تعيين أسقف مسيحي أرثوذكسي بدلاً من أتيوس، لكنه فشل في محاولته. أشار أحد التقاليد الحاخامية إلى أن المسيحيين في اللد قاموا بمضايقة يهود أونو المجاورة، والذين ظلوا في غالبيتهم من اليهود كما هو مذكور أعلاه.

يبدو أن ردة الفعل الوثنية الجديدة في عهد جوليان الكافر (361–363 ميلادي) لم يؤثر على الجماعة المسيحية في اللد. سبق أن ذكرنا أن كاهن الكنيسة المهم هيرونيموس درس مع حاخام يهودي في اللد عندما زار المكان. كان هيرونيموس على علاقة ودية مع أسقف اللد في تلك الفترة، ديونيسوس، وقد أرسل اليه مختصين لتعميده. كان أساقفة اللد نشيطين في السياسة الكنسية وعارضوا التيار المسيحي – الأصولي والتيار المسيحي - البيلاچياني (يعود اسمها إلى الراهب بيلاچيوس). تم تقديم بيلاجيوس للمحاكمة في اللد عام 415، ولكن مرة أخرى تم اختيار المدينة كمكان للمحاكمة ربما بسبب موقعها المناسب.

في النهاية، ارتبط المجتمع المسيحي بعبادة القديس الشهيد القديس جاورجيوس. هذا الارتباط كان تدريجيًا لأن القديس جاورجيوس في الأصل كان مرتبطًا بمدينة يافا، وليس مع اللد. ظهر أول ذكر لعبادة وكنيسة القديس جاورجيوس في اللد فقط عام 530 ميلادي في كتابات الحاج ثيودوسيوس. ظهر ذكر ثانٍ في رحلة أنطونيوس الذي ذكر بإيجاز الكنيسة وعبادة القديس جاورجيوس والمعجزات التي قام بها في المنطقة. كما يذكر عمودًا خارج المدينة نُقل إليه يسوع ليُجلد، لكنه تمكن من الفرار منه. حتى نهاية الفترة البيزنطية وما بعدها، هذا العمود تم تعريفه مع أفعال القديس جاورجيوس وطائفته. كانت هناك شائعات عن كنز مخبأ تحت كنيسة القديس جاورجيوس، وربما كان هذا هو السبب في تدمير الكنيسة والمدينة عندما احتل الفرس البلاد عام 614 ميلادي. تم ترميم المدينة من جديد على يد قوات القيصر البيزنطي هرقل عندما احتل البلاد عام 629 ميلادي. يبدو أن النهضة المسيحية لم تدم طويلاً عندما فتح المسلمون البلاد وكذلك المدينة بين 634–640 ميلادي.

ربما لم يتغير المخطط الأساسي للُد كثيرًا خلال الفترة البيزنطية. لا يوجد سبب للافتراض أن المدينة توسعت إلى ما بعد حدودها الشمالية وأن التركيز الرئيسي للحياة الحضرية كان، على الأرجح، في **"المدينة القديمة"**.

كانت التطورات الرئيسية بلا شك مرتبطة بالتغيرات الديموغرافية. بينما تقلص عدد السكان اليهود، نما عدد السكان المسيحيين. أصبحت الأحياء اليهودية مسيحية ولم تعد معظم بيوت المدراش والكنس موجودة، على الرغم من بقاء جالية يهودية معينة في الفترة البيزنطية، وتم الحفاظ على بعض المباني اليهودية. كان التغيير الكبير فيما يتعلق بالسكان المسيحيين هو بناء الكنائس، والتي بدأ بعضها كدور عبادة في منازل خاصة، ولكن لم يتم الكشف عن أي بقايا من هذه الهياكل.

كانت الكنيسة الرئيسية في المدينة هي كنيسة القديس جاورجيوس، وهي مرتبطة بعبادة القديس جاورجيوس، وكانت تقع في وسط المدينة. كانت كنيسة القديس جاورجيوس البيزنطية تقع بالقرب من موقع الكنيسة الحديثة المبنية فوق آثار كنيسة من الفترة الصليبية، وكانت حيث يوجد المسجد الكبير في أيامنا. تم دمج بقايا الكنيسة البيزنطية في بناء المسجد، وهذه هي الكنيسة الكبيرة المصورة في خريطة مادبا. وصفت خريطة مادبا كنيسة صغيرة أخرى إلى الشمال من كنيسة القديس جاورجيوس، ومن الممكن أن تكون هذه الكنيسة مرتبطة بشفاء

إينياس المذكور أعلاه، على الرغم من أن وجودها لا تدعمه أدبيات تلك الفترة. تُظهر الخريطة أيضًا شارعي أعمدة، أحاط أحدهما الكنيسة الكبيرة. كان هناك مبنى غير ديني إلى الشمال من الكنيسة وصُور ثلاثة منازل إلى الجنوب من كنيسة القديس جاورجيوس. لم يكن للمدينة سور، كما ذكرنا مرات عديدة.

البقايا الأخرى من الفترة البيزنطية قليلة. عثر على بقايا عدة منازل في حي نفي ييرك بينها حظائر للحيوانات ومطبخ عثر فيه على فسيفساء. في حين تعود تواريخ المباني إلى الفترة البيزنطية، إلا أنها قد تكون موجودة من قبل. تم العثور على أرضية فسيفساء كبيرة في شارع هرتسل، وربما كانت جزءًا من كنيسة بيزنطية.

استنتاجات

ليس من السهل إعادة بناء تاريخ اللد القديم. لا توجد مصادر كثيرة، وتلك الموجودة متفرقة أو إشكالية، مثل الأدب الحاخامي. الاكتشافات الأثرية ليست كثيرة. على الرغم من وجود اكتشافات مذهلة، مثل أرضية الفسيفساء التي ناقشناها في هذا المقال، ولكن بالمقارنة مع الاكتشافات في مدن أخرى، مثل قيسارية، بيسان وصفورية، وما إلى ذلك، هناك قليل من الاكتشافات في اللد، وغير الممكن فهم تاريخ المدينة من خلالها. ربما ستكشف لنا المدينة يومًا ما المزيد من أسرارها، وتسمح لنا بفهم تاريخها القديم بشكل أفضل.

زيارة متكررة إلى فسيفساء اللد

دكتور أمير كورزلزني، سلطة الآثار
ترجمة الدكتور وليد أطرش، سلطة الآثار

مقدمة

يوجد في بلادنا أكثر من 30,000 موقع أثري معروف ومحافظ عليه وفق قانون الآثار. سلطة الآثار، كهيئة قانونية مكلفة بحراسة الممتلكات الثقافية القديمة، تقوم بفعاليات وأعمال مختلفة كي تحافظ على سلامة المواقع الأثرية لصالح الأجيال القادمة. من بين هذه الأعمال يمكننا ذكر المراقبة الشديدة على مخططات البناء وملازمة مشاريع التطوير عن قرب، التي ربما تحدث الأضرار للبقايا القديمة. مهمة مراقبة تجديد البنية التحتية، رغم أهميتها، قد تكون مملة للباحث الأثري. ولكن المهمة العادية لمراقب الآثار في اللد عام 1996 انقلبت بشكل فجائي لمفيدة جدًا، بعد الكشف عن بقايا قديمة كاملة وعن أحد الهياكل المهمة المكتشفة في السنوات الأخيرة والذي شاع خبرها في جميع أنحاء البلاد والعالم "فسيفساء اللد". نقلت أرضية الفسيفساء من مكانها لصالح بناء متحف للزوار، وعرضت في العديد من متاحف العالم الشهيرة. وحازت أرضية الفسيفساء في كل متحف عرضت فيه لإهتمام غير مسبوق من قبل الباحثين والجمهور العريض. بعد إنهاء بناء متحف فسيفساء اللد أعيدت أرضية الفسيفساء وهي معروضة اليوم للباحثين والجمهور الكريم.

تقع مدينة اللد بالقرب من الضفة الجنوبية للوادي الكبير (أيالون)، منطقة خصبة وسهلة الوصول منها إلى مصادر المياه. هذه الحقيقة، إلى جانب موقعها المميز بمحاذاة أحد تشعّبات طريق البحر القديم، الذي ربط مصر بسوريا وبلاد ما بين النهرين، فقد ساهم ذلك في ازدهارها منذ القدم. كشفت التنقيبات الأثرية في اللد عن بقايا من العصور الحجرية، الكنعانية، الحديدية والفارسية. خلال فترة الهيكل الثاني أصبح للمدينة أهمية كبيرة كمركز توراتي كبير، وبلغت أوجها في فترة تمرّد اليهود على الرومان. تغيّر وضع المدينة مع نشوب تمرد بار كوخفا (132–135 للميلاد)، مع أن المدينة نفسها لم تتعرّض للهدم أو الخراب. بين السنوات 199–200 أعطى القيصر سبطيميوس سيڤريوس المدينة اللقب المرغوب فيه "كولونيا". وفي الفترة ذاتها صكّت المدينة عملات خاصة بها. خلال الفترة البيزنطية برزت كنيسة القديس جاورجيوس في المدينة، التي تقع بالقرب من الكنيسة الحالية الحديثة، العائدة بالأصل للفترة الصليبية. أما في الفترة الإسلامية المبكرة فقد تراجعت أهمية المدينة بعد بناء مدينة الرملة، عاصمة جند فلسطين، بمبادرة حاكم الجند سليمان بن عبد الملك.

التنقيبات الأثرية

تاريخ البحث

يقع حي السكني "نڤي يرك" واحة النبات في اللد جنوب-شرق التل. آثاره المتبقية بحثت بطريقة شاملة، حيث كشف في الماضي بالقرب من موقع الفسيفساء على العديد من البقايا المعمارية من الفترات الرومانية، البيزنطية والإسلامية المبكرة. يتضح من نتائج الأبحاث أن هذا الحي ازدهر خلال الفترة الرومانية المتأخرة، ومنازله السكنية

ضخمة، وتشتمل على قصور لسكان أثرياء مكانتهم عالية، ربما من حكام المدينة، موظفو حكومة، تجار أثرياء والنخبة المثقفة في المدينة. شهادة على ذلك العثور بالقرب من المكان على موجودات ثمينة، بما فيها فسيفساء كثيرة وأجزاء معمارية من الرخام. هذه الموجودات تشهد على مستوى حياة عال يتميز بفخامة وترف ونعيم الحكم. أمتار قليلة من التنقيب الحالي عثر على أرضيات فسيفساء إضافية.

تزامنا مع اكتشاف أرضية الفسيفساء جرت العديد من تنقيبات الأنقاذ الأثرية، محيطهما وموقعهما تقرر بداية وفق احتياجات تطوير المنطقة. سرعان ما تتغير الطريقة وتكونت استراتيجية جديدة ضمت بداخلها احتياجات الحفظ ومشاركة الجمهور التي اخذت بالاعتبار من خلال أبحاث موجهة. التنقيب الأول، بإدارة الدكتورة مريم أبيسار، كشف عن أرضية فسيفساء مذهلة بجمالها وتمتاز بمستوى حفظ عالٍ، عرفت كجزء من غرفة الضيافة (طركلين) التابعة لڤيلا من الفترة الرومانية المتأخرة (القرن الثالث والرابع الميلادي، الشكلين 1–2).

الشكل 1. مسطبة الفسيفساء الشمالية التي كشف عنها عام 1996 (تصوير: نيكي دافيدوف، سلطة الأثار).

الشكل 2. ثلاث سجادات التابعة لمسطبة الفسيفساء الشمالية (تصوير: نيكي دافيدوف، سلطة الأثار).

كثير من الجماهير طلبوا السماح لهم بالاقتراب ومشاهدة أرضية الفسيفساء المكتشفة. سلطة الآثار فتحت الموقع لزيارات الجمهور في نهاية أحد الأسابيع، وكانت استجابة محبي الآثار قوية. سابقًا مع نهاية موسم التنقيبات الأول، كان واضحًا للمنقبين رغم أهمية الاكتشاف وكبره، أن هناك الكثير من البقايا المخفية عن البقايا المكشوفة، ويجب إكمال عمل التنقيب، والكشف عن الفسيفساء. بسبب شحّ الموارد المالية وعدم اليقين بشأن مستقبل القيلا، تقرر تغطية أرضية الفسيفساء بطبقة من التراب كي يحافظ عليه حتى يقرر مصيره. خلال عام 2009، بعد

أن تبرعت شلبي وايت بناء مركز للزوار فيه تعرض أرضية الفسيفساء بشكل دائم. لحاجة البناء كان من الضروري إزالة أرضية الفسيفساء من الموقع بشكل مؤقت، لأن أعمال البناء يمكن أن تسبب بأضرار لها. في نفس السنة تم الكشف عن أرضية الفسيفساء بإدارة الباحثة الدكتورة مريم أبيسار وبمساعدة الدكتور أمير كورزلزني. وإذا تم اخراج الفسيفساء، لماذا لم نعرضه في أرجاء متاحف العالم؟ لذلك من تلك السنة تم عرض أرضية الفسيفساء في أشهر متاحف العالم. من بين المؤسسات التي استضافت الفسيفساء يمكننا ذكر بعض هذه المتاحف مثل متحف اللوفر في باريس، المتحف البريطاني في لندن، متحف هيرميتاج في سان بطرسبرغ، متحف فيلد في شيكاغو، متحف كولومبوس في أوهايو، متحف أطلس في برلين (الشكل 3)، بيت الفن الإبداعي ودسدون منور في إنجلترا، متحف الفنون الجميلة في سان فرنسيسكو، متحف جامعة بنسلفانيا للآثار والأنثروبولوجيا، متحف فروست للفنون في ميامي وفي البندقية.

في عام 2009، بعد إزالة أرضية الفسيفساء من الموقع وإرسالها للعرض في متالحف العالم تم تكليف الدكتورة مريم والدكتور أمير كورزلزني، من سلطة الآثار للقيام بالتنقيبات الأثرية في الموقع المعدّ لإنشاء مركز للزوار. خلال موسم التنقيبات تم الكشف عن أرضية فسيفساء فخمة إضافية، لا تقل بجودتها عن تلك القديمة. أطلق على أرضية الفسيفساء هذه الفسيفساء الجنوبية (الشكل 4). لم تكتمل عملية الكشف عن أرضية الفسيفساء، لأن قسم من الأرضية يمتد تحت الشارع الرئيسي للحي السكني الحديث. عام 2014 بعد تغير مسار الشارع، كان بالإمكان إتمام الكشف عن أرضية الفسيفساء الجنوبية.

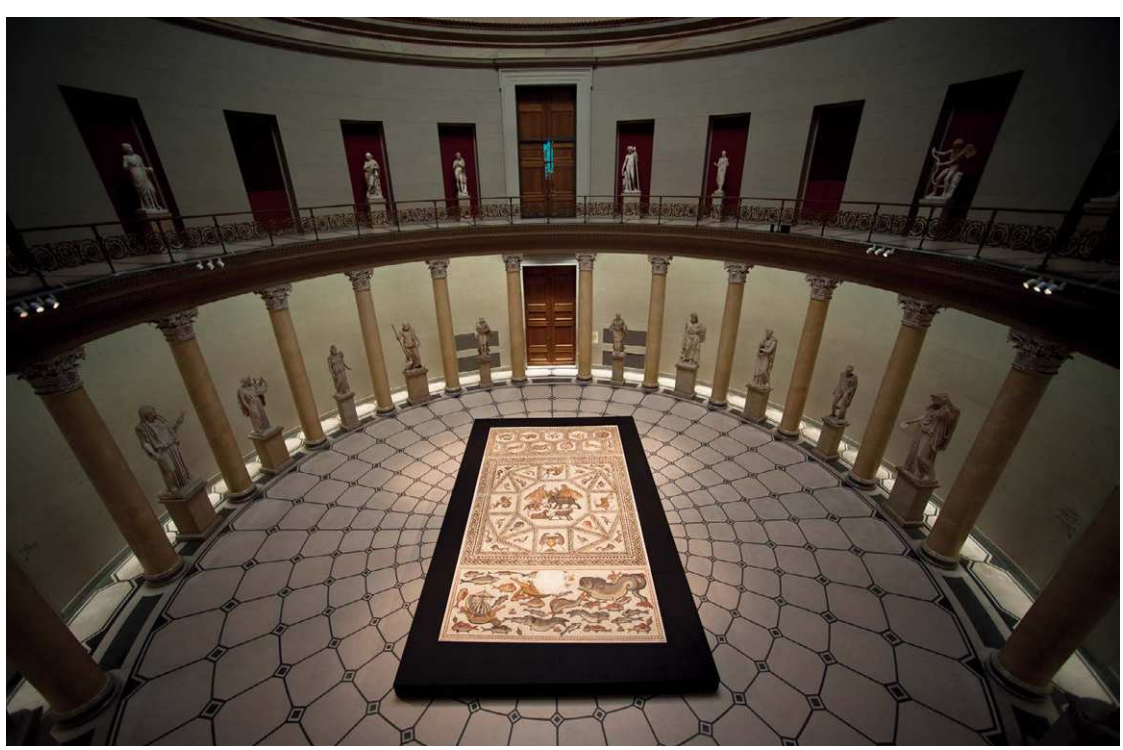

الشكل 3. مسطبة الفسيفساء الشمالية في متحف برلين (تصوير الصحفي: أوي شتاينرت).

الشكل 4. اكتشاف مسطبة الفسيفساء الجنوبية عام 2009 (تصوير: أمير كورزلزني، سلطة الأثار).

في نهاية موسم التنقيبات عام 2014 استطاع الباحثان من الكشف عن أنقاذ ڤيلا فخمة أقيمت على الطراز الروماني، ولها عدة أجنحة، تشتمل على غرفة ضيافة مركزية، غرف سكنية وفناء مركزي محاط بالأعمدة (الشكل 5).

لم يُكشف عن الجناح الشرقي بالكامل لوجوده تحت البنايات السكنية الحديثة. واتضح أن الڤيلا، التي أرّخت إلى القرن الثالث الميلادي، أقيمت فوق أنقاض مبنى قديم، المؤرخ للقرن الأول الميلادي، وأرضيته أيضًا مصنوعة من الفسيفساء الفخم، ومزين بأشكال هندسية يختلف عن طراز تزيين أرضية الفسيفساء المتأخرة. بعد أن هدمت الڤيلا وهجرت، أقيم فوق أنقاضها، خلال الفترة البيزنطية، بيت كبير حافظ بخطوط عامة على مخططها الأصلي، هذه الحقيقة تشير إلى استمرارية استعمال المبنى. فقط خلال الفترة الإسلامية المبكرة حدث تغير جذري في مخطط المنطقة، حيث أن أرضية الفسيفساء الفخمة أغلقت بطبقة سميكة من الطمي وفوقها بنيت أرضية بجودة عالية، مصنوعة من ألواح الحجر الجيري (الشكل 6). ربما خلال الفترة الأموية تحولت هذه المنطقة إلى ساحة مفتوحة أو إلى درب. هذا الادعاء دعم بعد الكشف عن بئر مياه عميق عثر على روزنته بمستوى مرتفع عن أرضية الفسيفساء (الشكل 7). حفر بئر مياه أدى الى إصابة الفسيفساء الروماني بأضرار فقط في طرفه المصنوع من الفسيفساء البيضاء، دون إحداث أضرار للصور المركزية. كذلك كشف عن بقايا قليلة من الفترتين العباسية والعثمانية. في نهاية أعمال التنقيبات استطعنا تحديد تسلسل تاريخ طبقات البناء في الموقع على النحو التالي:

طبقة 0 مؤرخة لفترة الانتداب البريطاني.

طبقة I مؤرخة للفترة العثمانية المتأخرة.

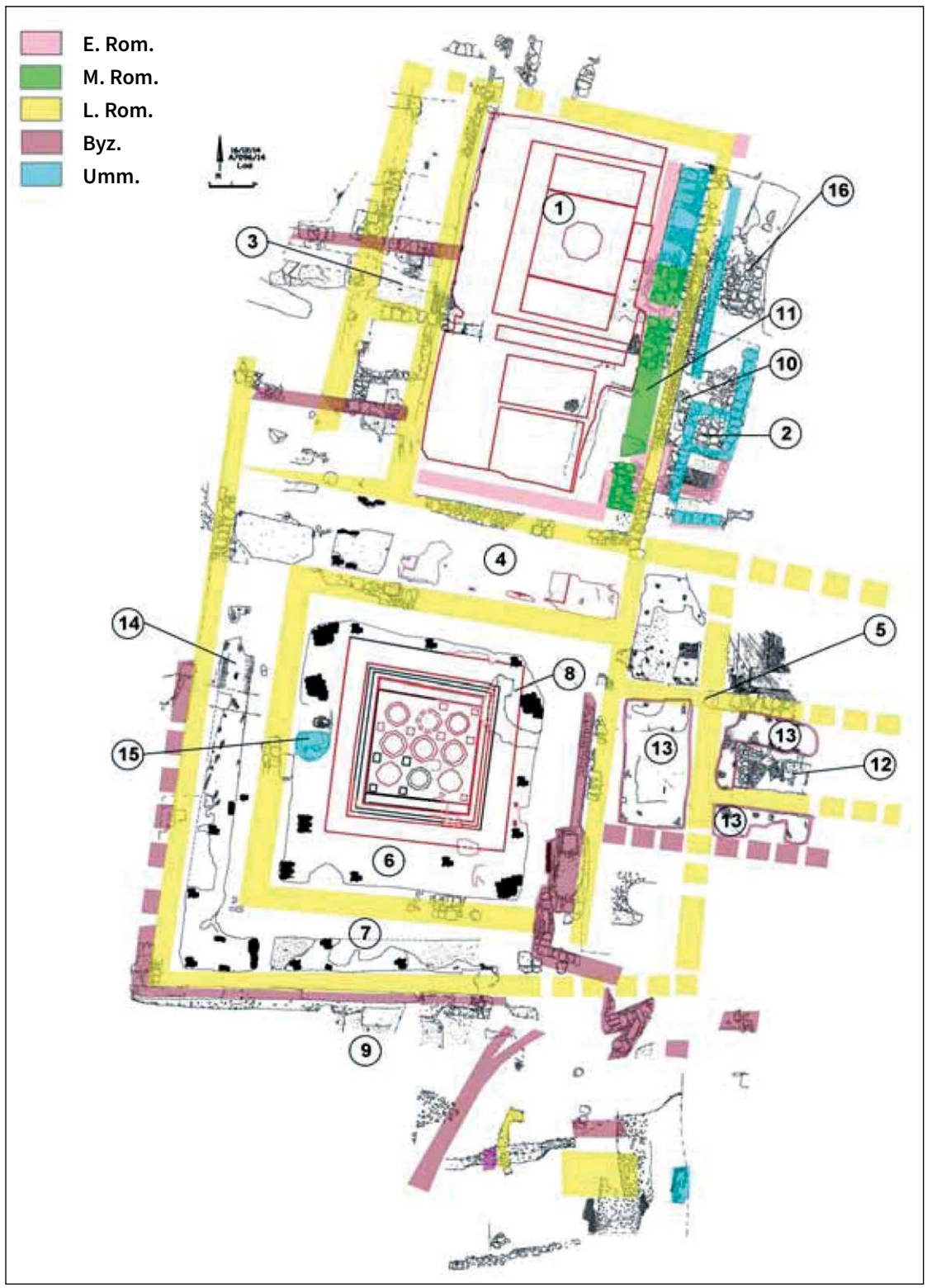

الشكل 5. مخطط الڤيلا بعد نهاية موسم التنقيبات عام 2014 (رسم: نطليا زاك، سلطة الآثار).

الشكل 6. مسطبة ألواح حجرية من الفترة الأموية التي غطت مسطبة الفسيفساء الجنوبية. تصوير: أمير كورزلزني، سلطة الآثار.

الشكل 7. بئر مياه أموي هدم أطراف مسطبة الفسيفساء الجنوبية (تصوير: أساف بيرتس، سلطة الأثار).

طبقة II مؤرخة للفترة العباسية (النصف الثاني من القرن الثامن وبداية القرن التاسع الميلادي).
طبقة III مؤرخة للفترة الأموية (القرنان السابع والثامن الميلاديان).
طبقة IV مؤرخة لنهاية الفترة البيزنطية (نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع الميلاديان).
طبقة V مؤرخة للفترة البيزنطية (القرنان الخامس والسادس الميلاديان).
طبقة VI مؤرخة للفترة الرومانية المتأخرة (القرنان الثالث والرابع الميلاديان).
طبقة VII مؤرخة للفترة الرومانية الوسطى (القرنان الثاني والثالث الميلاديان).
طبقة VIII مؤرخة للفترة الرومانية المبكرة (القرنان الأول والثاني الميلاديان).

"سوف نتطرق الى بقايا الطبقة VI، التي تمثل المكتشفات المهمة في الموقع"

الڤيلا الرومانية

كُشف عن ڤيلا رومانية فاخرة بالكامل تقريبًا، التي كانت جزءًا من حي سكني للأغنياء. خلال التنقيبات كشف عن مجمع سكني له سمات رائعة جدًا. إضافة إلى أرضيات الفسيفساء الفاخرة تم العثور على كمية كبيرة من أواني فخارية، عملات نقدية، أدوات حجرية وقطع أثرية مصنوعة من الصلب، أجزاء كثيرة من فرسكو ملون تشهد على زركشة وتصميم بمستوى رفيع الذي يميز حياة الرخاء المعيشي والحضري لسكان الڤيلا. كما عثر على جزء من إفريز باستعمال ثانوي في احد الجدران، ربما يرمز الى الفترات المبكرة ووجود بيت مميز بثروة العظيمة. هذا الافتراض معزز باكتشاف أرضية فسيفساء مزينة بأشكال هندسية مؤرخة للطبقة VIII (القرنان الأول والثاني الميلاديان)، مع أنها كشفت بشكل جزئي، ولكن فيها الكثير من الموجودت التي تشهد على ثراء سكان المكان على مر الأجيال (الشكل 8).

يشمل مخطط الڤيلا على عدد من الأجنحة: جناح شمالي يضم صالة فاخرة (الشكل 1:5)، جناح جنوبي فيه ساحة مركزية محاطة على الأقل من ثلاث جهات بالأعمدة (الشكل 6:5)، بقي منها أرضية فسيفساء فاخرة وآثار جدار (الستيلوبات) وصمدت فوقه قاعدة عمود واحد. أرضية هذه الساحة مصنوعة من الفسيفساء البيضاء (الشكل 7:5). الجناح الشرقي يتكون من غرف السكن، أرضياتها مرصوفة بالفسيفساء الملونة، عالية الجودة ومزينة بأشكال هندسية مُذهلة. يفصل بين الجناح الشمالي والجناح الجنوبي ممر (الشكل 4:5) مرصوف بفسيفساء أبيض، وله اطار أسود رقيق اتجاهه شرق-غرب. يؤدي هذا الممر إلى الشرق وإلى غرف السكن، وتم الوصول إليهم عن طريق بيت درج مكون من درجتين أو ثلاثة.

يصل المحور الطولي للمجمع إلى حوالي 42 مترًا، اتجاهه شمال-جنوب وغير مستقيم. يوجد على طوله بعض الميلان بزوايا صغيرة، ما يعزز تقييمنا أن جنحي الڤيلا لم يقاما كوحدة واحدة متكاملة، وأن قسمها الجنوبي أضيف في وقت لاحق. مع ذلك، ربما استعمل المبنى لفترة طويلة، وفي مرحلة معينة استغلت جميع أقسامه، ساعة وصلت الڤيلا إلى أقصى إرتفاعها. بناء الڤيلا على عدة مراحل واضحة من خلال عملية تحليل نمط الفسيفساء المرصوفة بين الأجزاء المختلفة في السجادة الشمالية. ووفق رأي الدكتورة رينا تلجام، خبيرة الفسيفساء يمكن التمييز في عدم الدقة في رصف حجارة الفسيفساء البيضاء حول رسمة الأمفورا، ومنها يخرجون أغصانًا تقف عليها طيور. يشير عدم الدقة برصف الفسيفساء إلى تصليحات، أو إنجاز هذا العمل في مرحلة متأخرة أكثر، وليس من المستحيل، ففي هذا المكان انتصب جدار في مرحلة ما وهدم لأجل توحيد الغرفتين إلى غرفة كبيرة.

ليس دائمًا يمكننا التعرّف على اتجاه جدران الڤيلا، بسبب حفظها السيء ونهب كبير لحجارتها. بكثير من الحالات نعتمد في استعادة جدران البناء على قنوات النهب التي بدورها تدل على مكان موقع الجدران بعد أن أخذت حجارتهما للاستعمال مرة اخرى. في موسم التنقيبات هذا تم تحديد الطرف الشمالي للصالة الفخمة (تركلينيوم) الذي نقب عنه عام 1996، وهو جدار بعرض 0.8 متر. كشف عن معظم طول جدار الطرف الشرقي، وهو بعرض

الشكل 8. مسطبة فسيفساء من الفترة الرومانية (طبقة VIII) التي كشفت تحت أساسات الڤيلا (تصوير: أساف بيرتس، سلطة الأثار).

0.6 متر. هذا الجدار هدم طبقة قديمة من الفترة الرومانية المبكرة، وكشف منها بقايا أرضية فسيفساء مزينة بأشكال هندسية. وتجدر الإشارة الى أرضية فسيفساء مشابهة جدًّا بنمطها، كشف عنها في الماضي مقابل هذا الموقع. جداران متوازيان، الأول يحد الفسيفساء المركزية، والثاني يشكل الطرف الغربي للمبنى. يكون الجداران

معًا ممرًا طويلًا عرضه متران، أو ربما منظومة غرف طويلة تحد الصالة المركزية من الغرب. ردهة مستطيلة (3.5 × 11 متر) يمكننا من خلالها الوصول الى الجناح الشرقي. هذه الردهة، محورها الطولي في إتجاه شرق-غرب، أرضيتها مرصوفة بفسيفساء بيضاء ولها إطار أسود.

الفسيفساء الشمالي (الصالة المركزية - التركلين)

وصفت في الماضي أرضية الفسيفساء بشكل دقيق. مساحتها 153 م2 (17 × 9 متر)، أكبر سجادات الفسيفساء في البلاد من الفترة الرومانية. إذا حكمنا حسب بقايا الفرسكو الكثيرة التي عثر عليها داخل طبقة الطمي الذي غطى الفسيفساء، يمكننا الافتراض أن جدران المبنى الخارجية كانت مزينة بصورة مذهلة. سجادة الفسيفساء مقسّمة إلى ثلاثة أقسام، قسمان بالأطراف مستطيلان والقسم المركزي مربّع. المستطيل الشمالي مزيّن بتسعة أشكال هندسية سداسية وبنصفي مسدسَين مرتبين بصفين ولهما إطار (جيواش) مصنوع على شكل جديلة. زخرفة مشابهة تؤطر كذلك الأشكال الهندسية السداسية، المزخرفة بلوحات تصف صراعًا بين حيوانات أو صائد ومصيود، ومشهد حيوانات بحرية، طاؤوس، دجاجة وحولها فراخها وسلة مليئة بالأسماك.

السجادة المركزية (الشكل 9) مزيّنة بمضلّع من اثني عشر ضلعًا، وفي داخله مثمّن محاط بمربّعات ومثلّثات متساوية الأضلاع، رؤوسها موجهة باتجاهات معاكسة على التوالي. المثلّثات مرتّبة في مجموعات، وكل مجموعة مكونة من ثلاثة مثلثات حول مثمّن تفصل بينها مربعات من أربع جهات. في كل مجموعة من مجموعات المثلثات الثلاثة، في المركزي رسمة سمكة وفي المثلثات الخارجية رسمة طير. في المربعين الفاصلة بين المثلثات لوحة

الشكل 9. طلاب من جامعة رنمين (بكين- الصين)، يساعدون بتنظيف مسطبة الفسيفساء الجنوبية (تصوير: أمير كورزلزني).

وصف صيد أو قتال بين حيوانات، وفي الثالث رسم كلب، مربوط بحزام، يترصد لأرنب يأكل العنب وفي الرابع زوج نمور أو فهود تتسابق فوق جانبي مزهرية.

السجادة المركزية تشكل العنصر الأساسي في زركشة وتزيين الفسيفساء. يضم بداخله زوج من الحيوانات، أسد ولبؤة متقابلان، كل منهما رابض فوق صخرة كبيرة، ويحدقا بعضهما البعض. بين الصخور نرى نهرًا أو مستنقعًا وفي داخله حيوان مائي ميثولوجي معروف باسم كيطوس (Ketos). عند قدم الصخور وصف خمسة حيوانات من أصل إفريقي، في اتجاه الساعة، صُمم فيل، ثور، نمر، وحيد القرن وزرافة. يمكن ملاحظة أن جسم الفيل يحمل نموذج خطوط متقاطعة تكوّن معينات. يمكن هذا، عبارة عن قماش أو درع الذي يغطي جسمه. وصف مشابه ممكن العثور عليه في فسيفساء ڤيلا رومانا ديل كاسالي (Piazza Armerina) في صقليا. في كل زاوية من زوايا هذا الإكليل، معروض زوج من الدلافين متقابلين ويفصل بينهما مذراة نبتون.

اللوحة الجنوبية مزينة بمشاهد مختلفة على الإطلاق وتتميز بزخارف مائية فقط. مجموعة من الحيوانات البحرية موزّعة بكل أنحائها وهي تسبح في اتجاهات مختلفة. بين أصناف الأسماك التي تم التعرف عليها حوت وأسماك مثل: أفروما، موليت، مأكولات بحرية، باركودا والنهاش. كما يوجد وصف لأصداف بحرية مختلفة. جميع هذه الأسماك تسبح حول قاربين شراعيين كانا قلب الأسطول التجاري الروماني في البحر المتوسط.

السجادة الجنوبية أيضًا مقسمة إلى لوحتين. الشمالية منهما تعرض تسعة طيور مختلفة واقفة على غصون أشجار، مرتبة برفّين وينظران إلى اتجاهات مختلفة. عدد من الرسومات تضررت من بناء ماسورة وضعت داخل قناة حفرت في أرضية الفسيفساء. الشخصيات الشمالية-الغربية دُمّرت تقريبًا كليًا. كانت اللوحة محاطة بإطار مزدوج. الإطار الخارجي مكون من أشكال هندسية على هيئة معينات باللون الأحمر، وفي مركزها نقاط باللون الأبيض، أما الإطار الداخلي فصنع على نموذج جديلة ملونة. اللوحة الجنوبية تعرض نموذج ضفائر بمجموعة متنوعة من الألوان، التي تصنع أكاليل أو نجوم سداسية الشكل، وأضلاعهما مقعرة قليلًا؟، داخل كل واحد من الأكاليل معروض حيوان من نوع مختلف: حيتان، طيور، نمور وأسود.

الفسيفساء الجنوبية (الفناء المركزي)

المكتشف المهم في موسم تنقيبات عام 2014 عثر عليه جنوب الردهة. كشف عن فناء مركزي مستطيل الشكل (13 × 11 مترًا) ومحاط من جميع جوانبه بأعمدة (الشكلين 10 – 11). مركز الفناء رصف بالفسيفساء الملونة يعرض عدد من الإطارات المستطيلة (الخارجي منهم 9 × 8 مترًا) وفي داخله ثلاثة صفوف وثلاثة أسطر لمداليات مثمّنة، وفيها معروض لوحات من عالم الأحياء، تشمل مشاهد صيد وصراع بين الحيوانات، ربما في إطار ألعاب لتسلية الجماهير العامة. هذا الادعاء يرتكز على الحقيقة الموجودة في أحد المداليات. يمكن تميز أكاليل ورايات في الخلفية، مشهد من شأنها أن تمنح لهذا الموقف طابعًا احتفاليًا. المشهد الظاهر في مدالية ثانية، فيها نمر مربوط جسمه بحزام، واثب على فريسته، تشهد على صيد من قبل حيوانات مروضة ومدربة للعرض (الشكل 12). عنصر مشابه معروف في فسيفساء ڤيلا رومانا ديل كاسالي في صقليا، وفيه مشهد لنَمِرة بعد الولادة جسمها مربوط بحزام مشابه للحزام الموجود على جسم نمر اللد. مشهد لنمرين مربوطين معروفة كذلك في الفسيفساء التي كشفت عنه في كيبوتس إِرِز، وفيه مشهد لرجل يمسك نمرين بأحزمة، خلال مسيرة تكريمًا للإله ديونيسيوس.

معروض داخل مداليتين ثلاثة أسماك، وفي مداليتين أخريين مشاهد طيور متجهة نحو سلة خضراوات أو أمفورا، تقع في منتصف السجادة. ترتيب المداليات، مع الشخصيات، متجهه نحو الإطار، تمكننا من مشاهدتهما من كل نقطة حول الفناء.

الشكل 10. الاكليل المركزي في مسطبة الفسيفساء الشمالية (تصوير: نيكي دافيدوف، سلطة الأثار).

الشكل 11. مسطبة الفسيفساء الجنوبية، في الزاوية اليمنى يمكننا مشاهدة انهيار الفسيفساء لداخل خزان مياه قديم من الفترة الرومانية المبكرة (تصوير: أساف بيرتس، سلطة الأثار).

الشكل 12. مسطبة الفسيفساء الجنوبية، وصف نمر صيد مربوط بحزام يفترس غزال (تصوير: أمير كورزلزني).

على ما يبدو، الفناء، الذي فيه ميلان بسيط باتجاه جنوب-شرق، كي يمكن تصريف مياه الأمطار، كان محاطًا بأعمدة وردهات مسقوفة. تضررت أرضية الفناء جراء حفر بئر مياه خلال الفترة الأموية. روزنة البئر، وبجوارها مرفق مبني مغطى بالجص.

القسم الشمالي – شرقي الفسيفساء انهار الى داخل صهريج مياه أقدم. هذا مكننا من جمع شقف فخار من أساس أرضية الفسيفساء الجنوبية التي ساعدت في تحديد تاريخ الفسيفساء للقرن الثالث أو بداية القرن الرابع الميلادي.

أرضية فسيفساء إضافية كشفت في الجناح الشرقي من الڤيلا، ويضم هذا الجناح غرفتين على الأقل استعملتا أيضًا في الفترة البيزنطية، بعد بناء أرضيات جديدة وتم تغيير تخطيطهما.

بعض الملاحظات عن طريقة رصف الفسيفساء

وضع حفظ الفسيفساء الممتاز، نقله بصورة حرفية مع توثيق كامل والحاجة لتجهيزه للسفر في جميع أنحاء العالم، أدى إلى توحيد جهود مشتركة لمختصين من مواضيع مختلفة. نتيجة لذلك، بحث الفسيفساء أصبح من جهة حملة دراسة لمواضيع مختلفة، ومن جهة أخرى مكننا من التعمق في دراسة أدق المعلومات الصغيرة. خبراء في علم الآثار، فنانون، مختصو الحفاظ على الآثار والترميم، خبراء فخار، عملات قديمة، فرسكو، تاريخ، نقوش، تصوير، متاحف وفروع كثيرة أخرى تواصلوا معًا لكي يتمكنوا من الوصول إلى أفضل نتيجة.

كذلك في القدم، رصف أرضية الفسيفساء كانت عملية مركبة التي تمت على يد فريق كامل من الحرفيين، ولكل واحد وظيفة محددة. مدير الفريق (pictor imaginarius) الذي كان العقل المدبر والفنان منتج اللوحات. المسؤول عن الميزانية وحساب كميات مواد البناء (pictor parietarius). المسؤول عن تحضير الشيد والجص (calcis coctor)، هذه المواد بنيت كأساس للفسيفساء من قبل (pavimentarius) كي يضع مختص الفسيفساء (pictor musaeruis) قطع الحجارة بمساعدة مساعده (tesselarius)، التي قطعت سلفًا وفق الأحجام المطلوبة على يد (lapidarius). مرسوم الحد الأقصى للأسعار من قبل القيصر ديوكلتيانوس (حكم 284 – 305 م) الذي جاء لكي يتغلب على الأزمة الاقتصادية في الإمبراطورية، يوفر معلومات عن الرواتب التي تقاضاها الحرفيون في القرن الثالث الميلادي. تقاضى كل حرفي 50 دينارًا أجرة كل يوم عمل ما عدا (pictor parietarius) الذي تقاضى 60 دينار و- (pictor imaginarius) 150 دينار.

بحث المواد الخام للفسيفساء، يعرض كمية هائلة من الظلال التي صنعت من فسيفساء القزاز (الشكل 13). يمكننا تمييز ألوان كثيرة بين أصفر، أخضر، أزرق غامق وأزرق فاتح. يبرز استعمال الفسيفساء الذهبية. تتميز طريقة إنتاج حجارة الفسيفساء المذهبة بلسق طبقتين من الزجاج: السفلى سميكة والعليا أقل سماكة، وبينها طبقة رقيقة جدًا من الذهب، تمنح الحجر مظهرًا رائعًا وفريدًا من نوعه. هذه الطريقة كانت شائعة في الفترة البيزنطية في بناء فسيفساء جدران.

أعمال الحفظ ونقل الفسيفساء الشمالي مكنت نظرة نادرة لطريقة البناء على يد الفنانين والحرفيين. آثار أقدام مميزة لعمال كشفت في جص أساس المسطبة. كان متبعًا وقت رصف الفسيفساء، وضعه على جص طري (الشكل 14). يمكن تمييز آثار صندل، وكذلك آثار أقدام صغيرة حافية. يمكن أن آثار الأقدم الصغيرة تابعة لولد رافق أباه للعمل، أو شاب يتعلم الحرفة؟ محتمل أن يكون الشاب لابن الفنان الحرفي. كذلك عثر على أثار قبضة يد في الجص الطري. نادرًا ما تم الحفاظ على هذه العلامات واكتشفت مع إزالة الفسيفساء. نظرًا لأهميتها، تم حفظ آثار القدم وإزالتها من موقعها وعرضها في المعرض الدائم في مركز الزوار.

الشكل 13. سجادة من الفسيفساء مزينة بمزهرية وحولها طيور (تصوير: نيكي دافيدوف، سلطة الأثار).

الشكل 14. أثار قدم أحد الفنانين الذين صنعوا الفسيفساء مختومة على الملاط الطري قبل اكمال العمل (تصوير: نيكي دافيدوف، سلطة الأثار).

حدث اكتشاف آخر مع رفع الفسيفساء الشمالية. تم تمييز الخطوط والعلامات المحفورة على الجص. أيضًا، في منطقة المشهد البحري، يمكن للمرء أن يلاحظ اللوحات المرسومة على الجص المبلل بأصباغ وألوان متنوعة، أولاً في الفجوات التي تم إنشاؤها بسبب عدم وجود أحجار، ولاحقًا في أماكن أخرى أيضًا. هذه التقنية المعروفة باسم سينوبيا (الشكل 15)، خلقت نوعًا من الرسم التخطيطي اعتمد عليه الفنانون لوضع الأحجار وإنشاء نماذج دقيقة ومعقدة. السينوبيا عبارة عن صبغة بنية داكنة تتكون من الطين، وهو خام طبيعي من معدن الحديد. على مر السنين، اتخذ الاسم معنى الرسم التخطيطي الذي تستند إليه الأعمال الفنية، مثل اللوحات الجدارية والفسيفساء. من الشائع في عالم الفن اليوناني والروماني عمل رسومات من هذا النوع بلون واحد فقط، عادة ما يكون بنيًا أو أسود.

يوجد في فسيفساء اللد قدر كبير من الاستثمار والتخطيط الدقيق لسينوبيا. في تاريخ الفن حتى الآن دليل غير معروف على سينوبيا بظلال كثيرة. تشمل ألوان سينوبيا اللد أحمر، أصفر، أخضر وأسود. وفقًا للاختبارات المعملية التي أجريت على السينوبيا الموجودة تحت المشهد البحري في الفسيفساء الشمالي، بالتعاون مع خبراء من جامعة بدوفا في إيطاليا ، تم تحديد أصباغ من خمسة أنواع أحمر أوكرا، أصفر أوكرا، أخضر ترابي، أسود كربوني وبلوطي أحمر.

جميع المواد المذكورة أعلاه غير مكلفة نسبيًا وسهلة الإنتاج ما عدا البلوطي الأحمر. يمكن العثور على تفسير وجودها بين أصباغ اللد في حقيقة أن السينوبيا المذكورة استثنائية من حيث جودتها وتشكل عملًا فنيًا في حد

الشكل 15. جزء من سينوفيا فيها ممكن أن نميز برسومات ملونة فوق الملاط (تصوير: نيكي دافيدوف، سلطة الأثار).

ذاتها. لذلك من المحتمل أن يكون للفنان الذي رسمها مهنة فريدة وذات سمعة طيبة، وعمله ذو قيمة ثمينة. في هذه الحالة، لا ينبغي أن نتفاجأ أنه استخدم مواد عالية الجودة وباهظة الثمن. هذا التعدد الغير عادي للظلال غير مقبول في لوحات سينوبيا في العالمين الروماني والبيزنطي، وقد طرح السؤال عن سبب وجود هذه الظاهرة في اللد. قد يكون السبب المحتمل هو أنه في ضوء التعقيد المتوقع لنماذج الفسيفساء، وبسبب المتطلبات الصارمة للعميل، كان على الفنانين القيام بخطوات أولية غير تقليدية وتكريس فكر خاص واستثماره للتخطيط والإعداد من أجل تحقيق النتائج المرجوة.

الخلاصة

تعتبر فسيفساء اللد اكتشافًا استثنائيًا (شكل 16) نظرًا لحالة حفظها النادرة، والتقنية التي وُضعت بها، وجمال وتنوع الأشكال الفنية المعروضة فيها. تم بناؤها في مجمع سكني ثري، ڤيلا فاخرة يعود تاريخها إلى أواخر الفترة الرومانية. تشير اكتشافات التنقيبات إلى النشاط في الموقع الذي بدأ في الفترة الرومانية المبكرة، ثم تم بناء

الشكل 16. تصوير جوي للمنطقة التنقيبات بنهاية موسم عام 2014 (تصوير: سكاي فيو).

منزل في الموقع، ربما لا يقل روعة وجمال، واستمر في الفترة البيزنطية عندما تم بناء منزل آخر فوق القيلا التي حافظت بشكل عام على القديم. حدث تغيير جوهري في تخطيط الموقع في أوائل الفترة الإسلامية. كانت المنطقة بأكملها مغطاة بطمي هائل، بني عليه فناء أو ربما زقاق. تم تمييز نشاط آخر في الفترة العثمانية، وانعكس في المنشآت وخزانات الصرف الصحي. تم الكشف أيضًا عن اكتشافات تشير إلى نشاط عسكري بريطاني حدث في الموقع في القرن العشرين الميلادي.

كانت القيلا بمثابة بيت في حي فاخر من الفترة الرومانية. إذ عثر في الموقع على قطع أثرية عديدة، تعود إلى الفترة الرومانية المبكّرة وحتى القرن العشرين. إن أرضيات الفسيفساء الفاخرة وعالية الجودة، وبعض مواد الخام الثمينة، التي استخدمها الفنانون في القيلا، تشهد على النتائج التي توصّلت إليها دراسة الفسيفساء، إلا أن هذا الطراز يعود لتكنولوجية بناء ومدرسة فنية مميزة.

ويرى مؤلف هذه السطور أن عرض الفسيفساء له قيمة مضافة تتجاوز بكثير الأهمية العلمية والفنية للاكتشاف. إن اكتشاف مثل هذه القيلا في حي نشط في الفترة الحديثة، والقرار غير البسيط لسلطة الآثار بإبقائه في مكانه وعرضه لعامة الناس في مركز الزوار، يعكس طريقة تفكير بأن التراث الثقافي ملك المجتمع وسكان الحي وجميع الناس. عرض الفسيفساء في حي نڤي ياكار وتركه في المكان يمكن أن يساهم بشكل كبير في تطور المجتمع من حوله، وخلق فرص عمل، وتشجيع السكان بالتعرف على ماضيهم، وتنمية الانتماء والارتباط العاطفي بأيام المدينة المجيدة.

إشارات لمحنة بحرية: مصاعب السفينة التجارية في فسيفساء اللد

دكتور إيلي هداد، سلطة الآثار
ترجمة الدكتور وليد أطرش، سلطة الآثار

مقدمة

كشفت في إبريل عام 1996 في اللد مسطبة من الفسيفساء الملونة أثناء عملية تنقيب قامت بها عالمة الأثار الراحلة مريام أفيسار، وتعدّ واحدة من أهم الاكتشافات في البلاد. مسطبة الفسيفساء تابعة لڤيلا من الفترة الرومانية، ويقدّر تاريخها لنهاية القرن الثالث أو بداية القرن الرابع الميلادي. أبعادها 17 × 9 متر (الشكل 1)، مقسمة الى ثلاث لوحات: لوحتان مستطيلاتا الشكل في الشمال والجنوب، تفصل بينهما لوحة مربعة. كل لوحة مقسمة إلى

الشكل 1. اللد، الفسيفساء التي اكتشفت عام 1996.
نظرة للشمال (تصوير: ن. دافيدوف. سلطة الآثار).

عدة أشرطة. اللوحة المركزية مزينة بأشكال هندسية وبداخلها أسماك، طيور وحيوانات، إطارها الخارجي مربع وبداخله مضلع من اثني عشر ضلعًا، وفي مركزها مثمن مزين برسمات جبلين على قمتهما أسد ولبؤة تواجه بعضها البعض، وبينهما مجرى مائي بداخله حوت أسطوري (كاتوس). عند سفح الجبلين تقف مجموعة من الحيوانات: فيل، زرافة، وحيد القرن، نمر وثور. الفراغ بين المضلعين مقسم إلى أربعة مربعات صغيرة وينها 12 مثلثًا في داخلهما اسماك، طيور وحيوانات. أربعة زوايا اللوحة الواقعة بين المربع والمضلع مزينة بأزواج من الدلافين بينهم مذراة الإله نبتون.

اللوحة الجنوبية، مزينة بمشهد بحري، يصور كمية كبيرة من الأسماك وسفينتين تجاريتين من الفترة الرومانية، التي لفتت أنظار علماء الآثار وعلماء الأحياء والباحثين في الحضارة البحرية (الشكل 2). تضرر قسم من اللوحة بسبب حفرة للصرف الصحي من الفترة العثمانية، أتلفت القسم المركزي وخرطوم السفينة المركزية. كيف كان شكل السفينة قبل إتلافها؟ يبدو مما بقي من الفسيفساء أن هناك رموزا لإتمام الصورة بالكامل تقريبًا. يبدو أن لوحة الفسيفساء الجنوبية توثق حادثة بحرية اجتازتها السفينة، وتعرّضت لحالة طوارئ نتيجة لعاصفة في قلب البحر، وتمكنت من النجاة والوصول إلى ميناء الأمان.

خلال القرن الأول قبل الميلاد وبعد أن طرد بومبيوس القراصنة الذين نشطوا على ممرات الملاحة، سيطر الرومان بشكل كامل على البحر المتوسط، والذي أصبح بحرًا داخليًا رومانيًا وأطلقوا عليه الرومان اسم "بحرنا" (مارا نوستروم باللاتينية). أصبحت روما أكبر مستهلك للحبوب والبقوليات في العالم القديم. أحضرت المحاصيل إلى روما من شمال إفريقيا وخاصة من مصر. لذلك تطلّب تأمين إمدادات القمح التحكّم في الطرق البحرية، وأصبح المسار التجاري الإسكندرية – روما مسارا لمنتوجات أساسية للمواطنين، الذين زادت أعدادهم في روما. مسار آخر ورئيسي كانت الملاحة إلى المحيط الهندي، من موانئ البحر الأحمر إلى ميناء موزيريس في الهند، وهو طريق استخدم لتزويد روما بالفلفل والعديد من السلع الكمالية الاخرى.

كانت السفن الرومانية التي تحمل 100 – 150 طنا شائعة، رغم أن السفن الضخمة في الأسطول التجاري يمكن أن تحمل ما بين 300 – 500 طنا. لم تكن في العالم الروماني سفن مخصصة للركاب. انضم الركاب إلى السفن التجارية حسب وجهاتها. استخدمت السفن لنقل الحيوانات البرية من أفريقيا وآسيا إلى روما من أجل عروض المصارعين (جلدياتور) في حلبات المصارعة. كانت السفن التجارية تسمى باليونانية (السفن المستديرة) التي كانت ذات هيكل

الشكل 2. لوحة الفسيفساء الجنوبية، المشهد البحري (تصوير: ن. دافيدوف. سلطة الآثار).

فريد، وعادة ما يشار إليها من خلال محتوياتها مثل "**ناقلات القمح**" أو "**ناقلات النبيذ**" أو "**ناقلات الحجر**". كان المصطلح اللاتيني للسفينة التجارية "**نافيس أونيراريا**"، وهي من نوعان: البونتو والكورفيتا. وكانت السفن من نوع الكورفيتا أكثر شيوعا وأكبر حجما. وهذه السفن تجارية ومعروفة بالأوصاف التي تظهر في المنحوتات، والجداريات وأرضيات الفسيفساء، ويبدو أن السفن التي تظهر في فسيفساء اللد هي من نوع الكورفيتا.

عادة ما يكون خرطوم السفن التجارية منخفض أقل من جزئها الخلفي، ولها صاري مركزي يحمل شراعًا كبيرًا مستطيلًا أو مربعًا. أتاح جزئها الخلفي المرتفع للقبطان أن ينظر الى الأفق من فوق الخرطوم أثناء تشغيل مجاذيف الدفة. تم توجيه السفينة بمجاديف دفة طويلة الموضوعة في جزئها الخلفي، إما مجداف واحد أو اثنان. كانت السفن التجارية مجهزة دائمًا بمجاديف للتجديف في حالة الطوارئ أو لتشغيل السفينة في حالة عدم هبوب الرياح. وضعت المجاذيف في بطن السفينة: وتظهر السفن التجارية في بعض اللوحات الفسيفسائية وهي تبحر مع الأشرعة والمجاديف. تم تجهيز السفن الكبيرة، بالإضافة إلى الصاري الرئيسي، بصاري أمامي بالخرطوم المائل للأمام نحو الخرطوم، وعليه شراع أمامي (أرتيمون)، وكان الشراع عادةً أصغر من الشراع الرئيسي.

إحدى الشهادات المدوّنة من القرن الثاني الميلادي هي لكاتب يوناني يُدعى "**لوسيان لوكينوس**". يصف سفينة تجارية ضخمة تسمى "**إيزيس**"، كانت من أكبر السفن لشحن القمح من الإسكندرية إلى روما. في إحدى الرحلات، انحرفت السفينة عن مسارها ورست في أثينا. يقال إنه في أثينا جذبت كثيرا من الفضوليين لزيارتها، وكان لوكينوس أحد الزوار الذي حظي بالتواجد في نفس الحدث. وصف لوكينوس سفينة ضخمة، بل ذكر تفاصيل أبعادها: "يا له من صاري عالي وما كانت حمولتها، جزئها الخلفي منحني بشكل جميل، وعليه بطة ذهبية صغيرة. في مقدمة السفينة، على الخرطوم تمثال الإلهة إيزيس، وهذا هو اسم السفينة. يوجد عليها مراسي، وهناك أيضًا قمرة قبطان في جزئها الخلفي. كل شيء رائع في نظري. قيل عن السفينة إنها تستطيع أن توفر مونة وتغذي محافظة أتيكا لمدة عام. وكل هذا، يقوم رجل عجوز صغير بتوجيه السفينة وتحريك مجاديف الدفة الضخمة بقضبان توجيه صغيرة".

كانت معظم السفن التجارية الرومانية صغيرة بالنسبة لمقاييس إيزيس، ولا شك في أنها كانت مميزة.

تكشف التنقيبات الأثرية البحرية عن موانئ قديمة ومواقع ساحلية، وكذلك عن سفن لم يحالفها الحظ، كما جرى لإيزيس وغرقت في البحر. تأتي إجابات الأسئلة المتعلقة بمكان إبحارها وإلى أين وجهتها في الغالب من الأدلة التي تُركت في قاع البحر مع غرق السفينة أو في المواقع الساحلية التي وصلت إليها البضائع من وراء البحار. واحدة من أكثر الشحنات شيوعًا وجدت في حطام السفن في قاع البحر هي شحنة الأمفوروت - جرار فخارية، كان ينقل فيها النبيذ وزيت الزيتون. لكن استعادة جوّ التجارة البحرية يعتمد بشكل أساسي إلى أدلة من مصادر تاريخية، مثل وصف سفينة إيزيس من قبل لوكينوس.

وصف السفينة الكاملة في فسيفساء اللد

صورة السفينة بلوحة الفسيفساء كاملة بجميع أجزائها مع نظام دفتها، مجداف القيادة الأيمن والأيسر المصممين للتوجيه، بارزين من قمرة الربان في جزء السفينة الخلفي (الشكل 3). وصف السفينة في اللوحة من جانبها الأيسر (جانب الميناء)، أي جزئها الخلفي لليمين والخرطوم لليسار، ووجهة إقلاعها للغرب. صاري السفينة في وسطها وهو يضيق نحو الأعلى، ويرفرف برأسه علم صغير أبيض إلى اليسار. يرتبط في ثلثي الصاري عمود أفقي بشراع مربع نموذجي للسفن التجارية من الفترة الرومانية. يوجد فوق الشراع المربع شراع آخر مثلث (Topsail). رفع أو إنزال الشراع يتم بسحب حبل طويل يسمى (Halyard)، وينقص في وصف السفينة التي أمامنا. كان الشراع، الذي تم تعليقه أفقيًا، واسعًا أكثر من جانبي السفينة ومعلقا جزئيًا فوق الماء. وصف الشراع في الفسيفساء لا يتعدى حدود السفينة، ويوجد فوق سطح السفينة بطولها.

الشكل 3. منظر مقرّب للسفينة بأكملها (تصوير: ن. دافيدوف. سلطة الآثار).

الصاري الذي يضيق نحو الأعلى عليه حلقات داكنة وفاتحة بالتناوب، فسرتها الأثرية فريدمان على أنها سلّم من الحبال يتسلق عليه البحارة لمعالجة الشراع. وتضيف فريدمان أن الحلقات المعروضة بالتناوب على الصاري، موضوعة للزينة والزخرفة. وقد فسرها الأثري كاسون من قبل على أنها حلقات مصنوعة من حبل متّصل بالصاري على مسافات منتظمة وليس كسلّم الحبال. إذا كان هذا سلّم حبال، فكيف نفسر حقيقة أنه على الصاري المائل؟. مسطبة فسيفساء في تونس، الوارد وصفها في مقالة الأثرية فريدمان تظهر قارب صيد صغير على الصاري حلقات مماثلة. مسطبة فسيفساء في مدينة تبسة الجزائرية، يمكن أن نرى بالتأكيد سفينة تجارية على متنها شحنة من الأمفوروت وبالقرب من الصاري الرئيسي سلّم حبال، بالإضافة إلى الحلقات التي زينت الصاري. يبدو أن وصف الحلقات يهدف إلى إبراز الصاري والشراع من بقية أجزاء السفينة.

يتكون جسم السفينة عادة من ألواح خشبية مستطيلة، متصلة ببعضها البعض عن طريق جيوب ومسامير. نجد في وصف السفينة التي أمامنا أن الفنان أبرز ألواح جسم السفينة من خلال استخدم ألوان وظلالاً مختلفة لكل منها. الوصف الملون للشراع المربع، حيث تهبّ الرياح فيه، يعطي القوة والحيوية للسفينة. هذه هي الحالة المثلى للإبحار وحالة الرياح الخلفية والاستفادة القصوى من الرياح. حرص الفنان، مبتكر الفسيفساء، على خلق مظهر من التظليل على الجانب الأيسر للشراع، باتجاه الخرطوم. هكذا ابتكر **"بطنا"** للشراع، ومنحه بُعداً ثلاثيا. وصف الفنان بالتفصيل نظام الحبال المعقد المرتبط بالصاري. يهدف وصف حبال الصاري الستة أيضًا إلى تقديم منظور ثلاثي الأبعاد: ثلاثة حبال مربوطة بالجانب الأيسر للسفينة وثلاثة حبال مربوطة بالجانب الأيمن للسفينة، والجانب الأيمن للسفينة هو الجانب الداكن، الأعمق والداخلي. فوق الخرطوم نجد عنصرا مربعا، وليس شراعا أماميا، وفي وسطه شعار يبدو كالصليب قد يكون هذا هو علم السفينة.

وصف السفينة الثانية السفينة "التالفة"

تظهر السفينة في وسط اللوحة، وفي أعلاها وخرطومها، الذي في معظمه غير موجود، متجهة إلى اليمين، نحو الشرق، وفقًا لموضع الفسيفساء في الموقع (الشكل 4). وصف السفينة من جهة اليمين (starboard side). حفرة مياه الصرف التي حفرت في وسط منظر السفينة لم يدع لنا تفاصيل كثيرة عن الخرطوم، وبقيت أطراف كل من الشراع المركزي والصاري الرئيسي ظاهرة. يظهر الفحص الدقيق أن هذه السفينة تشبه السفينة الأولى الكاملة الموجودة إلى اليسار، ولكنها أكبر منها بقليل. يوجد في السفينة المتضررة بين مركزها وقمرة الدفة مسافة أطول

الشكل 4. منظر مقرّب للسفينة "المتضررة" (تصوير: ن. دافيدوف. سلطة الآثار).

من السفينة الأولى، مما يزيد من طولها بالنسبة للسفينة الأولى الكاملة. ظهر السفينة الكاملة متصل مباشرة بقمرة الدفة وفي الخرطوم. أما السفينة المتضررة، قسمها الخلفي أطول والبطة الذهبية، التي تظهر فيه أكبر. يوجد فوق الدفة قضيبان للتوجيه متجهين نحو جزئها الخلفي وعليهما أشرطة داكنة وخفيفة بالتناوب، مماثلة للحلقات التي على الصاري.

يرفّ فوق منطقة الخرطوم علم أبيض مثلث، من رأس طرف الصاري المائل إلى اليمين. وفوق مركز السفينة المتضرر، بقيت أوصاف ذيل سمكتين في اتجاهين متعاكسين لبعضهما البعض، والذيل الأيسر لسمكة أكبر من السمكة اليمنى. لا يترك موضع السمكة فوق السفينة مجالًا لصاري عمودي (كما وصف الصاري في السفينة الكاملة)، حين كانت الفسيفساء كاملة، ربما كانت السمكة الكبيرة، وقد فغرت فاها لتبتلع السمكة الأخرى التي تتحرك باتجاهها، كما يظهر في أسفل اللوحة. هناك سمكتان تتحرك واحدة نحو الأخرى، الكبيرة، هذه المرة تلك التي على اليمين، تظهر بأنها ستبدأ بابتلاع السمكة الثانية (أنظر الأشكلين 2، 3).

بعد التوضيح أن الصاري الرئيسي للسفينة المتضررة ليس مستقيمًا، ويظهر أنه مائل إلى الجانب، يجب فحص سبب ميلانه. أحد الاحتمالات هو أن الصاري تفكك من قاعدته، ورسم وهو متكئ على مرفق خاص على شكل الحرف "Y". يمكن العثور على مثال لهذه المرفق في مسطبة فسيفساء بقبر من القرن الثالث الميلادي بجوار مدينة سوسة في تونس، حيث يظهر قارب يفرغ حمولة من كتل الرصاص. لوحة الفسيفساء موجودة اليوم في متحف باردو في تونس. هناك احتمال آخر ممكن أن الصاري كسر في عرض البحر. فوق جزء السفينة الخلفي إلى يمين قضيبي التوجيه، يمكن رؤية حبل يرفرف في الاتجاه المعاكس. تظهر ثلاثة حبال ممزقة وقصيرة إلى يمين غرفة القيادة.

في عام 404 ميلادي، شارك سينيسيوس (Synesius)، لاحقًا أسقف مدينة بتوليمايس في ليبيا، في رحلة مؤلمة في البحر على طول الساحل من مدينة الإسكندرية إلى مدينة شحات (قوريني أو قورينا) في ليبيا. وفقًا لوصف سينيسيوس، كان من الصعب السيطرة على الشراع وطيّه. أثناء العاصفة في البحر، يجب تقليل مساحة سطح

الشراع عن طريق طي مناطق في أسفل الشراع، من أجل تعديله وفقًا لاتجاهات الرياح المطلوبة، ولتقليل الضغط على الشراع. عادةً يتم طي الشراع حتى أعلى العمود في حالة الرسو. نظرًا لأن الفسيفساء احتفظت بوصف لجزء من الذراع الأيسر للصاري، وهو جزء متواز وعلى ارتفاع منخفض فوق ظهر السفينة، فلدينا خياران: أ. تم إنزال عمود الشراع إلى أدنى حد قبل انكسار الصاري، وحدث الكسر في الجزء الأعلى للصاري. ب. سقط الشراع والعمود المرتبط به بالتزامن مع كسر الصاري، الذي ظل في وسط السفينة أثناء اتكائه. نظرًا لأن العمود متواز وأعلى قليلاً من ظهر السفينة، يبدو أنه أنزل عمداً قبل كسر الصاري. سيكون من الصواب القول إن كسر الصاري حدث في جزء منه فوق العمود (انظر اقتراح الاستعادة، الشكل 5).

في الحالة العادية، عندما أنزلوا الشراع مع العمود فوق سطح السفينة، ظل الصاري في مكانه. بعد ذلك، وضعوا دعامات على ظهر السفينة وفوقها العمود، والشراع مطوي عليه. وبالتالي حافظوا على توازنه بموازاة الظهر، كما يظهر في السفينة بمسطبة فسيفساء في تونس، والتي يعود تاريخها إلى منتصف القرن الرابع الميلادي. يمكن في المرحلة الثالثة والأخيرة تفكيك الصاري وإنزاله. على متن السفينة من اللد، ربما تم إنزال العمود عمدًا ووضعه على أعمدة مماثلة، لكن الشراع المتبقي في وصف الفسيفساء، النازل من الذراع الأيسر للعمود، غير مطوي ويبدو مائلًا ومنتفخا قليلا على المتن. كما يبدو أن العمود قد أنزل على عجل، دون أن يتوفر للبحارة الوقت اللازم لطي الشراع على ظهره.

اقترحت الأثرية تلجام أن صارية العلَم، التي تميل فوق الخرطوم، تمثل "**صاريًا مائلا**". التعبير غير دقيق، ويبدو أن القصد هو الصاري الأمامي وعليه الشراع الأمامي. لكن طول العمود الذي يحمل العلَم مشابه لطول العمود في الصاري المركزي في السفينة الكاملة إلى اليسار. عادةً ما يكون الصاري الأمامي أقصر من الصاري الرئيسي، لذلك

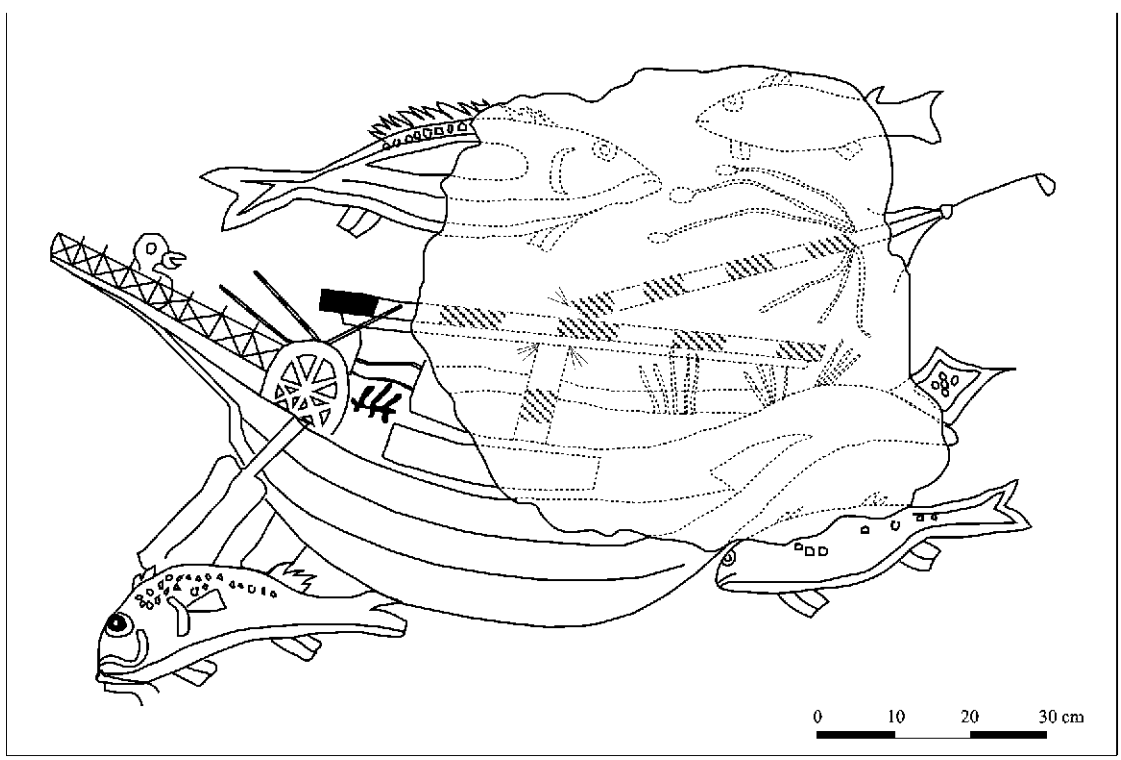

الشكل 5. اقتراح لترميم السفينة "المتضررة" (رسم: إيلي هداد، إعداد نوجا يوسيليفيتش - جامعة حيفا).

توقعنا أن تكون صارية العلم أقصر. إذا كان هذا العمود الأمامي، فإننا نتوقع ظهور العمود الأفقي المعلق عليه، والذي ينفتح منه الشراع الأمامي أو يطوى عليه. حبال صاري السفينة الموجودة في أعماق بحر عالي الأمواج، فإنهم عادةً "كعب أخيل". في بعض الأحيان، لا تتحمل الحبال الضربات الناجمة عن الهبوط من موجة إلى أخرى، وقد يكون هذا هو سبب تمزق الحبال وانكسار الصاري. لذلك، اقترحنا سابقًا أن العمود والشراع تم إنزالهما، وكسر الصاري في جزئه العالي. مثال لوصف صاري سفينة مكسور، يوجد في وصف سفينة على لوح حجري في كابيلا القديس فيرتن، في كنيسة القبر المقدس في القدس.

يصف أحد المقاطع الشهيرة في الأوديسة لهوميروس ضائقة بحرية، وهي قطع حبلين للصاري: "اتركوا الجزيرة. ولم تظهر أي يابسة، فقط السماء والماء، ثم وضع ابن كرنوس سحابة قاتمة فوق سفينتنا المحدّبة، وأظلم البحر الذي تحتها، شقت طريقها بسرعة، ولكن ليس لوقت طويل. وفجأة جاء زيبروس وزأر، فيضانات مع عاصفة شديدة. مزقت العاصفة حبلَي الصاري، وألقي بالحبال كلها إلى الأرض، وهوى الصاري للخلف وارتطم برأس الملاح في جزئها الخلفي".

من خلال وصف الصاري المكسور والمائل جانبا والحبال المقطّعة في جزئها الخلفي، يبدو أن الفنان أراد أن يعطي المشاهد إحساسًا بالتهديد الذي يطغى على السفينة التي يمكن أن تتحطم في لجّة البحر. هذا وصف لتجميد حالة الطوارئ. ومن علامات الخطر المداهمة للسفينة هو ظهور الحوت الكبير، وهو يفتح فاه باتجاه مقدمة السفينة، كمن يحاول ابتلاعها (أنظر الشكل 2). وصف لسفينة في محنة، أثناء عاصفة، بجوار حوت كبير، يذكرنا بقصة يونس (يونان): "1 وصار قول الرب إلى يونان بن امتاي قائلا. 2 قم اذهب إلى نينوى... 3 فقام يونان ليهرب إلى ترشيش من وجه الرب فنزل إلى يافا ووجد سفينة ذاهبة إلى ترشيش فدفع أجرتها ونزل فيها... 4 فأرسل الرب ريحا شديدة إلى البحر فحدث نوء عظيم في البحر حتى كادت السفينة تنكسر. 5 فخاف الملاحون وصرخوا كل واحد إلى إلهه وطرحوا الأمتعة التي في السفينة إلى البحر ليخففوا عنهم... 15ثم أخذوا يونان وطرحوه في البحر فوقف هيجان البحر. 16 فخاف الرجال من الرب خوفا عظيما وذبحوا ذبيحة للرب ونذروا نذورا. 17 وأما الرب فاعدّ حوتا عظيما ليبتلع يونان. فكان يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال". إذا كان في فسيفساء اللد وصف للنبي يونان وهو يُلقى من سطح السفينة نحو الحوت الكبير، فلن نعرف، لأن هذا الجزء ناقص في الفسيفساء. الأثرية فاني فيتو خلال أعمال التنقيب التي أجرتها في موقع رحوف في غور الأردن كشفت عن بقايا كنيس فيه أجزاء من الجص عليها رسمة حوت كبير فاتحًا فاه. أثارت إمكانية أن تكون قصة يونان والحوت، المقبولة في فنون المسيحية المبكرة، قد ظهرت أيضًا في الفنون اليهودية في الكنس القديمة.

الحيوانات البحرية، تشمل اللوحة الجنوبية رسمات 28 سمكة منتشرة حول السفن. بعضها متشابهة، لكن لا سمكة تشبه الأخرى. منها دولفين، سمكة ضخمة وحشية، وأربعة رخويات. بالإضافة إلى ذلك، يتضمن المشهد في مسطبة فسيفساء اللد ثلاث أصداف لولبية، ربما من نوع يسمى "**بوق البحر**" (Charonia tritonis).

الحوت الكبير، الذي يظهر في الفسيفساء، وهو يتحرك فاغرًا فاه نحو السفينة، يذكرنا قليلاً بسمكة القوس الصخري. إنها ذات فم ضخم للغاية، لكن ذيلها المنحني، الذي ينتهي بزعنفة، يمنحها مظهرًا أسطوريًا مميزًا للأوصاف البحرية في الفنون، وكذلك الأوصاف المدونة. تم تعريف مثل هذه السمكة الكبيرة أحيانًا على أنها "**كاتوس**"، وهي كلمة يونانية تعني الحوت أو السمكة الكبيرة أو وحش البحر الأسطوري. إنها سمكة من نوع يشبه الحوت أو سمكة القرش أكثر من ثعبان مائي. ويشير بعض الباحثين إلى أن هذا صنف آخر وبديل لظهور الكاتوس الكلاسيكي، الوارد في الفنون الكلاسيكية، مثل: أوصاف الفسيفساء في شمال إفريقيا، أو على الفخار اليوناني. قصة يونان في سراديب الموتى كاليكتوس (Callixtus) في روما، يرتبط الوصف ارتباطًا مباشرًا بقصة يونان عندما ابتلعه الحوت (الشكل 6). إن وصف كاتوس في الشكل 6 مشابه جدا للوصف الظاهر في فسيفساء اللد، في المحور المركزي، بين منحدرات الجبال (الشكل 7). تجدر الإشارة إلى أنه على أساس الشمعدان في "**قوس طيطس**" ظهرت هيئة الكاتوس.

الشكل 6. فريسكو، قصة يونان في سراديب الموتى قليقطوس (Callixtus) في روما (بزنير 1909 لوحة XIII).

الشكل 7. لوحة الفسيفساء الوسطى. الكاتس بين المنحدرات الجبلية (تصوير: ن. دافيدوف. سلطة الآثار).

في وسط اللوحة المركزية، بين المنحدرات الجبلية، يظهر حوت أسطوري (كاتوس)، الذي يظهر عادةً كوحش بحري، له رأس طويل على شكل رأس كلب، وله أذنان طويلتان، وأحيانًا له قوائم أسد، وجسم سمكة وذيل طويل متعرّج ينتهي بزعنفة سمكة. وصف فنانو القرن الثالث الميلادي الحوت الكبير ليونان، واختاروا رسمه كوحش بحري لا يشبه الحوت على الإطلاق، أو ما يشير إلى حوت. إن وصف الكاتوس في الفن مستوحى بلا شك من حصان البحر الصغير. يتمثل دور الكاتوس في البحر يحمل الفتيات اللواتي نقلن الترس والدرع إلى طروادة، لصالح ابن أخيهن أخيلس، ابن تيتاس. يظهر الكاتوس أحيانًا بجانب الإله بوسيدون ويساعده في قصتين أسطوريتين: هرقل في طروادة وبرسيوس الذي ينقذ أندروميدا في يافا، أُجبر البطلان الأسطوريان على محاربة الكاتوس. هناك يذكر أن قصة برسيوس وأندروميدا وقصة يونان مرتبطتان بيافا. لاحظ بعض العلماء أن كاتوس يظهر في أوصاف الكاتب الروماني من القرن الأول الميلادي ماركوس مانيليوس. هناك، شكله يشبه إلى حد كبير شكل الحوت، كما نعرفه، في سياق القصة الأسطورية عن أندروميدا. في مكان واحد من مانيليوس يقول إن جسد كاتوس المغطى بالحراشف، يتحرك في البحر بذيله الملتوي ويضرب بطنه في البحر. في مكان آخر، يفتح الوحش فمه في البحر، ويكشف عن أسنانه ويبتلع الماء، وذيله يتلوى بالخلف كحلقات السلسلة في العنق، وظهره يغطي البحر كله.

مما لا شك فيه أن فنان فسيفساء اللد عرف تماما أوصاف الكاتوس الكلاسيكي، كما ظهر في الفن القديم، وقصص يونان، وكذلك أوصاف الكاتوس والحوت، كما وصفه الكاتب الروماني مانيليوس. يبدو أن ظهور كاتوس في المشهد البحري في اللد هو نادر ولم يعثر على نظيره بعد، على عكس ظهور الكاتوس الكلاسيكي والمقبول، والذي يظهر في اللوحة المركزية. يظهر لأول مرة في بلادنا وحشان بحريّان يزينان مسطبة فسيفساء واحدة. يظهر أحدهما كالكاتوس الكلاسيكي ويربطنا بمدينة يافا والقارة الأفريقية، لأن كاتوس، والد أندروميدا كان ملك إثيوبيا. ويظهر الوحش الثاني في المشهد البحري الذي يصور الحوت الكبير له ذيل أسطوري، والذي من المفترض أن يشير إلى اتجاه شمال شرق البحر المتوسط ومنطقة بحر إيجة ومحيط طروادة، حيث تألّفت قصص هرقل. هناك تطابق بين المشهد البحري في فسيفساء اللد والفسيفساء التي عثر عليها في أنطاكية. تدعم هذه الملائمة الافتراض بأن فنان فسيفساء اللد كان من شمال شرق البحر المتوسط. تدمج الأوصاف التي تزين مسطبة الفسيفساء في اللد بين منطقتين جغرافيتين وتربطهما، تمامًا كما يربط الإقلاع في البحر المناطق النائية. لا تحمل السفن في البحر بضائعها فحسب، بل تحمل أيضًا الأفكار والمشاهد من الأماكن الجديدة التي وصلت إليها السفن بالإضافة إلى القصص الأسطورية.

يمكن أن تُعزى الأصداف اللولبية، الظاهرة في الفسيفساء، إلى وصف أوفيديوس، ميتامورفوزا الأسطوري لتريتون، ابن إله البحر نبتون. يهدئ تريتون الطوفان بالنفخ في الحلزون اللولبي: "يدعو تريتون ليصعد بزرقته من الماء ... نبتون، سيد الأعماق، يتكرم بالنفخ في صدفة البوق: إنها إشارة لنهاية العاصفة. البوق ملتوٍ ومنحنٍ، مثل الحلزون، فإنه يتلوى في النغمات ويتلف في نهايته. ستهدر فيه الأصوات من كل صوب، من أقصى الشرق إلى مدخل الشمس سوف تسمع ... وسوف يسمعون أزمات بعيدة لإرضاء النفخ، موجة تسلم إلى اللجة وبسرعة وتسكن في البحر".

دليل آخر على خلل السفينة وخروجها عن مسارها الملاحي، عندما تكون خاضعة **"لرحمات الله"** هو في وصف خروج مجاديف القيادة من القمرة. خروج مجاديف الدفة من الجزء السفلي من قمرة القيادة (أنظر الشكل 4 بالمقارنة مع وضعها في السفينة الكاملة في الشكل 3). المجاديف خارجة من مركز القمرة من الجزء الخلفي المستديرة ذات القضبان الخشبية، المجاديف خارجة من أسفل القضبان في السفينة المتضررة، وهي عالقة في هذه الحالة مثل **"عصا عالقة بين العجلات"**، بلا قدرة على المناورة.

مناقشة وتلخيص

شاء القدر أن تضررت فسيفساء اللد في الجزء الذي، في رأينا، كان الأكثر أهمية في وصف السفينة وفي معنى الفسيفساء بأكمله. تعرضت السفينة المذكورة في المشهد البحري في الفسيفساء لصدمتين: مرة واحدة في حدث تاريخي، أثناء الإبحار في عرض البحر، كما وصفها الفنان. ومرة أخرى، في الموقع نفسه، في الفترة العثمانية، عندما حفر خزان للصرف الصحي في وسط مكان السفينة في الفسيفساء. وصف السفينة في وسط اللوحة الجنوبية ليس عرضيًا، ويشير موقع السفينة إلى أهميتها ومركزها ومكانتها. تقع السفينة في المجمع العام لمسطبة الفسيفساء في الڤيلا، على المحور المركزي المواجه للشمال والجنوب. المحور الجنوبي، الذي تظهر فيه السفن التجارية الرومانية، هو بمثابة **"كبسولة الزمن"**، وفقًا للمفهوم الذي كان شائعًا في كلمات الباحث أڤنير ربان، رغم أنه لا توجد سفينة محطمة ومدفونة في قعر البحر، لكن مسطبة الفسيفساء الدفينة بالتراب على مر السنين. بموجب رأيي، ينبغي التطرق إلى اكتشاف الفسيفساء، خاصة للمحور الجنوبي، كمجمع تجمد في لحظة معينة، وعاد ليسري في وعي المشاهد في الفسيفساء، بعد الكشف عنه.

هل أوصاف السفن في الفسيفساء هي أوصاف ثابتة عادة، والغرض منها هو تكوين رمز تمثيلي للسفينة وفقًا لطرازها ووظيفتها فقط؟ أليس من المجدي البحث عن سبب وأهمية ظهور السفن كما تظهر؟ إن وصف السفن في فسيفساء اللد يتطلب النظر إلى المجمل بأكمله والبيئة البحرية التي تصور فيها السفن. وصفت السفينة **"التالفة"** في أعماق البحر المفتوح. لا شك في أنه إذا أراد الفنان تصوير السفينة راسية، لكان رسمها بالقرب من رصيف مرسى أو شاطئ أو ميناء، كما تم تصوير النقوش والفسيفساء من العالم القديم.

حاولنا في اقتراح ترميم السفينة نقل الرسالة التي أراد الفنان التعبير عنها عند اكتمال الفسيفساء. كانت الرسالة علنية وواضحة لجميع زوار الڤيلا في ذلك الوقت. اليوم، عندما يكون وصف السفينة ناقصا ومتضررًا، تتحوّل أنظار أولئك الذين ينظرون إلى مسطبة الفسيفسائية بشكل أساسي نحو السفينة بأكملها وليس نحو السفينة **"المتضررة"** في المركز. إذا نظرنا عن كثب إلى شكل وضع أحجار الفسيفساء حول السفينة **"المتضررة"**، خاصة في جزئها الخلفي ومنطقة الخرطوم في المقدمة، يمكن ملاحظة أن هناك رغبة في التعبير عن الديناميكية الهوائية والمائية. نرى في السفينة **"المتضررة"** سفينة في حالة استراحة، تطفو على الماء وهي تقاوم الريح، وعلى ما يبدو تنتظر ريحًا أفضل. في رأيي المتواضع، تتحرك السفينة المتضررة إلى اليمين بحركة حادة جدًا. العنصر المربع، (ربما العَلَم)، الملازم للمقدمة، يبدو كمعين وتتجه قمته نحو السمكة الكبيرة والوحشية. يبدو أن الرياح تدعم وتدفع السفينة إلى اليمين، كما يبدو أيضًا في الراية التي ترفرف قليلاً إلى اليمين. هذا على عكس السفينة السالمة، حيث ظهرت الريح الداعمة إلى اليسار. إذا كانت السفينة راسية أو في حالة استراحة، بينما هي تطفو على الماء فقط، لما عرض العنصر المربع الموجود على الخرطوم، وهو ممتد.

الجزء التالف وغير المحفوظ هو في الواقع المفتاح لفهم وصف اللوحة الجنوبية، أو حتى السبب الرئيسي لتخصيص الفنان أو مالك الڤيلا مسطبة الفسيفساء الرائعة بالكامل. في وصف عارضات السفينة الظاهرة في الفسيفساء، رغب الفنان أو صاحب الڤيلا المكلف بالعمل الإعراب عن امتنانه لإنقاذها. وإذا كان مالك الڤيلا على متن السفينة عندما تعرضت للمشكلة، فقد عبر عن شكره على إنقاذه. يشبه وصف اللوحة الجنوبية نوعًا من ex-voto وهو تعبير فني عن الامتنان لله بعد الإبحار وتجربة الصدمة المؤلمة التي حدثت في عرض البحر. عندما وصلت السفينة إلى برّ الأمان، تم صنع اللوحة على مسطبة الفسيفساء، لتخليد اللحظة الخاصة التي تعرّضت فيها السفينة للخطر وأنقذت. يوضح وصف اللوحة الجنوبية بعض المخاطر والعوائق الكامنة لسفينة تجارية تبحر في عرض البحر. تقدم اللوحة نظرة على الحياة تحت سطح البحر. بناءً على الآثار الباقية في وصف السفينة **"المتضررة"**، يبدو أنهم لم ينزلوا صاريها، ولم تظهر في وضع الرسو. يبدو أن الفنان قدم تباينًا بين حركة الإبحار المريحة للسفينة اليسرى **"السالمة"** في الحالة المثلى للإبحار بأشرعة مفتوحة مع هبوب الرياح فيها، وبين حالة

مغايرة من الإبحار مع رياح عاتية وفي أوقات الطوارئ. أو التناقض بين حالة السيطرة على الدفة والإبحار المنتظم وبين حالة شبه الضياع.

تظهر في وصف الحوت ذي الفم المفتوح على يمين السفينة، علامة تنذر بالخطر والرعب في قلب البحر، وإشارة إلى قوى الطبيعة وقدرتها التدميرية للإنسان. وفي الذيل الملتوي وغير الواقعي للحوت وأبعاد جسمه، هناك محاولة لذكر وحش البحر الأسطوري، كاتوس، الذي يظهر هنا بطريقة أقرب إلى الحوت، وليس في شكله الكلاسيكي كما يظهر في وسط اللوحة المركزية. تقترح فريدمان بحذر أن مالك الڤيلا كان يهوديًا، وأنه أدرك القانون اليهودي الذي يحظر استخدام شخصية بشرية أو حيوانية. هل الأسماك الظاهرة في الفسيفساء ليست حيوانات؟ وماذا بشأن الحيوانات المذكورة في بقية سجاد الڤيلا؟ الأمر الآخر يشير إلى الحظر أيضًا في الأوصاف التي تحت الماء "لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالًا مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ" (خروج 20: 4). وبالتالي، يجب البحث عن تفسيرات أخرى لاحتمال أن تكون الڤيلا مملوكة ليهود.

لماذا تظهر السفن في اللد، في حين أن اللد موقعًا بريًا غير قريب من البحر؟ لنتذكر أن المسافة من المدينة إلى البحر المتوسط حوالي 20 كم. ويدلّ ظهور السفن التجارية وغنائم الأسماك على مسطبة الفسيفساء الرائعة هذه على ارتباط شجاع بالثقافة البحرية التي كانت لمالك الڤيلا أو المقربين منه. كما يُظهر وصف المشهد البحري أن وجهة سكان اللد واتصالاتهم لم تكن فقط لمحيطهم القريب، بل كانت أيضًا لما وراء البحر. في الماضي كان بالإمكان الوصول من اللد إلى شاطئ البحر دون مشاكل في التوجيه، سيرا على الأقدام أو بالركوب على طول وادي الصرار/أيالون، الذي كانت قناته تمر على بعد مئة متر من موقع الفسيفساء وتصل إلى مصب الوادي في البحر بالقرب من يافا.

سينوبيا (الرسم التحضيري) متعدد الألوان لفسيفساء اللّد من الفترة الرومانية: خصائص، أصباغ السينوبيا والدراسات المجهرية لتراكماتها الطبقية

بروفيسور ريبيكا بلوفيزان وبروفيسور لارا مارتن، جامعة بادوڤا
والمهندس جاك نيغور، سلطة الآثار

مقدمة

تستعرض هذه الدراسة نتائج البحث المخبري الأثري للأصباغ وتقنيات الرسم المستخدمة لإنجاز رسم السينوبيا متعددة الألوان، الموجودة في أساس مسطبة الفسيفساء في اللّد. تمت دراسة الألوان: الأحمر، الأصفر، الأخضر والأسود، المدهونة على طبقة السوفرانوكليوس (*sovranucleus*)، وهي الطبقة التحضيرية الناعمة للملاط تحت الفسيفساء، بتقنيات الفحص المجهري للضوء المستقطب لفرز الأصباغ (PLM)، والتقنية المجهرية للضوء المنعكس (RLM)، وتقنية المسح المجهري الإلكتروني (SEM)، وتقنية منحنيات الأشعة السينية للمسحوق. احتوت لوحة ألوان الفنان على الألوان: الأحمر، الأصفر، الأوكرا (مستخرج من تراب غني بأوكسيد الحديد)، أحمر ذهبي (مستخرج من السينيبار الذي يحتوي على نسبة عالية من الزئبق)، أخضر أرضي، وأسود كربوني. أظهرت التراكمات الطبقية المجهرية وجود طبقة متفحمة متداخلة بين جزيئات الأصباغ على سطح الملاط، مما يدل على أن الأصباغ دهنت على ملاط طري، بحسب تقنية رسم اللوحات الجدارية المعروفة بالفريسكو (الرسم على الجدار وهو رطب).

تعتبر سجادة الفسيفساء من اللّد أجمل وأشهر لوحات الفسيفساء من الفترة الرومانية قاطبة. إكشفت هذه المسطبة صدفة عام 1996 خلال تنقيبات من قبل سلطة الآثار، بإشراف الأثرية مريم أڤيسار.

تستعرض سجادة الفسيفساء مجموعة من الحيوانات، بعضها خرافية (الشكل 1). تتألف السجادة من ثلاث أرضيات حفظت بشكل جيد، وتغطي مساحة 150 مترًا مربعًا. ويعود تاريخها إلى نحو سنة 300 للميلاد، وعلى ما يبدو كانت موجودة أصلًا ڤيلا رومانية كبيرة فخمة. واعتمادًا على تحليل المواضيع المصوّرة بالفسيفساء يرجّح أن صاحب هذه الڤيلا كان تاجرًا اغتنى من التجارة عبر البحار.

أخرج طاقم العاملين في قسم الحفاظ الفني في سلطة الآثار هذه الفسيفساء من موقعها الأصلي عام 2009، وظهرت سينوبيا نادرة متعددة الألوان بأساس أحد المشاهد الأكثر إثارة، والذي يمثل الأسماك والسفن (الشكل 2).

مصطلح السينوبيا يشير إلى الطلاء التحضيري، الموجود تحت سجادة الفسيفساء، المعدّ عادة بلون الأوكرا الأحمر، المستخرج من سينوب (Sinop) الواقعة على الجانب التركي لشواطئ البحر الأسود. وهو يستخدم عادة للرسم التحضيري للفريسكو، ويدهن على طبقة الملاط العليا الناعمة (*arriccio*). وكانت قد استعملت هذه التقنية على نطاق واسع حتى القرن السادس عشر، حين بدأ استبدالها تدريجيًا بتقنيات تحضير فنية أخرى، مثل الخدش (graffito) والغرز أو التثقيب (pounce). كان استخدام تقنية السينوبيا لإعداد الفسيفساء أوسع انتشارًا بالفترة اليونانية منه بالفترة الرومانية. هذا بالإضافة إلى أن الفنانين اليونان استخدموا لهذه الغاية لونًا واحدًا (غالبًا لون الأوكرا الأحمر أو الكربوني الأسود) لطلاء الرسم التحضيري الذي رصفت عليه أحجار الفسيفساء، ولم تكن

الشكل 1. اللد، مسطبة الفسيفساء (بلطف سلطة الآثار).

الشكل 2. اللد، اللوحة الفسيفساء الجنوبية، المشهد البحري (تصوير: ن. دافيدوف. بلطف سلطة الآثار).

السينوبيا متعددة الألوان لم تستخدمه بعد. لذلك، فإن وجود سنوبيا ملونة بالأحمر، الأخضر، الأصفر والأسود، تحت المشهد البحري لفسيفساء اللّد، يعتبر ظاهرة فريدة من نوعها في تاريخ الفن.

تهدف هذه الدراسة بالأساس لتشخيص الأصباغ المستخدمة لتحضير السينوبيا متعددة الألوان تحت اللوحة البحرية المميزة لفسيفساء اللّد، وكذلك لتحديد خصائص التراكم الطبقي المجهري لألوان الطلاء.

وهذا بدوره سيزودنا بمعلومات حول تقنيات الطلاء المستعملة لإعداد الرسم التحضيري، وخاصة لتحديد الإعداد لرسم لوحة فريسكو. ويظهر التحليل المجهري للملاط وجود روابط أو فواصل خلال عملية تحضير طبقة السوفرانوكليوس العليا، مما يشير إلى أضافة ملاط غيورناتا (*giornate*) يوميًا.

كل هذه العوامل تشير إلى أن الفنانين الذين أنجزوا عمل رصف الفسيفساء اكتسبوا معرفة تقنية عالية.

المواد والطرق المستخدمة

لقد تم اختيار مجموعة ثماني قطع مكسرة من طبقة السوفرانوكليوس ملونة بأربعة ألوان (أحمر، أصفر، أخضر وأسود) لدراستها (الشكل 3).

تشير الملاحظات العينية إلى أن التراكم الطبقي الكلاسيكي للفسيفساء الروماني، يتكون من طبقة تحضيرية سميكة من الحصى والطين، وظيفتها تسوية الأرضية وإرساء قاعدة صلبة لطبقة الملاط الخشنة، وهي طبقة رودوس (*rudus*)، والتي بدورها غطيت بطبقة السوفرانوكليوس الناعمة، المطلية بالسينوبيا، والتي رصفت عليها حجارة الفسيفساء (الشكل 4).

أجريت دراسة العينات وفقًا لتقنية نهج متعدد القنوات، بما فيه التحليل المجهري، التراكم الطبقي المجهري، الميكرو كيماوي، والتحليل المعدني (الجدول 1). وتمت دراسة القطع كلها بالتفضيل، عن طريق: التقنية المجهرية للضوء المنعكس (RLM) بمقطع عرضي، وذلك للتمكن من التمييز الدقيق لتراكم الطبقات المجهري; تقنية الفحص المجهري للضوء المستقطب لفرز الأصباغ (PLM) وتحديد نوعية الاصباغ; تقنية المسح المجهري الإلكتروني مترافقًا مع تقنية الطيف المشتت للطاقة (SEM-EDS) بمقطع عرضي، وذلك لتحديد نوعية الأصباغ والتحقق

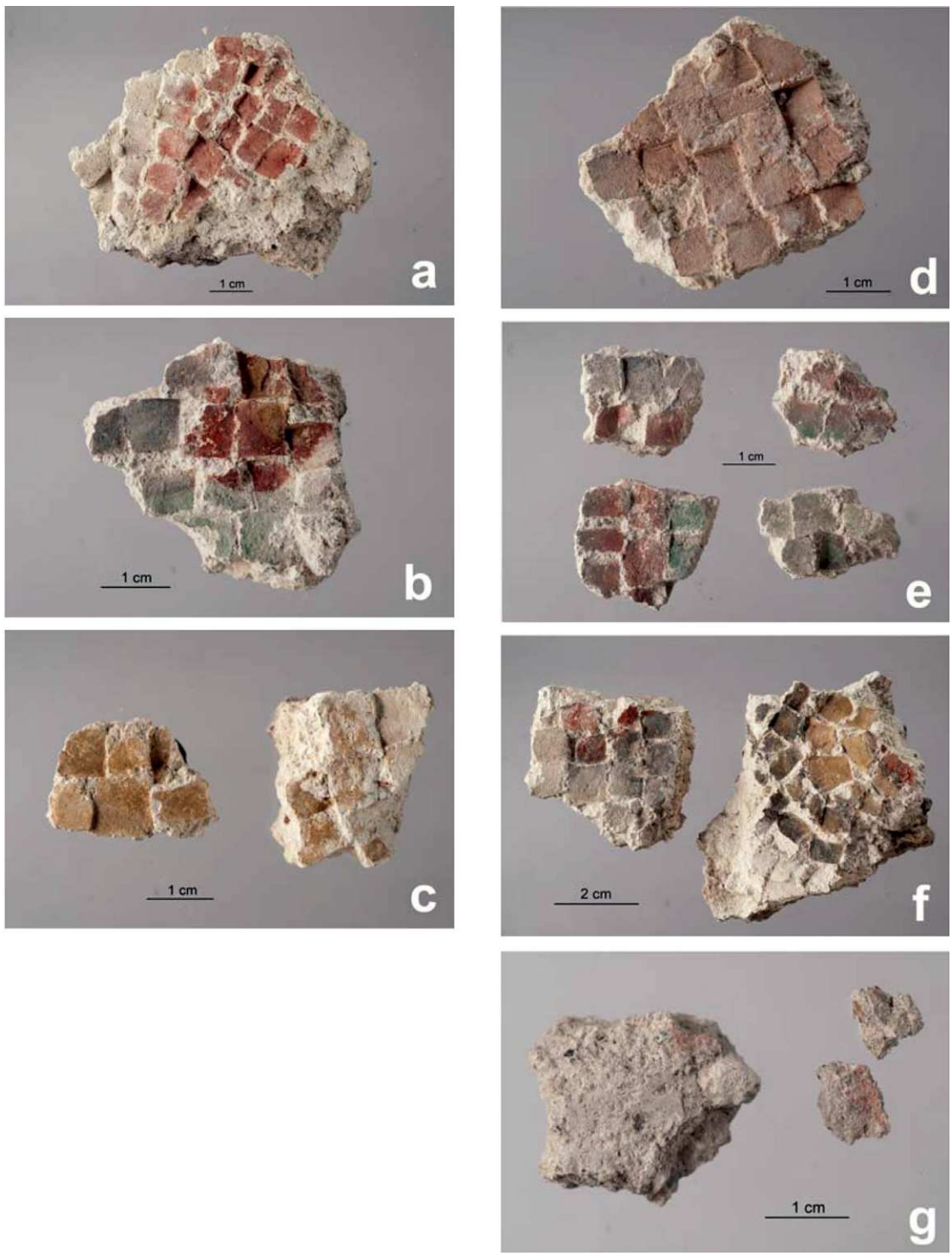

الشكل 3. العينات من طبقة السوفرانوكليوس المطلية: a) أحمر؛ b) أحمر، أصفر، أخضر وأسود؛ c) أصفر؛ d) أحمر شاحب؛ e) أحمر، أخضر وأسود؛ f) أحمر وأسود؛ g) (على اليمين) – أحمر، أصفر وأسود.

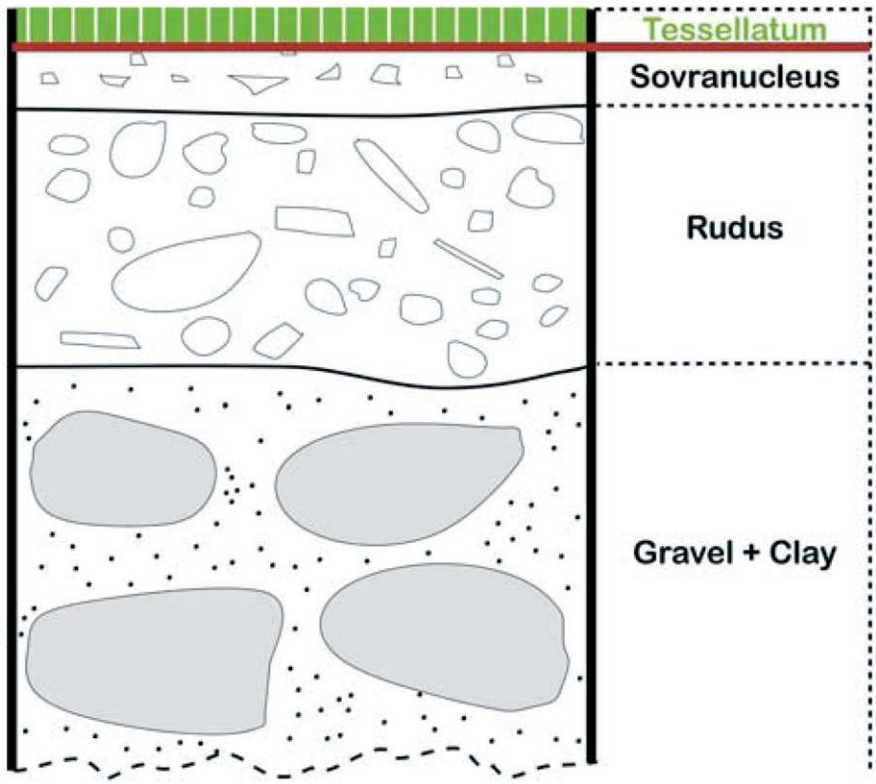

الشكل 4. رسم طبقي لأرضية فسيفساء اللد. الخط الأحمر يظهر الرسم الغامض.

N.	Sample	PLM	RLM	SEM-EDS	XRPD
1	1R	X	X	X	
2	2R	X	X	X	X
3	2G	X	X	X	
4	2Y	X	X	X	
5	2B	X	X	X	
6	3Y	X	X	X	X
7	4R	X	X	X	
8	5R	X	X	X	
9	5B	X	X	X	
10	5G	X	X	X	X
11	6R	X	X	X	
12	6B	X	X	X	
13	7R	X	X	X	
14	7Y	X	X	X	
15	7B	X	X	X	
16	8R	X			

الجدول 1. قائمة العينات والتحليلات التي أجريت عليها. رقم، حرف، ولون الطلاء (R: أحمر، G: أخضر، Y: أصفر، B: أسود).

من التراكم الطبقي المجهر، وتقنية منحنيات الأشعة السينية للمسحوق (XRPD) للتحقق من التركيب المعدني للصباغ.

الاستنتاجات والنقاش حولها

التراكم الطبقي المجهري

معظم النماذج التي تمت دراستها التحليلية كانت على طريقة التراكم الطبقي المجهري، كما هو موضح في الشكل 5A والمركب من تعاقب الطبقات التالي: طبقة جصية بيضاء، وطبقة طلاء.

بين النماذج التي تمت دراستها، كان بعضها لا يتفق مع التراكم الطبقي المعهود. فكانت لنموذج 2Y، طبقتان من الأصباغ. هذه الحالة الشاذة، كما يبدو، كانت بسبب تداخل جزئي لمنطقة اللون الأصفر (طبقة C) إلى حيز اللون الأحمر (طبقة B، الشكل B5).

مثال آخر لعدم التوافق هذا هو نموذج 5G، والذي تظهر فيه طبقة خضراء أكثر سماكة، فخلفية صورة الإلكترون المتناثرة (SEM-BSE) تظهر بأنها تحتوي على عدة طبقات متشابهة في تركيبها (الشكل G5). هذا بالإضافة إلى وجود طبقتين متفحمتين على الأقل (أنظر الأسهم في الشكل G5) مما يشير إلى أن الفنان انتظر بضع ساعات بين الطلاء والآخر بالفرشاة، فترة تصلّب الملاط تدريجيا خلالها.

طبقات الطلاء

نتائج تحليل تقنية المسح المجهري الإلكتروني (SEM) للألوان كشفت عن وجود طبقة بيضاء خفيفة تغطي أسطح جميع العيّنات (الشكل 6)، التي تحتوي جزيئات الطلاء. كانت هذه قد وصفت بالتفصيل في مقالة للأثري بيوفيزان وآخرين، كان هذا نتيجة عملية التفحم الظاهرة على سطح الملاط أثناء تصلّبه، مما يشير بوضوح إلى أن الطلاء بحاجة لمواصفات تقنية الفريسكو. وبناءً عليه فإن جزيئات الأصباغ هذه انتشرت على الملاط الرطب فوق الطبقة التحضيرية الناعمة فقط بعد تخفيف كثافتها بالماء.

الأصباغ

تقنيات التحليل المختلفة (PLM, SEM-EDS, XRPD) تشير إلى أن كل لون من ألوان السينوبيا يتألف من صبغة واحدة، عدا اللون الأحمر، تمّ التعرف على خمسة أصباغ مختلفة.

سبب وجود الألوان الحمراء هو استعمال لون الأوكرا الأحمر. هذا اللون يعدّ عادة من حجر الدّم، وعند تحليله بتقنية (PLM) اتضح أنه مركب من جزيئات صغيرة وناعمة جدًّا، تحجبها الألوان ذات الطيف القوي (الشكل A7). وحجم هذه الجزيئات يتراوح بين 50 و200 ميكرون (1 من المليون من المتر).

بالإضافة إلى لون الأوكرا الأحمر، عثر أحيانًا على لون السينوبيا الأحمر، وهو مسحوق ناعم جدا، لا يتجاوز حجمه بضعة ميكرونات، ويظهر عادة بكثافة على أسطح العيّنات التي خضعت للتحليل (الشكل A8)، والذي يحتوي تركيبه الميكرو كيماوي على نسبة عالية من الزئبق، مما يشير إلى انه مركب من السينيبار (الأحمر الذهبي) (الشكل B8). وبسبب مكوناته الجزيئية الناعمة والصغيرة جدًّا، كان من الصعب التعرف عليه بتقنية (PLM-RLM).

أما اللون الأصفر فقد تم الحصول عليه من الأوكرا الصفراء، المركبة غالبًا من معدن الجيوثايت (معدن مكون من هيدروكسيد الحديد) (الشكل 9)، ويتميز بصفة الاختفاء عند الفحص المجهري للضوء المستقطب لفرز الأصباغ (PLM)، وذلك لتشويش بعض الألوان القوية التي تحجبه (الشكل A9).

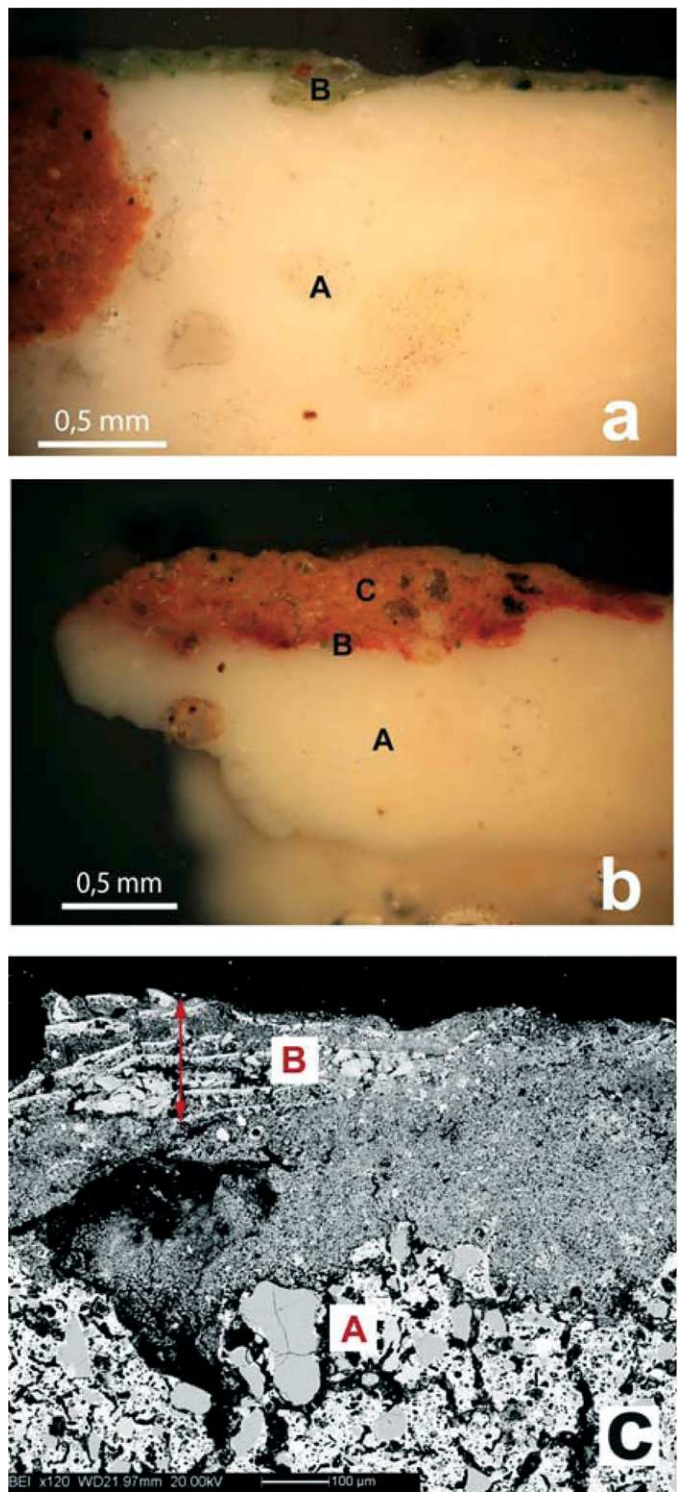

الشكل 5. a) صورة مجهرية RLM للمقطع العرضي للعينة 2G مع طبقتين فقط (A: sovranucleus; B)؛ b) صورة مجهرية للمقطع RLM العرضي للعينة 2Y، حيث طبقتين من الطلاء (B و C)؛ c) صورة SEM-BSE لعينة 5G مع عدة طبقات كربنة على السطح.

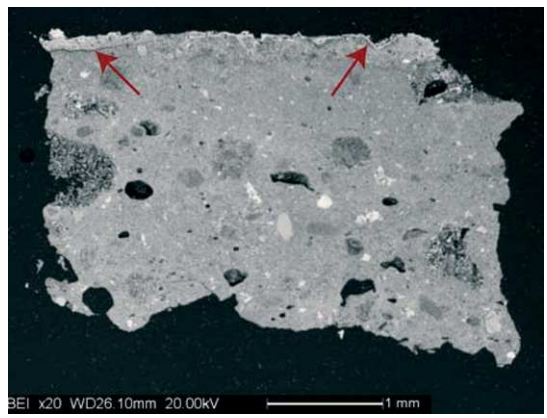

الشكل 6. صورة SEM-BSE لإحدى العينات المدروسة: تظهر الأسهم الحمراء طبقة الكربنة النموذجية على السطح، بما في ذلك جزيئات الصباغ.

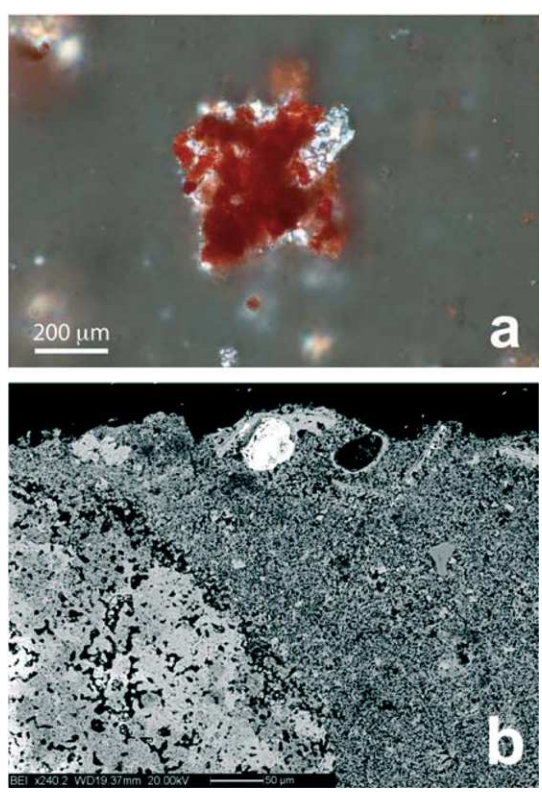

الشكل 7. a) صورة مجهرية PLM لجزيئات الصبغ الحمراء؛ b) صورة SEM-BSE تظهر جزيئات بيضاء متلألئة على سطح العينة، غنية جدًا بالحديد في تحليل EDS.

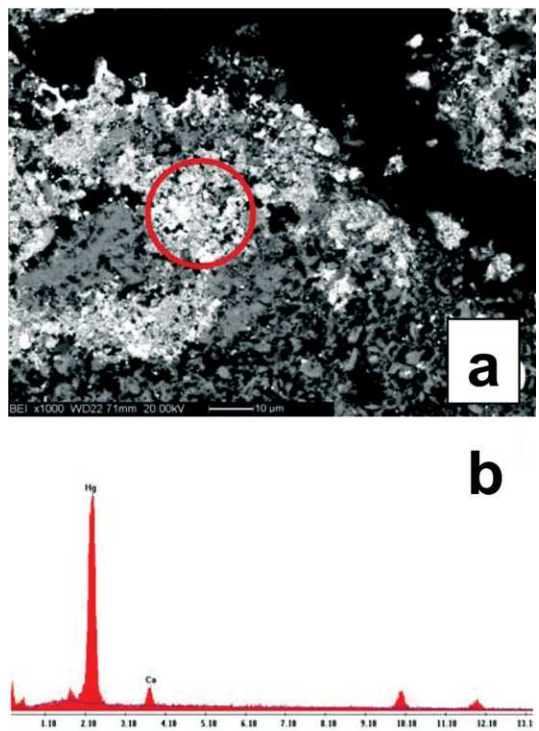

الشكل 8. a) صورة SEM-BSE للجسيمات الدقيقة جدًا (في دائرة بيضاء)؛ b) تظهر نسبة عالية من الزئبق.

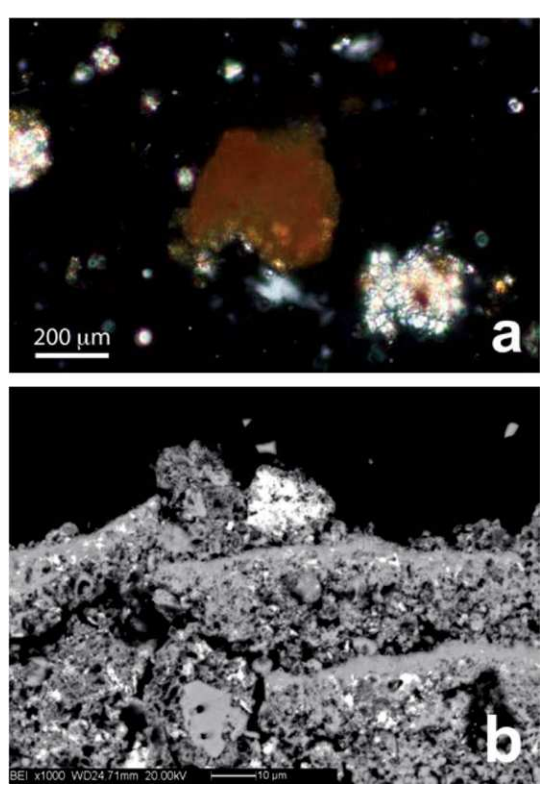

الشكل 9. a) صورة مجهرية PLM لجزيئات صبغ صفراء؛ b) صورة SEM-BSE تظهر جزيئات بيضاء متلألئة على سطح العينة، غنية جدًا بالحديد في تحليل EDS.

أما بالنسبة للون الأخضر من الأصباغ فهو مركب من الأخضر الأرضي، ويتكون من جزيئات دائرية، يتراوح حجم بعضها ما بين عشرات إلى مئات الميكرونات (الشكل A10). هذا النوع من الأصباغ مركب عادة إما من الجلوكونت (طين رملي معدني ضارب إلى الخضرة) أو الكليدونت (اللون الأخضر/الأزرق لسلفات- كربون الرصاص والنحاس). ومن الصعب التمييز بينهما بتقنيات التحليل المخبري (الشكل B10). وجود أحد الأصداف المجهرية البدائية مرتبطة بجزيئات اللون الأخضر، بحسب التحليل المخبري (SEM- BSE) (الشكل C10)، يشير إلى أن الأخضر الأرضي المستعمل برسم سينوبيا فسيفساء اللّد جاء من شاطيء البحر، ومركب من مادة الجلوكونت.

وأخيرًا، استخرج اللون الأسود من أصباغ الكربون الأسود، ويستدل من جزيئات الكربون على خواص اللون الأسود واللون غير الشفاف، ويظهر بشكل غير اعتيادي (الشكل A11). وفي كثير من الأحيان حفظت أعقاب البناء الخلوي بشكل جيد (الشكل B11 بالوسط). وبالإضافة إلى كون هذه الصبغة مرتبط بوجود جزيئات زجاجية كروية، تحتوي على فقاعات مفرغة من الغاز (الشكل B11)، ربما كانت نتاج جزيئات التراب الذائبة خلال عملية حرق مواد نباتية (خشب أو قش) للحصول على الكربون الأسود.

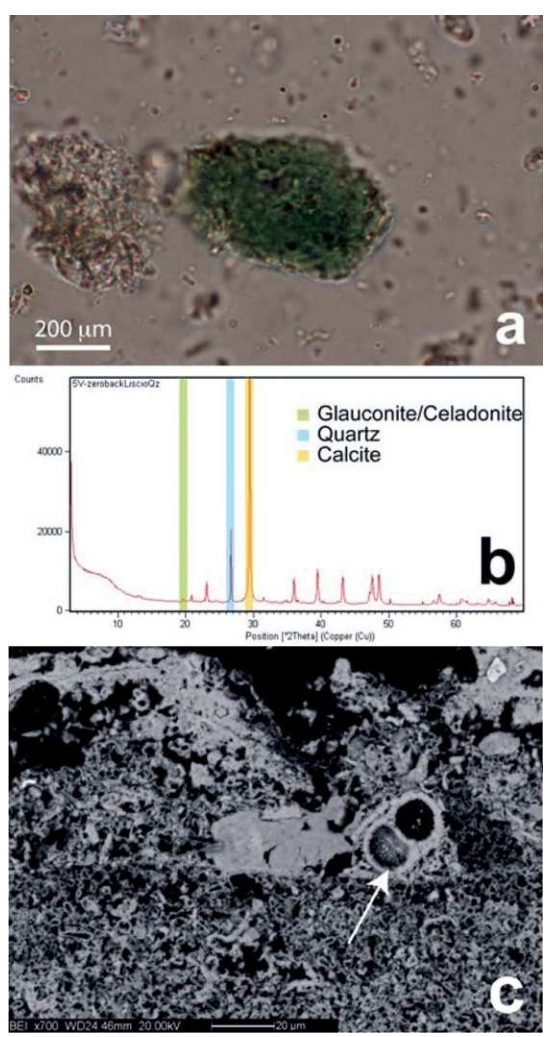

الشكل 10. a) صورة مجهرية PLM من جزيئات مستديرة خضراء شاحبة؛ b) نمط XRPD؛ c) صورة SEM-BSE باللون الأخضر جزيئات على سطح العينة تأتي من رواسب شاطئ البحر وتتكون من الجلوكونيت.

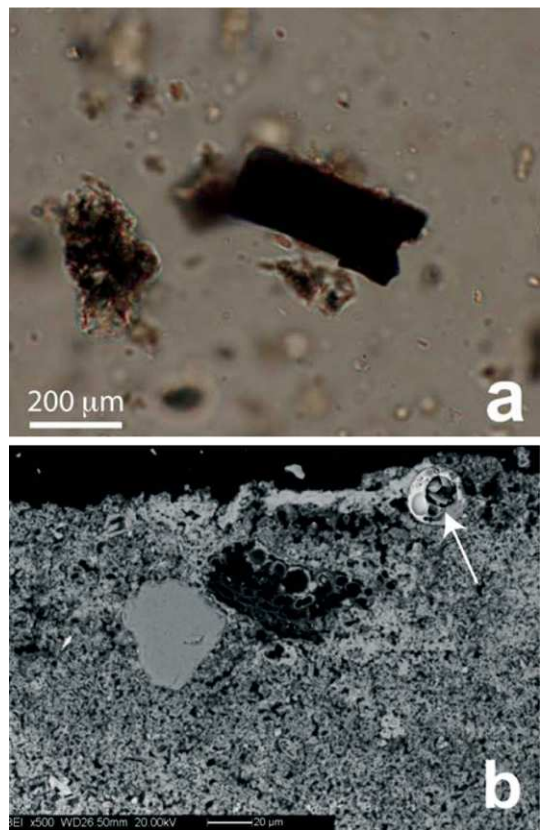

الشكل 11. a) صورة مجهرية PLM للجسيمات السوداء وغير الشفافة؛
b) صور SEM-BSE جزيئات التركيب والزجاج (السهم الأبيض) مشتقة من عملية الاحتراق.

استنتاجات

نتائج التحاليل المتنوعة للسينوبيا متعددة الألوان التي اكتشفت تحت المشهد البحري لفسيفساء اللّد أشارت إلى أن تركيبات الأصباغ المستعملة وبنيتها مركبة أكثر مما كان متوقعًا.

إن استعمال خمسة أصباغ مختلفة يشير إلى حاجة الفنان، الذي أعد لوحة الفسيفساء، لرسم تحضيري مفصّل وبالألوان قبل رصفها. وهذا كما يبدو يتماشى مع الذوق الرفيع والراقي لصاحب الڤيلا وطبيعة عمله، الذي تطلّب عمل فسيفساء عالية الجودة. الأصباغ المستعملة، خاصة اللون الأحمر والأصفر الأوكرا، والأخضر الأرضي، والأسود الكربوني، هي أصباغ معروفة، ويمكن الحصول عليها بسهولة.

أما السينيبار (الأحمر الذهبي) فيتميز عن باقي الألوان بأنه من الأصباغ غير المألوفة في الرسوم التحضيرية التي تغطى بالفسيفساء، وذلك نظرًا لارتفاع ثمنه. بالرغم من وجود هذا اللون بين الفينة والأخرى، فإن استخدامه إنما يدل على أن الفنان الذي أنجز الرسم التحضيري لديه خبرة جيدة في الرسم، لدرجة أن لون السينيبار كان أحد الألوان المستعملة على خشبة الرسم التي بين يديه.

وجود طبقة كربون على أسطح النماذج المحللة، الحاوية للأصباغ، يدل على وضع الأصباغ على الملاط وهو رطب، بحسب تقنية رسم الفريسكو.

كل هذه المعلومات مجتمعة تشير إلى سينوبيا متميزة وفريدة لتلك الفترة، فالسينوبيا الملونة التي وجدت تحت فسيفساء اللّد تشير إلى غنى صاحب الڤيلا، الذي أوصى بعمله، ورغبته بإنجاز لوحة فنية معتبرة وفريدة بنوعها، لربما احتفاءً بأرباحه من تجارة بحرية ناجحة.

خلال عملية صيانة ثلاثة ألواح الفسيفساء والسينوبيا، تم فصلها عن المادة التي ألصقت بها وقت إخراجها من الموقع. هذه العملية كانت معقدة وتم خلالها فصل طبقة الجص، بالمختبر، دون المسّ بطبقة الألوان. تمت كذلك صيانة الألواح المرسومة باستخدام التقنيات المذكورة في هذا البحث. وتم ترميم الرسومات بالتقنيات المستعملة لصيانة الفريسكو.

يمكن التعرف على عملية ترميم فسيفساء اللّد بموقع الانترنت على الرابط: www.lodmosaic.org حاليًا يعرض قسم من فسيفساء اللّد وأحد ألواح السينوبيا في متحف كولومبس الفني في كولومبس، أوهايو، الولايات المتحدة الأمريكية. والفسيفساء كلها، مع بعض الموجودات من الموقع الأثري، معروضة في مركز الآثار على اسم شلبي وايت وليون ليڤي في مدينة اللّد.

عملية إنشاء مركز الفسيفساء الأثري في اللد على اسم شيلبي وايت وليون ليفي

المهندس رعنان كيسليف، سلطة الآثار
ترجمة الدكتور حمودي خلايلة، سلطة الآثار

المقدمة

عُثر في اللد على ڤيلا من الفترة الرومانية، أرضيتها من الفسيفساء، وتضم أجمل لوحات فسيفساء اكتشفت في البلاد. تم اكتشاف الفيلا خلال تنقيبات الإنقاذ التي قامت بها سلطة الآثار في مدينة اللد عام 1996. بعد إنهاء عملية التنقيبات، ولعدم توفر ميزانية لإتمام أعمال حفاظ وترميم الموقع، وبالتالي عرضه للجمهور العام، تم تغطية الفسيفساء بالتراب. من اليوم الأول، أثار هذا الاكتشاف الفريد اسئلةً موضوعية حول إمكانية عرضه للجمهور، وطريقة عرضه. بالنهاية تقرر إنشاء مركز زوار، وابتدئ العمل على هذا المشروع الذي يعتبر من أهم المشاريع وأكثرها تعقيدًا التي نفذت في البلاد. حيث سيتم عرض أرضيات الفسيفساء في الموقع الأصلي داخل مبنى حديث يتوافق مع بقايا الڤيلا وقيمتها الأثرية.

جَرت ثلاث محاولات تخطيط لبناء المركز: كانت المحاولة الأولى بين عامي 1996–1997 فور الانتهاء من أعمال التنقيب; المحاولة الثانية كانت خلال 2009–2015 بعد الكشف عن أرضية الفسيفساء مرة أخرى، وتوسيع نطاق التنقيب، وعُثر على أرضيات فسيفساء إضافية; أما المحاولة الثالثة فكانت بين عام 2016–2021 وذلك بعد الانتهاء من تنظيم موضوع ملكية الأرض، استكمال الحقوق القانونية، ودخول شركة اللد الاقتصادية لإدارة هذا المشروع.

سنتطرق في هذه المقالة الى المحاولات الثلاث للتخطيط بناء مركز الزوار، آخذين بعين الاعتبار القضايا والتحديات التي رافقت هذا المشروع حتى اكتمال بناء المركز، وإعادة الفسيفساء إلى موقعها الأصلي.

تاريخ التخطيط لبناء مركز الزوار

كانت محاولة التخطيط الأولى، كما ذكرنا عام 1997 مباشرة بعد انتهاء أعمال التنقيب، وطرح فكرة إنشاء "مركز زوار لفسيفساء اللد". كانت هذه مبادرة مشتركة بين سلطة الآثار، بلدية اللد، وبالتعاون مع جمعية بيوت الشباب. أصاغ قسم الترميم التابع لسلطة الآثار برنامج تنفيذي لتصميم وادارة هذا المركز. وبالفعل قام طاقمين من المختصين من قسم الترميم، ومختصين مستقلين بالتعاون مع المركز الجماهيري اللد بإعداد خريطة "مركز الزوار" بمفهوم ابتكاري حديث. ألا أنه لم يتجسد بسبب نقص بالميزانيات.

أما المحاولة الثانية كانت بين الاعوام 2009–2015، جاءت بعد أن استلموا مدري المشروع ملاحظات المختصين، ان خطر اكيداً يهدد سلامة أرضيات الفسيفساء، وخوفهم من حدوث أضرار جسيمة لها. لذلك تقرر وضع برنامج يضم عدة خطوات عملية، مثل: المباشرة الفورية بإتمام عملية التنقيب; إزالة الفسيفساء ونقله الى مختبر مختص للترميم وتجهيزه للعرض; بناء صالة عرض خاصة تعرض فيها اقسام من أرضية الفسيفساء. أما لوحة الفسيفساء المركزية أعدت لتعرض في عدد من المتاحف العالمية.

في نهاية عام 2008 تلقت السيدة شيلبي وايت تبرعًا من مؤسسة ليون ليفي، مخصصة لإعداد التخطيطات للمشروع، والبدء في مراحل تنفيذ المشروع الأولية. أعقاب ذلك، باشر طاقم من قسم التخطيط التابع لقسم الترميم بإعداد تخطيط أولي لبناء مركز الزوار، وتمت الموافقة على التخطيط من قبل الجهة المانحة، بلدية اللد، وإدارة سلطة الآثار (الشكلين 1–2).

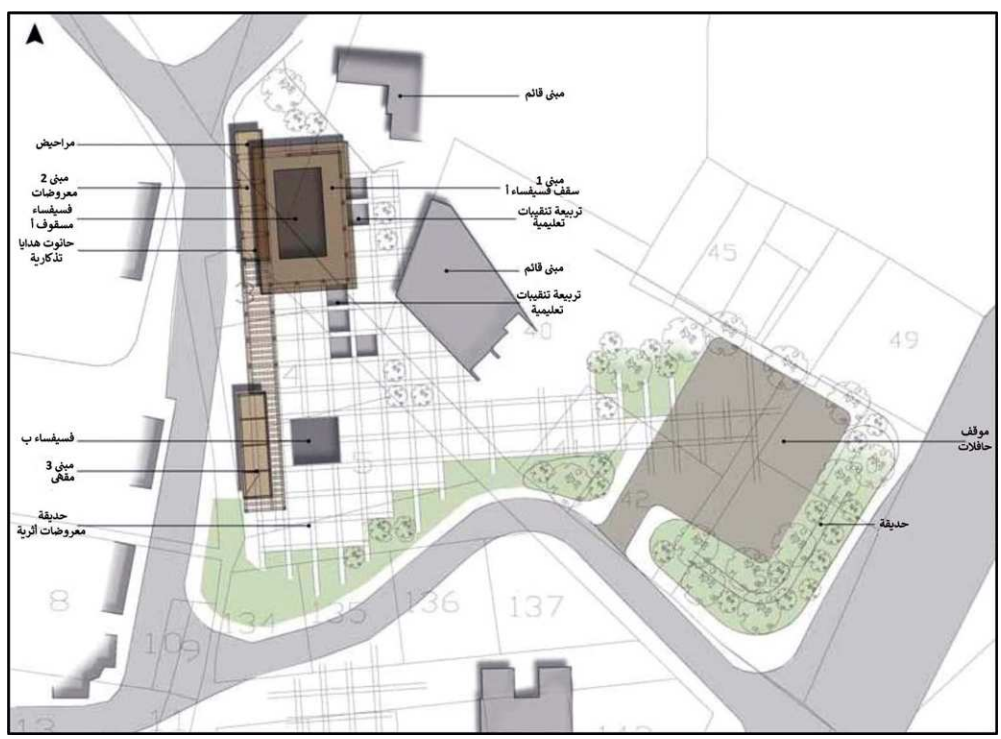

الشكل 1. المخطط الأولي لهيكل المركز ومحيطه عام 2008.

الشكل 2. محاكاة أولية لهيكل المركز ومحيطه عام 2008.

ابتدأ تنفيذ المشروع في منتصف عام 2009، وتم الكشف من جديد عن الفسيفساء المركزي، وأجزاء صغيرة من الفسيفساء الجنوبي. وواصل في غضون ذلك فريق التخطيط بأجراء تعديلات تخطيطية وفقًا لنتائج التنقيبات.

بعد ذلك، تم إخراج الفسيفساء المركزي من موقعه، ونُقل الى مختبر الفسيفساء في متحف روكفيلر (القدس) التابع لسلطة الأثار من أجل صيانته وإعداده للعرض. خلال عام 2010، بعد إتمام اعداد الفسيفساء المركزي للعرض، نُقل جواً إلى متحف المتروبوليتان للفنون في نيويورك، وهناك تم عُرضه للجمهور لمدة سنة كاملة، وبعد ذلك عُرض في أشهر متاحف العالم (11 متحف)، من بينها متحف اللوفر في باريس، وكانت محطته الأخيرة في متحف هيرميتاج في سان بطرسبرغ (روسيا). حظي هذا الفسيفساء الجذاب بأعجاب الزوار في جميع الأماكن التي عرض فيها، وشاهده جمهور كبيرًا جدًا على مر السنين.

باشرت سلطة الآثار وبالتعاون مع بلدية اللد بعد الانتهاء من أعمال التنقيب الأثري عام 2010، بإعداد خطة مفصلة لبناء مركز الزوار ومحيطه. شملت هذه الخطة المراحل المفصلة التي تمكن إقامة مركز للزوار فوق الموقع الأثري، وتنظيم محيطه الخاص والعام، بما في ذلك وضع نظام جديد لحركة السير، وانشاء موقف عمومي السيارات (الأشكال 3–5). بعد الانتهاء من أعداد خرائط المشروع في أوائل عام 2013، وافقة الجنة المركزية للتخطيط على المخطط الهيكلي في نهاية عام 2014، وبعد عناء طويل تم الحصول على تصريح لإزالة شارع داخلي الذي منع مواصلة أعمال التنقيب الأثري، وأنقاض المخلفات الأثرية وتحريرها كي تبدأ عملية بناء مركز الزوار.

خلال اعمال التنقيب المتجددة تم كشف عن أجزاء جديدة من الفيلا الرومانية المؤرخة الى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع ميلادي، وأيضاً على بقايا مبنى قديم من القرن الأول ميلادي، وعن الفسيفساء الجنوبي، الذي يعود تاريخه الى الفترة البيزنطية. استدعت هذه الاكتشافات الجديدة إجراء تغييرًا جذريا في التخطيط الشامل لمركز الزوار، حيث قام فريق التخطيط الحديث، الذي عمل جنبًا إلى جنب مع علماء الآثار بإجراء تغييرات جوهرية في التصميم من شأنها السماح بعرض أفضل للمكتشفات في إطارها الأثري.

مبادئ أساسية التي صيغت لتخطيط الموقع وترميمه خلال جميع مراحل العمل:

معلمًا حضريًا - تشييد مبنى حديث فوق موقع الفسيفساء، الواقع بالقرب من مدخل المدينة الرئيسي. فرصة لإنشاء معلمًا حضريًا، سواء إذا كان للسياح القادمين إلى المدينة، أو لسكان اللد كعنصر "فخر محلي" بهذا الاكتشاف وبمركز الزوار.

موقع عمومي مفتوح للجمهور مجاناً - تصميم مسار سياحي، يتخلله محطات مظللة ومطلات الى البقايا الأثرية وخصوصًا على الفسيفساء الجنوبي. تطلب تصمم هذه المنطقة شروط محددة وعلى رأسها جعل هذه المنطقة قاعدة شبكية ثابتة، تشابه مربعات التنقيب الأثري، وتمكن إقصاء مناطق تنقيب مستقبلية، وإذا تم العثور على اكتشافات مستقبلية، دمجها في مركز الزوار المفتوح للجمهور.

صالة العرض - يعرض الفسيفساء في قاعة عرض كما كان وضعه الأولي. سيكون زائر مشاركاً فعالاً في صالة العرض، بدءًا من مشاهدة الفسيفساء من مطل ارتفاعه 5.3 متر، والتجوال حول الفسيفساء في عدة مستويات حتى وصوله إلى الأرضية في الطبقة السفلى التي تتضمن عرضًا للمكتشفات المتنقلة.

إشارك الجمهور المحلي - سيكون الجمهور المحلي جزءًا من عملية تطوير المناطق العمومية حول مركز الزوار، والهدف من ذلك، إعطاء الجمهور امكانية الشعور بالفخر والانتماء لهذا المكان. بالتعاون مع دائرة التربية والتعليم التابعة لبلدية اللد سيتم تحضير برنامج تعليمي وثقافي حول موضوع الأثار وأهمية الفسيفساء في مركز الزوار.

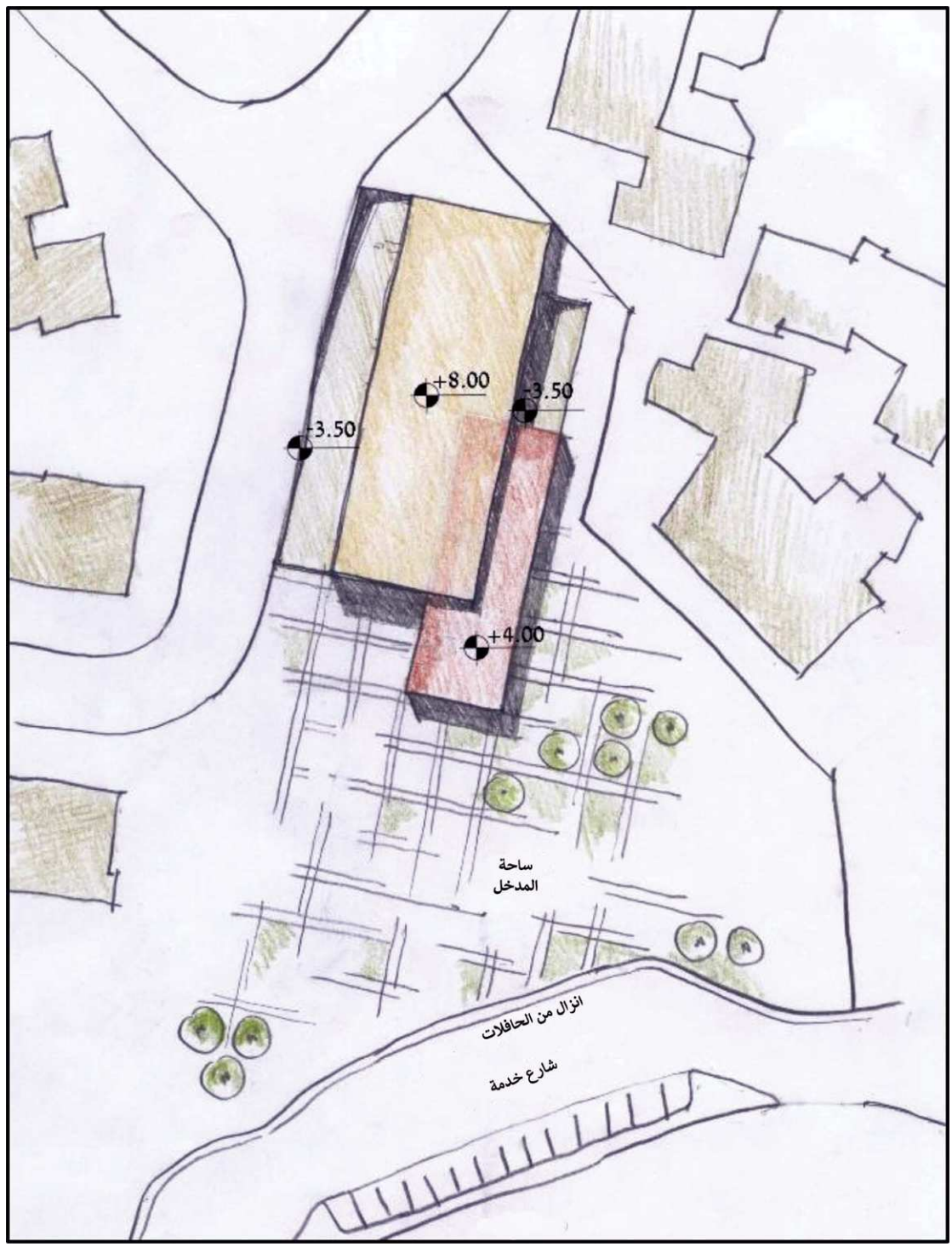

الشكل 3. مخطط هيكل المركز ومحيطه عام 2010.

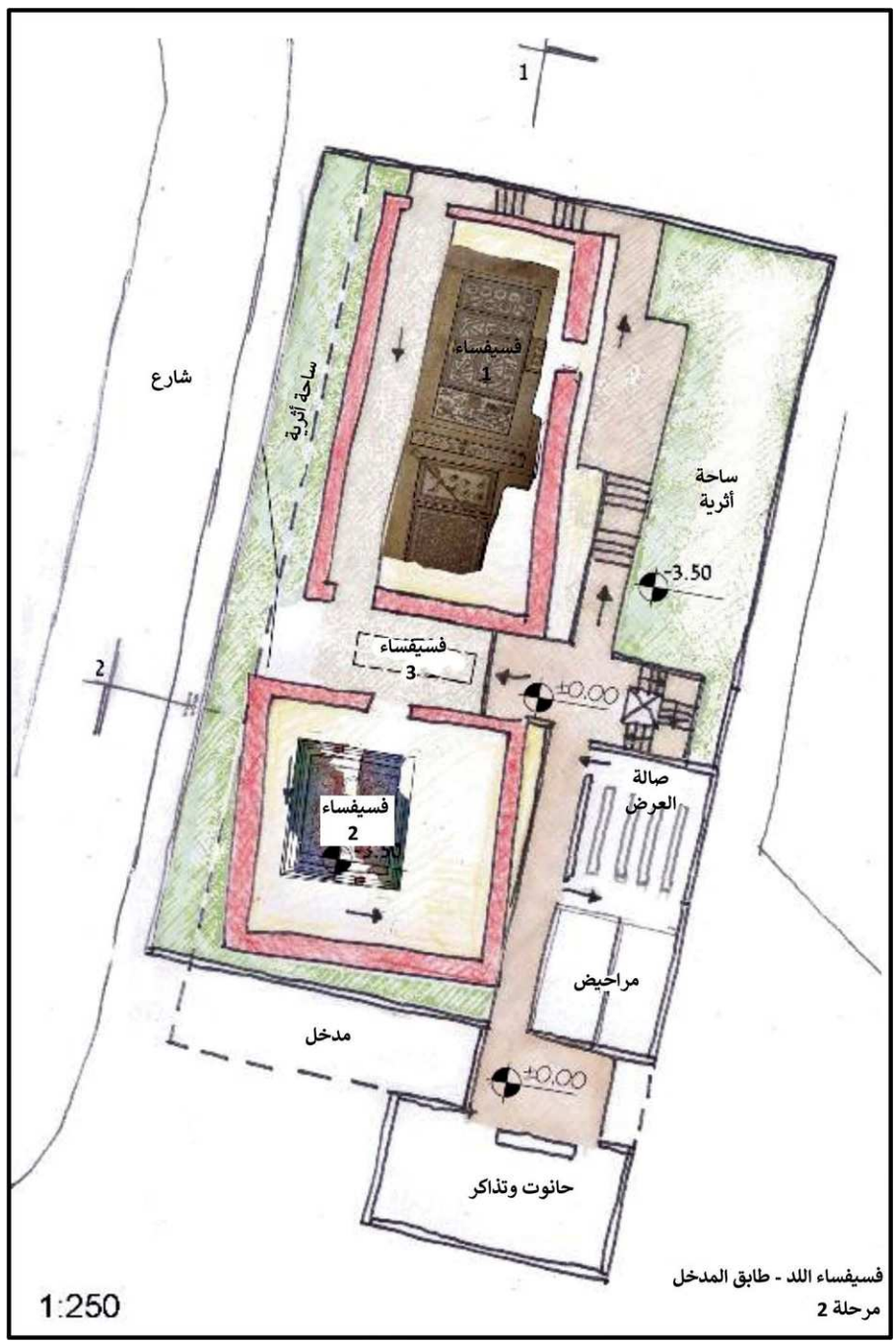

الشكل 4. المخطط الأولي لهيكل المركز عام 2010.

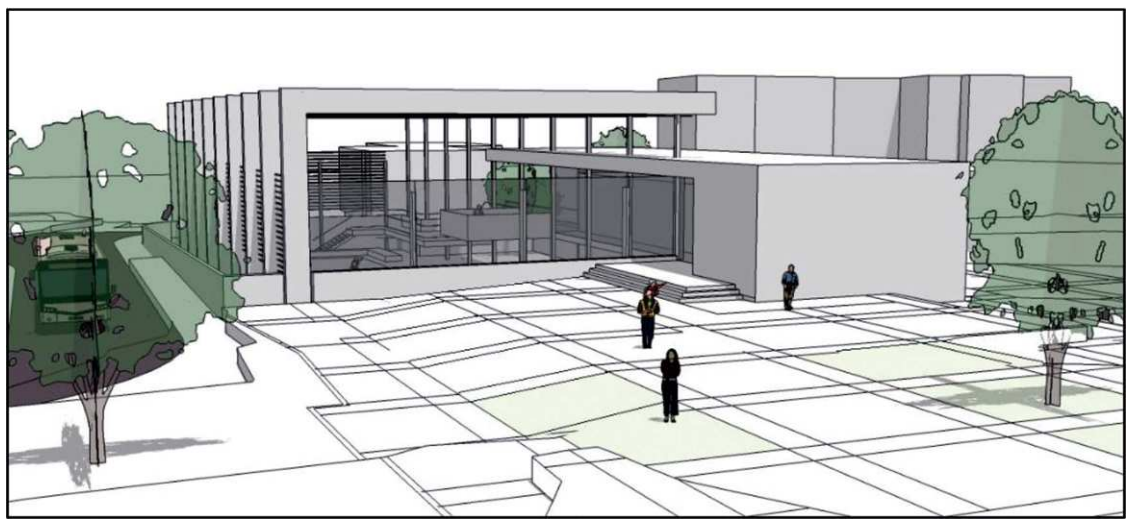

الشكل 5. محاكاة هيكل المركز ومحيطه عام 2010.

الترميم - من أجل الحرص على حفظ الفسيفساء وراحة الزائرين، سيتم عرض الفسيفساء الرئيسي في قاعة مغلقة، كي نستطيع التحكم في الظروف المناخية داخلها، وتزويدها بإضاءة ملائمة. أما الفسيفساء الجنوبي سوف يبقى في موقعه الأصلي، وسيتم الحفاظ عليه وفقًا لإرشادات فريق الحفظ.

القيم الحضارية للموقع - يعتبر فسيفساء اللد من أروع التحف الفنية التي حفظت بشكل استثنائي من حيث جودة، تحضيره، بنائه وكذلك الاشكال الفنية التي زينته. فهو يعتبر من أروع فسيفساء مكتشفة في البلاد عامةً وفي مواقع الفترة الرومانية بشكل خاص. تتجلى جودته الفنية في حجم الحجارة المركبة مجتمعة أرضية الفسيفساء، ثراء الرسومات والونها، مما يشير الى أن موهبة الفنان كانت نادرة. اكتشف الفسيفساء بوضع حفظي جيدًا، على الرغم من أن جدران الڤيلا بالكاد نجت. تشير رسومات الفسيفساء إلى علاقة الفنان بالثقافة الشائعة في شمال إفريقيا، ومعرفته المطلقة بأصناف النباتات والحيوانيات المميزة لتلك المنطقة. تثري أوصاف السفن ومسارات الملاحة الباحثين في مجال السفن والتجارة البحرية في الفترة الرومانية.

الهوية - تجنب ربط الفسيفساء بطائفة أو مجموعة سكان معينة، بل التركيز على القيمة التاريخية، التكنولوجية والفنية لهذا الفسيفساء. تتيح المجموعة الواسعة من الموضوعات المتعلقة بالفسيفساء امكانية الاختيار والتعديل بينهما كي تلائم مستوى الزائر والمحتويات الذي يريدها. وبالتالي، تكون هذه المحتويات الهوية الملائمة لهذا المكان.

تقنية العرض - سيتم عرض المحتويات بتقنية تكنولوجية وفعاليات تعليمة، بحيث تكني للزائر متعة الزيارة من خلال انشطة مرئية وتعلمية، وليس فقط كمتنزه. دمج عرض صور وصوت بالفعاليات تكني للمكان ديناميكية خاصة.

مبادئ أساسية لعرض الكنوز المتنقلة

- يعرض مركز زوار من خلال الموجودات المتنقلة أسلوب الحياة في مدينة اللد خلال الفترات القديمة.

• نشر الوعي لدى الجماهير للمحافظة على المواقع الأثرية.
• إعادة الفسيفساء المركزي إلى موقعه الأصلي يجعل المكان "متحف موقعي"، ومركز زوار فريد ومستقل، بحيث تكمن أهميته وضخامته في معرض الفسيفساء الفريد.
• عرض لوحات فسيفسائية أخرى تم اكتشافها في التنقيبات الأثرية في مدينة اللد.
• سيكون مركز الزوار جزءًا لا يتجزأ من المناخ الطبيعي المرتبط بالآثار التي تم التنقيب عنها، والتي سيتم التنقيب عنها مستقبلًا في الموقع.

التخطيط الجديد - المحاولة الثالثة 2016-2021

صدر في نهاية عام 2015 قرار من قبل سلطة الآثار بإجراء تغييرات في طاقم مخططي المشروع، بعد الصعوبات التي واجهها الطاقم بالانتقال من مرحلة التخطيط إلى مرحلة التنفيذ الفعلي. وتم تعيين طاقم جديد لإدارة المشروع، بشرط الأخذ بعين الاعتبار المصروفات المادية وتكاليف إدارة مركز الزوار المستقبلية، واعداد ميزانية شاملة للمشروع. بالإضافة الى ذلك، ألقت بلدية اللد على شركة اللد الاقتصادية إدارة المشروع حاليًا ومستقبلًا. باشر الطاقم الجديد عملة بناءً على مبادئ التخطيط الذي وضعه الطاقم السابق.

وضع مبادئ مشتركة لصميم المبنى مع شركة اللد الاقتصادية:

• التخطيط لوحدة بناء واسعة، تستخدم كمدخل رئيسي للمبنى، واستخدامها كقاعة متعددة الأغراض.
• وضع مخطط مسار سياحي واضح لا يقيد حركة الزائرين أثناء عرض الفسيفساء للجمهور.
• تجنب إنشاء غرف تحت الأرض تدمر البقايا الأثرية. تقليص مساحة مبنى مركز الزوار، وتقليص ارتفاعه بشكل ملحوظ، مما يقلل من تكلفة البناء ونفقات الصيانة المستقبلية.

صياغة أسس تخطيطية لمحيط وبيئة مركز الزوار وفقًا للمبادئ التالية:

• تخطيط المحيط الطبيعي، والتنمية البيئية، معتمداً على نصوص علمية عن الحدائق والتخطيط البيئي للفيلات من الفترة الرومانية.
• تخصيص مناطق عشب أخضر واسعة، مظللة ومعدة لأنشطة متعددة الأغراض، بما في ذلك مناطق لعب واستمتاع.
• شق شارع محوري يربط مركز الزوار بالشوارع الغربية له، وخلق خط رؤية واضح لمحور الإياب.
• استخدام جدران حجرية لتقليل فارق الارتفاع في المنحدر، وإنشاء مناطق جلوس هادئة.
• إنشاء مدخل ضخم ومبهر لمركز الزوار.

أتخذ جميع الشركاء في هذا المشروع في المرحلة التنفيذية قرارين حاسمين: بعد الانتهاء من التخطيط وعرض عدد من البدائل، أتخذ القرار الأول، متعلق بشأن البديل المختار الذي يأخذ بعين الاعتبار جميع المبادئ التي تمت صياغتها سابقا. القرار الثاني، اختيار شركة محتوى للتصميم التجريبي من شأنها وضع مخطط تجربي وفقًا للأسس التالية:

• يخدم مركز الزوار جمهورًا متنوعًا من الزوار، والهدف خلق تجربة فريد من نوعها تثير الشعور والحواس، ويبلغ ذروتها في القاعة المركزية حيث يتواجد الفسيفساء الروماني. تبث بواسطة أجهزة حديثة بعض الأشكال المرسومة في الفسيفساء بمساعدة تقنيات متقدمة للصور، أفلام، وعرض صوتي وصوري ثلاثي الأبعاد.
• مزج قصة اللد وطبقاتها الأثرية في سياق الفترة الرومانية، والفيلا التي على انقاضها أقيم مركز الزوار الحالي.

• عرض بعض رسمات الفسيفساء لتمكن الزائر من التعرف على تقنية بناء الفسيفساء، والوقوف من خلالها على الحياة اليومية في الإمبراطورية الرومانية.
• وضع محور تاريخي شامل للتاريخ الأثري في البلاد من خلاله يتعرف الزائر على مكانة مدينة اللد وأهميتها على المحور التاريخ.
• إعداد خطة تبيح للزائر زيارة مركز الزوار عدة مرات، وذلك عن طريق إدراج محتويات إضافية، بما في ذلك عرض مكتشفات إضافية من تنقيبات مستقبلية في مدينة اللد.

تم اعداد المخططات والتحضير للحصول على ترخيص لبناء مبنى مركز الزوار في نهاية عام 2015. بعد أن استكملت جميع الإجراءات المستحقة مع دائرة أراضي إسرائيل، وتسوية موضوع ملكية الأراضي، أقرت اللجنة القطرية للترخيص والبناء بالسماح بمباشرة بناء مركز الزوار (الأشكال 6–9).

الشكل 6. مخطط هيكل المركز ومحيطه عام 2015.

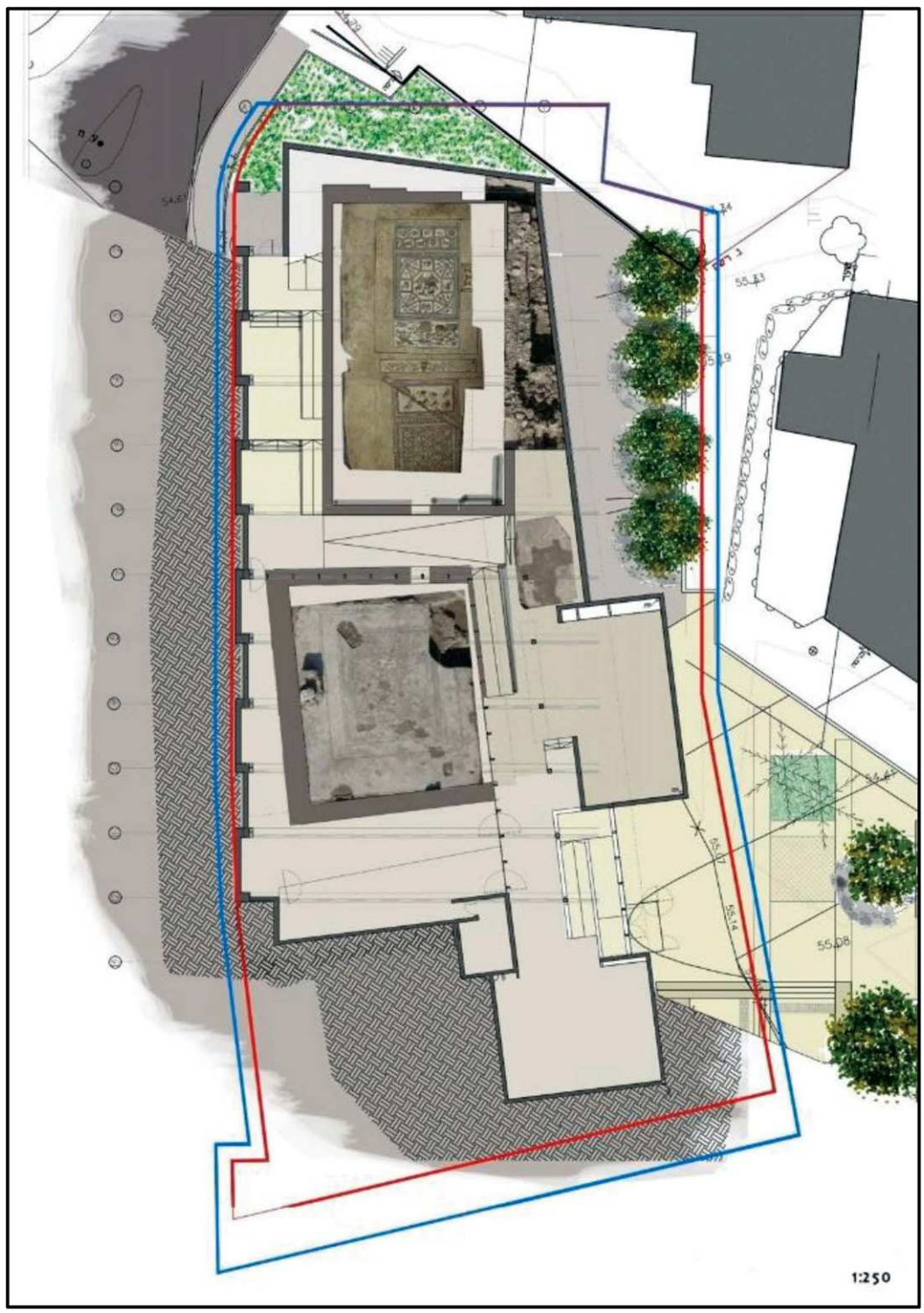

الشكل 7. مخطط هيكل المركز ومحيطه عام 2015.

الشكل 8. محاكاة هيكل المركز ومحيطه عام 2015.

الشكل 9. محاكاة هيكل المركز ومحيطه عام 2015.

أقيم حفل وضع حجر الأساس في نهاية عام 2017، بمشاركة المانحة شيلبي وايت، وياير ريفيفو رئيس بلدية اللد، وإسرائيل حسون مدير سلطة الآثار (الشكل 10).

بدأ مشروع البناء في الموقع في منتصف عام 2018 واستمر حتى نهاية عام 2020. وقد تم إعادة الفسيفساء المركزي إلى مكانه الأصلي في منتصف عام 2021. بعد ذلك تم بناء سقف المبنى، وادخال المحتويات التجربة والإعداد لافتتاح مركز الزوار للجمهور العام.

الشكل 10. حفل وضع حجر الأساس عام 2017.

ملخص من قبل مهندس المشروع عميت نمليخ - والمصمم المعماري لمركز زوار فسيفساء اللد

يعتمد التخطيط على فكرة أن المركز سيستخدم لعرض المكتشفات الأثرية بالإضافة إلى مركز ثقافي ومجتمعي نشط، مفتوح للزيارة المجانية، يرتبط الجناح الجنوبي بساحة المفتوحة تقع بين المبنى وبحديقة داخلية مطلة على الفسيفساء البيزنطي الذي وضع في البرستيل "فناء واسع". أما الحديقة الداخلية فتكون حلقة وصل بين الجزء الجديد من المركز والجزء التاريخي الموجود في الطبقة السفلى (الأشكال 11–13).

تم تصميم الصالة الرئيسية على شكل معرض كبير يتسع لعدد كبير من الزوار، ويسمح بمشاهدة الفسيفساء من مطلات مختلفة. تبدأ الزيارة بمشاهدة الفسيفساء المركزي من مطل في الطبقة العلوية ثم يمر الزائر عبر مدرج مخصص للجلوس، وهناك إمكانية مشاهدة المعروضات وينتهي المسار بوصول الزائر إلى قاعة عرض الخاصة بالڤيلا الرومانية وفسيفسائها المركزي. بالإمكان الخروج من المستوى السفلي إلى فناء البرستيل وزيارة الفسيفساء البيزنطي الجنوبي والعودة إلى نقطة الانطلاق. كما تم التخطيط لمنطقة خارجية مظللة لإقامة ورش عمل إبداعية للزائرين والجمهور العام.

التخطيط المعماري في ظل بيئة أحياء اللد

قاعدة التخطيط المعماري هي اقامة مبنى منخفض ومتواضع، لا يخلق شعورًا بالضخامة ولم يتم تصميمه كخلفية مزخرفة ومنفصلة عن محيطه. يكون مركز الزوار بأكمله مساحة عمومية جديدة، مفتوحة وجذابة لمدينة اللد. ويشمل هذا الصرح المركزي الحديث فناء مفتوح للأنشطة الحضرية، ومناطق مظللة للجلوس والترفيه، وقطاع للعب والتعبير عن القيم التربوية والثقافية من خلال لافتات وعناصر ملائمة لطبيعة المكان.

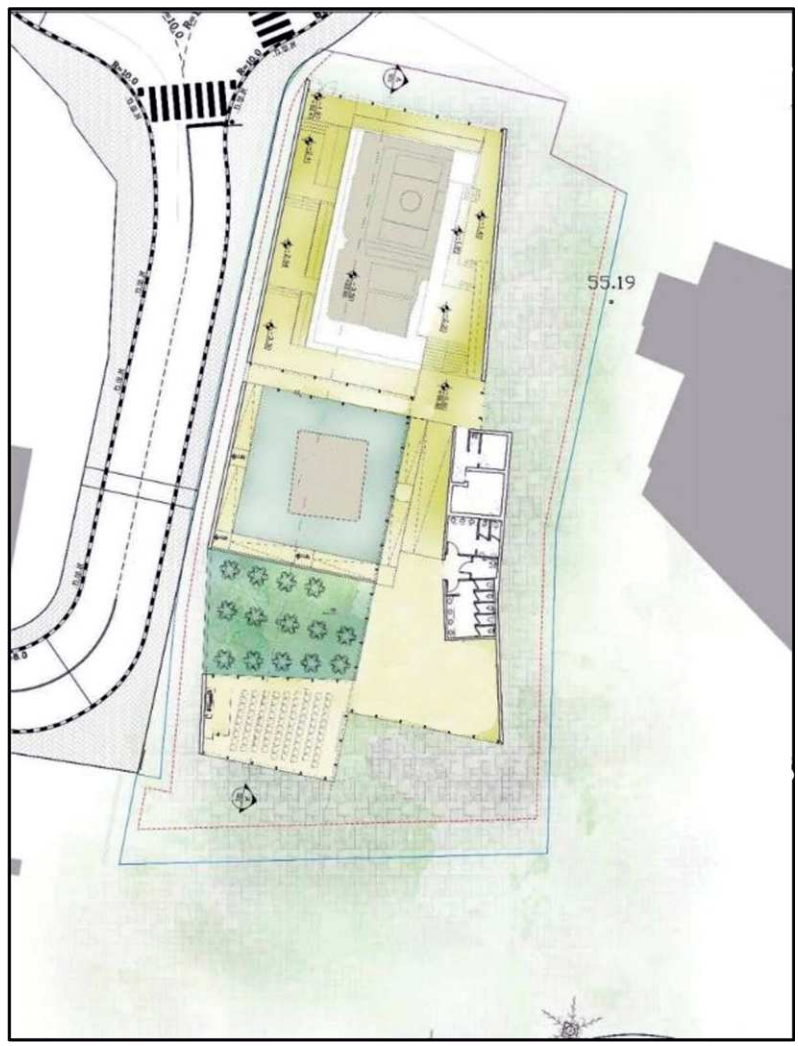

الشكل 11. مخطط هيكل المركز، البديل الاول عام 2015.

الشكل 12. تصوير هيكل المركز ومحيطه، البديل الأول عام 2016.

الشكل 13. مخطط هيكل المركز ومحيطه، البديل المختار عام 2017.

تصميم المدخل الرئيسي بشكل مميز من حيث نظام الدخول، الإضاءة، وإمكانية تشغيل المركز بحد أدنى من القوى العاملة. أما بساطة المبنى الذي يحوي مساحات داخلية جذابة، يُشجع الزائر بالبقاء في مركز الزوار، ويخلق عدة خيارات للأنشطة مع الحد الأدنى بالبقاء في المساحة المبنية.

أعتمد اختيار مواد البناء وعناصر المبنى بشكل دقيق أخذ بالحسبان التعبيرات التاريخية. المواد الحديثة لمكونات بناء المبنى الذي يضم الڤيلا – اختيرت أعمدة اجرية للفناء الداخلي، استخدام الفولاذ الأسود لجدران الڤيلا، اما الجدران الخارجية للمبنى تم بنائها من الحجر والزجاج، للاندماج بالحياء الحديثة للمدينة، حيث تطفي جوا من الانتماء بالنسيج الحضري المتطور. مواد التشطيب الداخلية تربط بين القسمين المكون منهم مركز الزوار وخلق الكمال والانسجام الدافئ والممتع (الأشكال 14–17).

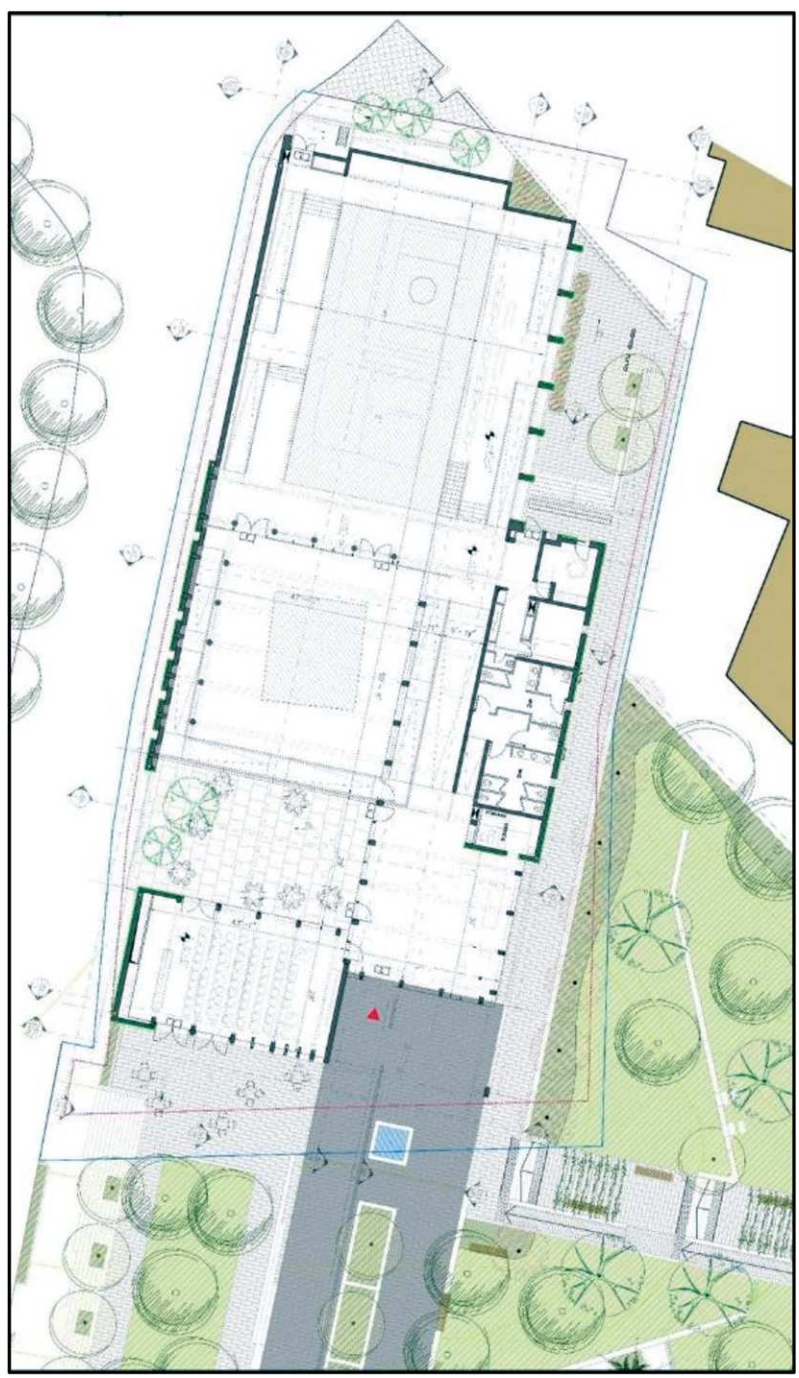

الشكل 14. مخطط هيكل المركز، البديل المختار عام 2017.

الشكل 15. تصوير المبنى المركزي ومحيطه من الجهة الشمالية الشرقية، البديل المختار عام 2017.

الشكل 16. تصوير المبنى المركزي ومحيط، الواجهة المركزية، باتجاه الشمال، البديل المختار عام 2017.

الشكل 17. تصوير من الداخل للمبنى باتجاه الجنوب، البديل المختار عام 2017.

ملخص لعملية إنشاء الشركة الصناعية لترسيخ تطوير تجربة الزيارة

طورت الشركة التجريبية لزيارة مركز زوار فسيفساء اللد، والذي يتكون من طبقتين: طبقة متحف مناسب للقرن الحادي والعشرين ويدعو الزائر لاكتشاف الموقع والفسيفساء بشكل تفاعلي، والتعرف على تاريخ مدينة اللد العريق. أما في الطبقة الثانية، سيتم دعوة الزوار بالمشاركه في ألعاب إيقاعية وتنافسية، مبنية على تجربة بحثية تروي قصة الفسيفساء والفيلا، والثراء الروماني المثير للفضول، ومبنية على أسس علم الآثار وماضي اللد التاريخي، وكل ذلك بواسطة المزج بين وسائل تكنولوجية ومادية لجعل الزيارة مثيرة وممتعة (الشكلين 18–19).

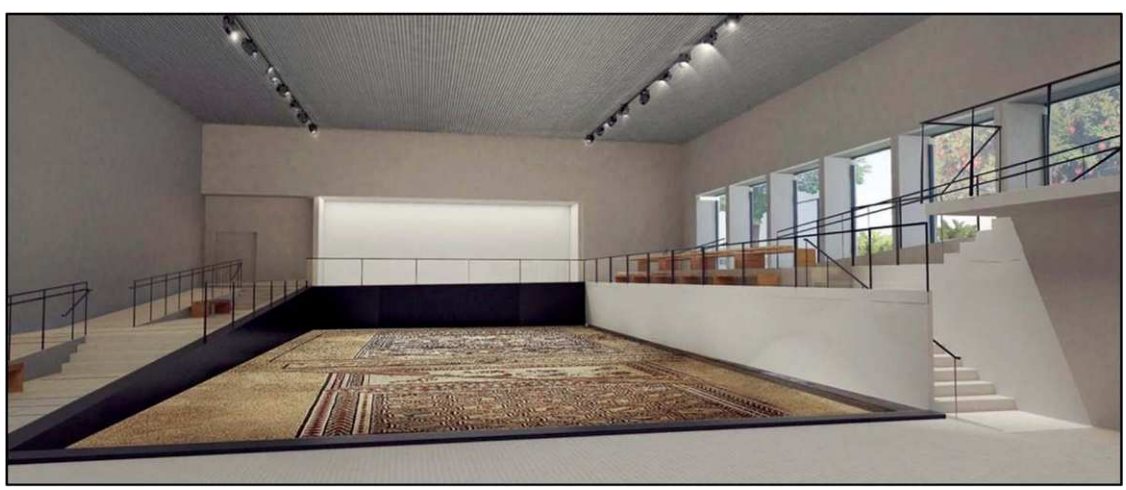

الشكل 18. تصوير من الداخل للمبنى باتجاه الشمال، البديل المختار عام 2017.

الشكل 19. محاكاة محطة الشرح والتشغيل عام 2017.

تحديات في بناء مركز الزوار

يعد مشروع مركز زوار الفسيفساء اللد من أكبر وأهم مشروع تم تنفيذه حتى الآن في البلاد. يمكن للمرء أن يتعلم منه ويستخلص استنتاجات حول الحفاظ على المواقع التراثية، تطويرها وعرضها للجمهور كمستهلك ثقافي. يعد إنشاء مركز عرض الفسيفساء للجمهور تحديًا كبيرًا في الترميم والتصميم المعماري الفريد من نوعه. كانت الخطوة الأولى اتخاذ قرار صعب للغاية بشأن إزالة الفسيفساء من موقعه الأصلي، والسماح بعرضه في أهم متاحف العالم. إزالة الفسيفساء الروماني ليس بالأمر السهل، وبالأخص هذا الفسيفساء المهم بخصائصه، حجمه ومستوى حفظه، ثم إعادته إلى مكانه الأصلي. في نفس الوقت تم ترميم الفسيفساء الجنوبي في موقعه، والحفاظ عليه خلال أعمال البناء. إرجاع الفسيفساء المركزي إلى موقعه دون السماح للجمهور بالمشي عليه، بالمقارنة مع الفسيفساء الجنوبي الذي يسمح للزوار بالمشي عليه.

يعتبر هذا المشروع وتنفيذه برنامج ترميم من أكثر البرامج تعقيدًا في البلاد والعالم. فرع الاختصاص المحترف في الترميم التابع لسلطة الآثار، نفذ هذا البرنامج بدقة تامة بعد دراسة جذرية لأسس التصنيع القديم للفسيفساء الذي استندت على نظام تخطيطي (السينوبيا) لفسيفساء اللد. بداية وضع رسم تخطيطي لكيفية وضع حجارة الفسيفساء الملونة على الجدران أو الأرضيات. تم إرجاع حجارة الفسيفساء واحدة تلو الأخرى لإتمام الصورة الكاملة، وتوصيل الأجزاء بين بعضها البعض بشكل احترافي بدون إدخال اي تعديلات، بحيث تم عرض الفسيفساء كاملًا كما تم صناعته قبل 1700 سنة.

التحديات المستقبلية

هناك العديد من التحديات المستقبلية حول كيفية جعل هذا المركز أحد معالم مدينة اللد، وجعل سكانها منتميين الى هذا المشروع. أن يكون المركز قادرًا على عرض محتوياته لأكثر عدد من الزائرين، وتعميق نطاق الاستمتاع بالإبداع خلال زيارة هذا الموقع. ومن أهم التحديات المستقبلية هي الحفاظ على ميزانية متوازنة والقدرة على صيانته لمدة طويلة من الزمن.

في الختام، يعد هذا المركز من أهم المشاريع التي تدمج وتعرض الآثار بعدة وسائل، بالوسيلة التقليدية، وبواسطة التقنيات التجريبية الحديثة في بناية حديثة. تطلبت هذه الوسائل طرح عدة حلول وخيارات، معظمها شكلت تحديًا تخطيطيًا وعمليًا لجميع المشاركين في هذا المشروع. نأمل أن يتم تشغيل الموقع والأنشطة المبرمجة وأن يتحول مركز الزوار إلى موقع جماهيري يجذب السائحين ويمن بالرفاه الاقتصادي على مدينة اللد (الأشكال 20–22).

شكر وتقدير لمن شارك في هذا المشروع خلال السنوات الماضية

سلطة الآثار، مؤسسة تبرع ليون ليفي وشيلبي وايت، وبلدية اللد; ضم فريق المخططين في المحاولة الأولى: المهندس إيلان كيدار (فرع الترميم التابع لسلطة الآثار)، المهندسين المعماريين هيرمان وأورانيت ليبرمان وشاؤول نيفو. أما في فريق التخطيط في المحاولة الثانية: عيران حيمو، يعراه شالتئيل، مايكل راتنر، وحافا كاتس (سلطة الآثار، قسم التخطيط الإداري للترميم والتصميم المعماري); داني راهاط (إدارة المشروع). الفريق في المحاولة الثالثة كان بإدارة رعنان كيسليف (إدارة المشروع من قبل سلطة الآثار)، ليلاخ جينات نيومارك (المسؤولة عن الترميم)، المهندس المعماري عميت نمليخ ونواعى غانز، المهندس يارون أوفير (التخطيط البيئي والمناظر الطبيعية)، وعيديت يسرائيل (المسؤولة- خبيرة في تخطيط من الشركة الصناعية); جاك نجار وغالب أبو دياب (المسؤولين عن ترميم الفسيفساء في فرع الترميم - سلطة الآثار).

الشكل 20. الجزء الداخلي للمبنى من مرحلة التخطيط وطوال عملية البناء.

الشكل 21. المبنى، باتجاه شمال غرب، من مرحلة التخطيط وطوال عملية البناء.

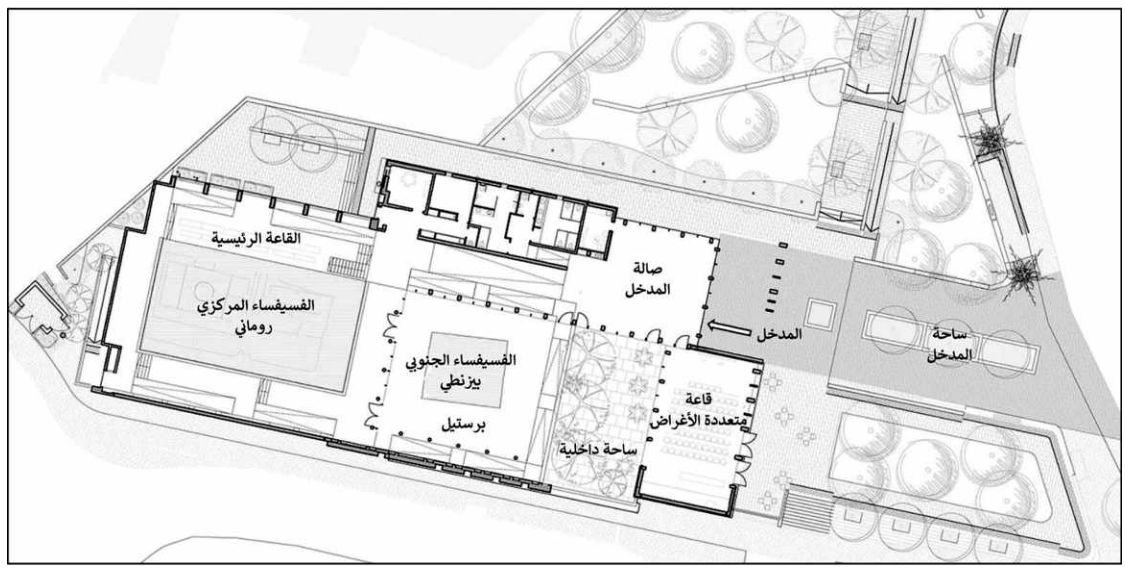

الشكل 22. المخطط التوجيهي لمركز الزوار فسيفساء اللد.

عملات اللد (ديوسبوليس) خلال الفترة الرومانية

دكتور يوآب فرحي، جامعه بن غوريون في النقب
ترجمة الدكتور وليد أطرش، سلطة الآثار

مقدمة

لمدينة اللد تاريخ طويل على مر الزمن، بدء من العصر الحجري الحديث (الألفية السادسة قبل الميلاد) وحتى يومنا هذا. كان لموقع المدينة في العصور القديمة أهمية حاسمة عبر تاريخها وتطورها. تقع اللد بشريط من سهل داخلي، ممتد بين السهل الساحلي وبين الجبال، على طرق البحر، بمفترق طرق مهم تمر به الطرق الرئيسية المؤدية من الساحل نحو داخل البلاد وإلى القدس. تساعد كل من المصادر التاريخية المتنوعة والاكتشافات الأثرية المتعددة على استعادة ماضيها الممتد من منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد وحتى يومنا هذا.

تعرض هذه المقالة تطور سك العملة في اللد، خلال الفترة الرومانية. كانت مدينة اللد في تلك الفترة متوسطة الحجم، ولكنها مهمة بسبب ازدهارها الزراعي. سك العملة في البوليس الروماني هو بمثابة رمز، واعتراف بأهمية المدينة. في اللد، بدأ سك العملة في بداية القرن الثالث ميلادي، وقت متأخر نسبيا بالمقارنة مع مدن البوليس الرومانية الأخرى.

تحلل المقالة أكثر من مئة عملة سكت في ديوسبوليس، خصائصها وعناصرها الأيقونة: الآلهة والحكام والمباني وأكثر من ذلك، جنبا إلى جنب مع التحليل النصي للكتابات التي تظهر عليها. من خلال هذا التحليل نحاول فهم العلاقة الاقتصادية والسياسية والثقافية بين ديوسبوليس والمنطقة المحيطة بها والإمبراطورية الرومانية بشكل عام.

عملات المدن في الفترة الرومانية

تعد عملات مدن فلسطين في الفترة الرومانية جزءًا من ظاهرة منتشرة جدًا للعملات المعدنية الرومانية في الامبراطورية بشكل عام وعملات المدينة بشكل خاص. مئات المدن، معظمها ضمن المقاطعات اليونانية في الشرق، قاموا بسك العملات المعدنية خلال هذه الفترة (القرن الأول قبل الميلاد - القرن الثالث الميلادي). منحت الامبراطورية الرومانية حقوقًا لمدن مختلفة، بعضها أسست من جديد أو أعيد تأسيسها. احدى الحقوق ذات الأهمية القصوى التي منحت على الأرجح لعدد كبير من المدن هي الحق في سك العملات المعدنية. ديوسبوليس كانت إحدى المدن من بين التسعة والثلاثين مدينة في البلاد وعبر الأردن التي سكّت العملات المعدنية في الفترة الرومانية. بعض مدن المنطقة بدأوا بسك العملة قبل الفترة الرومانية (في الفترتين الفارسية الهلنستية)، ومدن أخرى، استمرت بسك العملات المعدنية بعد الفترة الرومانية، وخاصة في الفترة الإسلامية المبكرة.

من المحتمل أن المدن في المقاطعات الرومانية لم تسك العملات خلافًا لسياسات الإمبراطور أو ممثليه، لكن من الصعب الإشارة بشكل قاطع إلى موافقة الحكم الروماني على ذلك، حيث لا يوجد لدينا دليل تاريخي ونقدي واضح على تدخل الحكم في القضية. ومع ذلك، فإن مجرد وجود ختم محلي، اضافة لظهور صورة الإمبراطور

على العملات المعدنية، يشير إلى أن الحكم الروماني سمح بهذا النشاط، حيث كانت لديه القدرة على منع المدن من الاستمرارية في سك العملات على غرار ما كان يفعل من وقت لآخر. بدأت المدن في منطقتنا بسك العملات المعدنية بفترات زمنية مختلفة، وتشير العملات المعدنية نفسها إلى أنه لم يكن هناك استمرارية في عملية سك العملات، بحيث أن عدد السنوات التي لم يتم فيها سك العملات المعدنية في المدن أكثر مما كانت عليه في السنوات التي حدث فيها سك هذه العملات. يفترض أن النقش كان قد تقرر من وقت لآخر حسب حاجة مالية نشأت، أو تكريما لحدث معين، ولكن في معظم الحالات يصعب معرفة سبب الإصدار.

سمحت روما للمدن في الشرق بسك العملات بنفسها، بالتحديد العملات الصغيرة التي تحتاجها، وهي مهمة مرموقة ومربحة للمدن. في الوقت نفسه، وفر الرومان على أنفسهم المتاعب الهائلة المتمثلة في إصدار ونقل ملايين العملات المعدنية البرونزية لمسافات طويلة المطلوبة لتلبية احتياجات جميع سكان الإمبراطورية الشرقية. باستثناء عدد قليل من الحالات التي تم فيها سك عملات فضية في بعض المدن، كانت معظم المدن تَسك العملات المعدنية البرونزية بشكل أساسي والتي ربما كان من المفترض استخدامها في المدينة نفسها ومحيطها المباشر. كانت هذه العملات المعدنية من نواح كثيرة، استمرارًا للعملات المعدنية التي تم سكها في هذه المناطق خلال الفترة الهلنستية. ومع ذلك، فإن عملات الفترة الهلنستية عادة ما تحمل زخارف مرتبطة بالآلهة المحلية، مثل صور زيوس وتيخا، في حين أن معظم عملات الفترة الرومانية تحمل صورًا تابعة للإمبراطورية، وعادة ما تكون صورة الإمبراطور نفسه. عادةً ما تتضمن النقوش على العملات المعدنية اسم صاحب الصورة، الإمبراطور ووصفه، بينما تشير الأنماط والنقوش التي تظهر على ظهر العملة عادةً إلى جوانب مختلفة من المدينة نفسها وعادةً ما تتضمن رمزًا يميز المدينة. عادة ما يكون رمزًا ذا أهمية دينية مثل معبد أو إله أو شخصية إلهية مهمة للمدينة أو عنصر ديني آخر.

ومن المزايا الأخرى للعملات أنها كانت وسيلة فعالة للغاية لنشر المعلومات على مساحات واسعة وبسرعة. لذلك بدأ سك الرموز والنقوش والنماذج على القطع النقدية لنشر الأفكار السياسية والمناسبات الاجتماعية، والرسائل الدينية، والعسكرية، والاقتصادية. نظرًا لأنه تم سك العملات المعدنية المحلية كما هو مذكور، بإذن من الحكم الروماني أو الإمبراطور، فقد تم تخصيص جانب واحد منها (وجه العملة) لصورة الإمبراطور أو أحد أفراد عائلته. بصرف النظر عن الخصائص الدينية، تم وصف الخصائص المحلية الأخرى على العملات المعدنية، بمساعدة نموذج أو نقش، كذلك خصائص محلية إضافية ذات طابع - اقتصادي، نباتي، سياسي، معماري وغيرها، بالإضافة إلى أسماء المدينة. من المفترض أن تكون هذه الرموز قد تم اختيارها من قبل سكان المدينة (ربما من خلال مجلس المدينة) ومن هنا جاء الافتراض بأنها في كثير من الحالات تعكس الخصائص المتعلقة بالمدينة نفسها، على الرغم من وجود احتمال أن يتم اختيار بعض النماذج لأنها كانت مقبولة.

في حالات قليلة، تكون عملات مدينة معينة هي المصدر الوحيد أو الوحيد تقريبًا للمعلومات حول هذه الخصائص. تم تأريخ بعض عملات المدن وفقًا لنصاب إنشاء المدن، لكن لا يتزامن دائمًا تأريخ التأسيس الفعلي للمدينة، وفي بعض الأحيان حدد نصاب المدينة وفق الموعد الذي اكتسبت فيه المدينة مكانة سياسية مهمة، أو في العام الذي وقع فيه حدث آخر مهم في تاريخها.

يمكن تقسيم مدن المقاطعات التي سكت العملات في الفترة الرومانية إلى مجموعتين رئيسيتين:

أ. مدن بدرجة كولونيا. تحمل عملاتهم نقوشًا لاتينية، وليس عليها تاريخ وفقً النصاب المحلي. مُنح هذا الحق لعدد محدود من المدن الشرقية، منها في منطقتنا مدن: إيليا كابيتولينا (القدس)، نيابوليس (نابلس)، سبسطية، قيسارية، بطوليمايس (عكا)، البصرة، البتراء وفيليبوبوليس.

ب. مدن البوليس. كانت معظم المدن في المنطقة التي سكت العملات المعدنية في الفترة الرومانية ضمن هذه المجموعة، وكانت عملاتها تحمل نقوشًا باليونانية، بالإضافة إلى تواريخ متعلقة بالنصاب المحلي.

بدأ سك العملات المعدنية للمدينة في فلسطين في وقت مبكر من القرن الأول قبل الميلاد، ولكن يمكن القول إن فترة ذروة سك عملات المدن في البلاد ابتدأت في أيام أنطونينوس بيوس (138–161 م)، واستمرت في أيام لوكيوس فيروس (161–169 م)، ماركوس أوريليوس (161–180 م)، كومودوس (180–192 م)، وسيبتيموس سيفيروس (193–211 م). وضعفت في أيام كركلا (211–217 م) وتعززت مرة أخرى ووصلت بالفعل إلى ذروتها في أيام الجبالوس (218–222 م). في أيام سيبتيموس سيفيروس، تم تجديد سك العملات الفضية الكبيرة (تترا دراخما الإقليمية)، لكن سكها اقتصر على عدد محدود جدًا من دور السك، ولا توجد أي دار سك في فلسطين. على عكس عملات المدن، تحمل جميع هذه العملات تقريبًا طابعًا فرديًا موحدًا، ما عدا رموز دار السك التي تظهر عليها. في أيام كركلا ازداد عدد المدن في الشرق التي تَسك العملات الفضية هذه، ليس القليل منهم في فلسطين ومحيطها: إيليا كابيتولينا، قيسارية، غزة، عسقلان، نيابوليس، جدارا (أم قيس في عرابيا)، بطوليمايس (عكا في فينيقيا). استمرت هذه السكة بشكل محدود حتى في أيام مكرينوس (217–218 م) وديادومينيانوس (218 م). في أيام الإسكندر سيفيروس (222–235 م)، جورديانوس الثالث (238–244 م)، فيليب الأب (244–249 م)، فيليب الابن (244–246 م)، تريانوس دقيوس (249–251 م)، وطرابونيانوس جالوس (252–253 م) كان هناك انخفاض مطرد في سك عملات المدن في فلسطين ومحيطها الذي انتهى في عكا الفينيقية في أيام جالينوس (253–268 م)، ربما بسبب الأزمة الاقتصادية في جميع أنحاء الإمبراطورية، والحروب بين روما وبلاد فارس واحتلال فلسطين على يد مملكة تدمر (بالميرا). يتوافق هذا الدليل مع الأدلة الأثرية الأخرى، وخاصة اكتشافات الأصنام، والتي تشير أيضًا إلى أن فترة الذروة للإدارة الرومانية في البلاد التي حدثت بين 150 و250 ميلادي تقريبا. أزمة القرن الثالث في جميع أنحاء الإمبراطورية، حالة الحرب، التي حلت محل أجواء السلام، الفقر وعدم اليقين التي حلت محل الثروة والأمن في القرن الثاني، الثورات داخل الإمبراطورية، الغزوات الخارجية، التضخم، الجفاف، قتل الإمبراطور والتبادل السريع، أدوا الى تدهور في جميع أنحاء الإمبراطورية وكذلك في فلسطين. الفقر والتضخم أدى إلى تدهور العملات الفضية وتحولت إلى عملات غير مهمة، حتى انخفضت قيمتها إلى مستوى العملات البرونزية. أدت الأهمية المتزايدة للعملات البرونزية إلى إجبار الرومان على إلغاء حق سك العملات للمدن، وذلك على الأرجح حتى لا يفقدوا الميزة الاقتصادية لسك العملات، الناتجة عن الاختلاف بين الإنفاق على المعدن وعملية سك العملة والقوة الشرائية للعملات. عملية انهيار الإمبراطورية أدت بالإضافة إلى إغلاق دور السكة، توقف البناء في المدن وتطورها. يبدو أنه حتى بعد احتلال الإمبراطور أورليانوس تدمر ونهاية حكم زنوبيا على فلسطين، حوالي عام 272 ميلادي، لم يؤد هذا إلى استعادة جميع الأنظمة البلدية، بما في ذلك النظام النقدي.

الخلفية التاريخية لسك العملات المعدنية في مدينة ديوسبوليس

في عام 192 ميلادي، تم اغتيال الإمبراطور الروماني كومودوس، آخر قياصرة سلالة أنطونيوس، وبعد نصف عام، اغتيل خلالها إمبراطورين آخران (فرطينكس وديديوس يوليانوس)، بدأت حرب الخلافة بين المطالبين بالتاج: والقائد سبطيميوس سيفيروس من مواليد شمال إفريقيا، وفيسكانيوس نيجر حاكم سوريا. دارت المعارك بينهما بشكل رئيسي في آسيا الصغرى، ولكن أيضًا في سوريا وفلسطين حيث انقسمت في دعمها للجيش الروماني والمدن. ويبدو أن الفيلق العاشر المتمركز في القدس دعم فيسكانيوس، بينما دعم الفيلق السادس المتمركز في الجليل سيفيروس. لا تذكر المصادر من دعمته الجالية اليهودية، ولكن في ضوء العلاقات الجيدة والتعاون الاستثنائي بين الجالية اليهودية في فلسطين والإمبراطورية الرومانية في أيام سيبتيموس سيفيروس وكركلا، من الشائع الافتراض أن يهود فلسطين أيدوا سيفيروس. نرى أدلة على عدم ولاء اليهود لنيجر في فقرة في "تاريخ أوغوستا" تنص على: "عندما طلب سكان فلسطين الإعفاء الضريبي من نيجر، أجاب أنه إذا كان بإمكانه فرض ضريبة حتى على الهواء الذي يتنفسون". من المنطقي، إذن، أنه على عكس المستوطنات التي دعمت نيجر وعاقبها

سيفيروس، فازت المستوطنات التي دعمت سيفيروس بالتنمية والحقوق. بعد فترة وجيزة من احتل قطسيفون (أواخر عام 197)، قاد سيفيروس جيشه نحو سوريا. في طريقه حاول احتلال حترا في بلاد ما بين النهرين (المدينة التي وقفت الى جانب نيجر). لكنه فشل واستمر الى شمال سوريا حيث نظم جيوشه وخرج مرة أخرى ضد حترا. بعد حصار فاشل للمدينة لمدة 20 يومًا (في أواخر خريف 198)، انتقل سيفيروس إلى مصر، ووصل إلى فلوسيوم في يناير من عام 199. من الصعب معرفة متى غادر مصر، ومع ذلك فقد بقي في مصر حوالي عام ونصف، وغادر في خريف عام 200 متجهًا إلى سوريا، حيث من المحتمل أن يكون قد أمضى في سوريا عام كامل، ووصل إلى أنطاكية في أوائل يناير 202 ومن هناك تابع إلى روما ووصلها في الربيع أو في صيف نفس العام.

يشير الاكتشاف النقدي إلى أنه في حوالي عام 200 م، على الأرجح خلال زيارة سيبتيموس سيفيروس لفلسطين، مُنحت الحقوق لعدد من المستوطنات. حصلت سبسطية على مكانة كولونيا وسميت من الآن: Col[onia] L[ucia] Sep[timia] Sebaste، كما تم تأسيس إليوتوبوليس (بيت جبرين) في ذلك الوقت، ووفقًا لشهادة العملات، فقد سُميت أيضًا باسم سيبتيموس سيفيروس: ΕΛΕΥΘΕΡΟΠ[ΟΛΙC CEΠT[IMIA] CEOVH[PIANA] Λ[OYKIA]. أما اللد، فتشير العملات النقدية إلى تأسيسها من جديد كمدينة بوليس، والتي سُميت أيضًا باسم سيفيروس: Λ[OYKIA] CEΠT[IMIA] CEOVHPIANA ΔIOCΠOΛIC. من الممكن الى هذه المدن كان قصد مؤلف **"تاريخ أوغوستا"** في رسالته أنه في طريقه من سوريا إلى الإسكندرية في مصر أنشأ سيفيروس "العديد من حقوق المدينة لسكان فلسطين"، لكن ليس لدينا دليل آخر لهذه الفرضية.

كيف أثر تحول اللد إلى بوليس على الجالية اليهودية في المدينة؟ افترض البعض بأن هذه الخطوة أدت إلى انقراض الاستيطان اليهودي في المدينة، وافترض اخرين بأن المدينة ظلت تحت السيطرة اليهودية، ولكن يبدو أن النهجين كانا مبالغ فيهما. من المفترض أن يكون تحويل المدينة إلى بوليس "إعادة تأسيس" يشمل، من بين أمور أخرى، إعطاء شخصية غريبة للمدينة (على سبيل المثال، من خلال إقامة المعابد أو المباني الأصغر التي كانت تستخدم للعبادة الوثنية)، وكذلك التغييرات في التنظيم الإداري. لكن هذا لا يتعلق بالضرورة بالتغييرات الجوهرية في هيكل المدينة. في الحالات التي تكون فيها مدينة يهودية، مثل اللد، يجب الافتراض أن أجزاء كبيرة من مؤسسات الحكم تم نقلها إلى أيادي أجنبية كانت تهتم، من بين الأمور الأخرى، الأجنبية والوثنية في المدينة. ومع ذلك، على الرغم من أن الرموز الخارجية (مثل الرموز الوثنية في عملات المدينة) هي دليل على تعزيز المكون غير اليهودي في سكان المدينة، لا يوجد دليل على أن كل السلطة انتقلت إلى أيدي الوثنيين، أو أن المستوطنة بأكملها أصبحت أجنبية. كان البولي (مجلس المدينة) من الهيئات الإدارية التي كان وجودها ضروريًا في مدن البوليس. كانت هذه الهيئة مؤلفة من الأغنياء، أصحاب الأراضي، الذين كانوا من أبناء المنطقة نفسها أو من الأغنياء من المناطق المحيطة بها. بافتراض أنه مع تحويل اللد إلى بوليس، تم إنشاء **"بولي"** هناك أيضًا، فمن الممكن بالطبع أنه مع تجنيد **"البولي"** ازدادت مكانة وقوة الوثنيين في المدينة، خاصة إذا تمت إضافة الوثنيين الأغنياء الذين يعيشون في المنطقة إلى **"البولي"**. ومع ذلك، فإن الشهادات المختلفة تجعل من الممكن افتراض أن قسم من اليهود شاركوا أيضًا في إدارة البلدات، ومن المحتمل أن يحدث شيء مماثل في ديوسبوليس أيضًا. أمر من سيبتيموس سيفيروس وكركلا، الذي احتفظ به أولفينوس، والذي ينص على أن: "القياصرة سيفيروس وأنطونيوس سمحوا للمؤمنين بالديانة اليهودية بتولي مناصبهم، لكنهم فرضوا عليهم أيضًا واجبات لا تضر بالديانة اليهودية". هذا المرسوم يشير أن الفترة يعد ثورات بار كوخبا وحتى فترة هؤلاء القياصرة لم يسمحوا لليهود من الخدمة في مناصب مرموقة في المدن اليونانية والرومانية. أيضًا هناك أدلة تثبت هذا المرسوم من المصادر التلمودية، من أيام الحاخام يهودا هنسي، التي تذكر **"بولي"** يهود. بافتراض أن هذا المرسوم قد تم تنفيذه بالفعل، يمكن اقتراح أنه في ديوسبوليس (وربما حتى في المدن المختلطة الأخرى) تم تعيين بعض الوثنيين (سكان المدينة نفسها أو غيرهم الذين تم إحضارهم إليها من الخارج) من قبل الحكم الروماني، لتنظيم إدارة البلدية الجديدة

البوليس وتولي رئاسته، ومعهم كانوا يهود أخذوا جزء من المناصب الإدارية. يشهد هذا المرسوم أيضًا على محاولة منع الإضرار بالديانة اليهودية. وتعززت هذه الشهادة بوجود مرسوم آخر من أيام القياصرة من العائلة السيفيرية، الذي يتعامل مع جميع شعوب المقاطعات، ويقول: "لأنه يجب الحفاظ على كل من العادات السابقة والسبب الذي حفز تلك العادات، ويجب على مفوض المقاطعة أن يراقب وينتبه لعدم فعل أي شيء ضد العادات القديمة". يعتبر هذا المرسوم تجديد التصريح لليهود التصرف وفق وصايا التوراة، مكتوبة وشفوية، لكن ليس لدينا أي دليل على ذلك. في حالة عدم وجود أدلة إضافية، من الصعب معرفة إلى أي مدى حرص ممثلو الحكومة والسكان الوثنيون في المقاطعة بشكل عام وديوسبوليس بشكل خاص على الامتثال لهذا المرسوم، ولكن في حالة عدم وجود أدلة تتعارض مع المرسوم هناك أساس محتمل أن نفترض على الأقل في معظم الحالات تم تنفيذ المرسوم.

بشكل عام، يمكن الافتراض أن معارضة المستوطنة اليهودية لإنشاء مدينة بوليس (إذا كان هناك مثل هذه المعارضة) لم تشر إلى إنشاء المدينة كبوليس وإنما إلى تحويلها إلى مدينة وثنية. يجب الافتراض أن معظم اليهود كان تخوف من البوليس بسبب العناصر الوثنية المتضمنة في حياتهم اليومية، انظر على سبيل المثال كلمات الحاخام عكيفا (حوالي 130 م) الذي أوصى: "لا تسكنوا بين الوثنين لئلا تشركوا". قد يكون هذا الموقف قد تغير مع نهاية القرن الثاني، حيث قيل في التلمود البابلي أن الحاخام يهودا هنسي طلب من الإمبراطور أنطونينوس منح طبريا درجة كولونيا. ومن هنا، اعتبر اليهود مكانة كولونيا مرغوبة، ويمكن الافتراض أنهم لم يعارضوا درجة البوليس أيضًا. نظرًا لأن تحويل المدينة إلى بوليس يستلزم بالضرورة، في كثير من الحالات، مزايا متنوعة تمتعت بها المدينة، مثل: دعم في تحصيل الضرائب وتنظيم الخدمات المختلفة التي غالبًا ما ساعدت في تعزيز الاستيطان، بناء مباني عامة وبناء المدينة وطبعا سك العملات. حول الخلافات داخل المستوطنات اليهودية واهتمام الرومان في الأعمال المدنية يمكن التعلم من قصة، من الجيل الذي أعقب ثورة بار كوخبا، والواردة في التلمود البابلي: "في احدى المرات جلسوا الحاخام يهودا، الحاخام يوسي والحاخام شمعون، فقال الحاخام يهودا: ما أجمل أعمال هذه الأمة (الرومان)، أصلحوا الأسواق، أصلحوا الجسور، وأصلحوا الحمامات. التزم الحاخام يوسي الصمت. أجاب الحاخام شمعون بن يوحاي وقال: كل ما أصلحوه - لم يصلحونه ألا لأنفسهم، أصلحوا الأسواق – ليجلبوا اليها العاهرات، والحمامات – لتنعيم أنفسهم فيها، الجسور - لأخذ الجمارك منهم. ذهب يهودا بن جريم وأخبر كلماتهم، وأطاعوا. قالوا: يهودا شعيلا - يرتفع، يوسي الصامت – يهاجر لصفورية، شمعون شغينة - يقتل". قد يكون في البداية كان معارضي البوليس كثيرون، من السكان اليهود (وربما السامريين) في اللد، وقد تغلبوا في البداية على أولئك الذين أرادوا البوليس، ولكن من المفترض بمرور الوقت اعترف المعارضون بمزايا البوليس (الاقتصادية بشكل أساسي)، وتقبلوا إلى حد ما كونها مدينة وثنية.

من أجل سك العملات في مدينة معينة من الضروري أولاً أن تسعى المدينة جاهدة وتريد سك عملاتها. ومن الضروري أن تحصل على تصريح مناسب من الإمبراطور في الحق بسك العملات. بحيث يكون قي المدينة آلية حكم تضم موظفين، مسجلين وعاملين على سك العملات وغيرهم (على افتراض أنه تم سك العملات في المدن نفسها، من أجل الاستمرار في سك العملات يجب الحفاظ على جميع الوظائف). عندما يتعلق الأمر بمدينة معظم سكانها وثنيين لا يوجد أي عائق أمام سك العملات، حيث إن هذا الإجراء يعبر عن فخر محلي، والذي يجد تعبيرًا على ظهر العملات، واصفًا خصائص المدينة واسمها، والتي تمثل للأخرين المزاج السائد داخل المدينة. ومع ذلك، فإن السؤال المطروح، ماذا عن مدينة أغلبية سكانها من اليهود أو السامريين ويكره مواطنوها، في الغالب، أسلوب الحياة الوثنية وأراءها وأفكارها؟ يشير الاكتشاف النقدي في اللد، عندما أصبحت بوليس وبدأ نصاب محلي فيها، لم يبدأ فورًا سك العملات. مر ما يقرب عقد من الزمان حتى بدأت المدينة بسك العملات. بافتراض أن الإذن بسك العملات قد مُنح للمدينتين ديوسبوليس وألوتروبوليس والتي كانت في الأساس مدن وثنية، تم سك العملات المعدنية من العام 3 وفق النصاب المحلي للمدينة، وهذا يشير إلى الفترة الزمنية القصيرة نسبيًا اللازمة

لتنظيم المدينة ومنظومة السك. من ناحية أخرى، في ديوسبوليس، استغرقت عملية تنظيم السك 9 سنوات. أحد الاحتمالات لفهم هذه الفجوة هو أن اللد كانت تعاني من مشكلة تنظيم السك، لأنه أولاً يجب بداية إنشاء مجلس بلدي "**بولي**" وهو الذي ينظم موضوع السك. يبدو أن تنظيم وإنشاء "**بولي**" بألوتروبوليس كان أسهل، حيث تم منح المدينة مساحة كبيرة وجيدة ويفترض أن العديد من الأثرياء عاشوا فيها وكان من السهل ضمهم الى المجلس البلدي، بينما كانت مساحة ديوسبوليس أصغر بكثير وعدد الأغنياء فيها محدود. الاحتمال الآخر هو أن التركيبة السكانية في اللد، والتي كانت في الأساس من اليهود والسامريين وأقلية وثنية، أثرت على بداية سك عملات المدن، من المحتمل أن السكان اليهود والسامريين لم يكونوا سعداء بالعملات التي تحمل صورة الإمبراطور ورموز وأشكال وثنية، ومن المفترض أنهم عارضوا ذلك بقدر المستطاع. على ما يبدو، بعد عدد من السنوات كثروا السكان الوثنيون في المدينة، وتم بناء بنية تحتية حضرية وثنية التي مكنت المدينة من أن تصبح بوليس بكل خصائصها، وسك العملات. الاحتمال الآخر لفهم هذه الفجوة الزمنية هو أن الحق في سك العملات لم يُمنح للمدينة في بداية طريقها كبوليس، إلى جانب حقوقها الأخرى، ولكن تم منحها، لسبب ما، لاحقًا، على الأرجح عندما زار الإمبراطور المنطقة.

سؤال آخر هو: أين تم سك عملات ديوسبوليس؟ هل سكت في المدينة نفسها أم خارجها؟ أحد الاحتمالات هو أن العملات اللد لم تُسك في المدينة نفسها، ولكن في مكان مركزي ما، حيث كانت هناك دار سك عملات دائمة وعيها تم سك العملات للمدن المختلفة. ومع ذلك، ليس لدينا دليل أو شهادة تاريخية بخصوص هذا الاحتمال. الخيار الأكثر شيوعًا في الأبحاث، أن كل مدينة قامت بسك عملاتها في دار سك محلية خاصة بها. يبدو أنه عندما أعطت للمدينة فرصة سك العملات، أوصت الإدارة المحلية نقاشًا خاصًا للمدينة، وفي نفس الوقت تم إنشاء دار سك عملات صغيرة في المدينة التي تم فيها سك العملات. وتجدر الإشارة، مع ذلك، إلى أنه حتى الآن لم يتم اكتشاف أي بقايا تعود إلى دار سك عملات المدينة في اللد أو في أي مدن المنطقة.

نصاب المدينة

تم تقديم مقترحات مختلفة على مر السنين فيما يتعلق بنصاب مدينة ديوسبوليس وليس هذا المكان المناسب لمناقشتها جميعًا. في عام 1903، نشر كوبيتشك بحثه الذي ناقش فيه نصاب مدينة ألاوتروبوليس، وتضمن أيضًا مناقشة نصاب ديوسبوليس. وفي بحث أخر الذي نشر قبل عدة سنوات، أظهر كوبيتشك أن نصاب مدينة ألاوتروبوليس بدأ في نهاية عام 200/199 ميلادي، وأقترح أن نصاب ديوسبوليس بدأ أيضا في تلك السنة. نشر الباحث هيد كتابًا عام 1911، فيه وافق على اقتراح كوبيتشك، وكذلك أيد الباحث هيل هذا الرأي. افترض الباحث شتاين أن هذه المدن أقيمت في نفس الوقت، عام 200/199 ميلادي، خلال زيارة سيبتيموس سيفيروس الثانية لفلسطين، كجزء من جزية تجاه السكان والتغييرات الإدارية التي قام بها في المحافظة سورية- فلسطين. وهكذا، على الرغم من عدم العثور على نقش يحتوي على نصاب مدينة ديوسبوليس، لا يزال اقتراح كوبيتشك أن نصاب ديوسبوليس بدأ في نفس العام كنصاب ألاوتروبوليس، وأن هذا النصاب مرتبط بزيارة سيبتيموس سيفيروس إلى المنطقة في طريقه إلى مصر، وتقبل هذا الاقتراح معظم الباحثين في القرن العشرين.

كتالوج العملات

مقدمة وملاحظات عامة

تعتبر عملات ديوسبوليس نادرة جدًا وخلال الدراسة تمكنت من توثيق حوالي 110 عملات من مصادر مختلفة؛ المقتنيات العامة والخاصة في البلاد وخارجها، وموجودات التنقيبات والمنشورات بمختلف أنواعها من نهاية القرن السابع عشر حتى يومنا هذا.

تحت العنوان الذي يشير إلى اسم الحاكم وسنة سك العملة تظهر بيانات كل عملة على النحو التالي: أولاً، وصف وجه العملة الذي يحمل صورة الإمبراطور، وبعدها وصف الجانب الخلفي، والمخصص عادةً لموضوع حضري. جميع النقوش المصاحبة للأوصاف مكتوبة باليونانية، وجميع هوامش العملات منقطة، ما لم يُذكر خلاف ذلك. قبل نسخ النقش حدد مكان العملة واتجاه قراءتها. على سبيل المثال، "يسار أسفل"، يعني أنه يجب البدء في قراءة النقش من جهة اليسار السفلى، ما لم يُذكر خلاف ذلك. معظم النقوش على العملات نقشت باختصارات مختلفة، وهكذا تظهر في الكتالوج، بما في ذلك نقاط الفصل بين الكلمات. في الحالات التي تكون فيها النسخة غير كاملة، يتم إكمال الأحرف المفقودة بناءً على عملات أخرى من نفس المجموعة، وتظهر الأحرف المفقودة بين قوسين مربعين []. في الحالات التي يكون فيها النقش غير متواصل، نضع (-) الذي يشير إلى فاصل بالنقش. في الحالات التي يبدو فيها أن هناك حرفًا في النقش غير واضح على الإطلاق يتم الإشارة إليه [-]. إذا كان هناك حرف غير آمن قراءته، فسيظهر الحرف بين هلالين (). نقش مكون من أسطر أفقية، نشير بخط مائل/في نهاية كل سطر، كما يظهر على العملة نفسها. لا يتضمن الكتالوج اكمال القراءات، تفسيرها وتحليلها، بل تظهر في المناقشة بعد الكتالوج. بعد وصف وجه العملة وظهرها يظهر في الكتالوج سطر معلومات فنية، والذي يتضمن قطر العملة بالملم، ووزنها بالجرام ومحور العملة (= اتجاه الصورة من جهة الوجه بالنسبة إلى الظهر). أود أن أشكر متحف إسرائيل وكذلك الدكتور ديفيد ويميما يسلزون على سماحهم ضم مجموعات عملاتهم في هذه الدراسة.

سلسلة سك العملات

إن معظم عملات المدن مؤرخة، ويبدو من المعلومات التي تظهر عليهم أن سك العملة كان في ديوسبوليس الرومانية فقط خلال الفترة السيفيرية وربما خلال ثلاث سنوات؛ سنتان في أيام الإمبراطور سيبتيموس سيفيروس وسنة أخرى في أيام الإمبراطور الجبالوس. في أيام سيبتيموس سيفيروس، قامت المدينة أيضًا بسك العملات باسم زوجة الإمبراطور، جوليا دومنا، وفي أسماء أبنائه، كركلا وجيتا، وعلى ما يبدو في أيام الجبالوس تم سك العملات المعدنية باسمه فقط.

على عكس العملات التي تحمل صور سيبتيموس سيفيروس، جوليا دومنا وجيتا، والتي لا تجد صعوبة في تحديدها، هناك صعوبة في تحديد بعض عملات كركلا والجبالوس. تخلق الهوية المطلقة في النقوش التي تحمل اسم هذين الإمبراطورين، والتشابه في صورهم، صعوبة كبيرة في تحديد نوعهم (خاصة تلك العملات غير المؤرخة) إمكانية ونسبهم لأحد الإمبراطورين وكذلك للسنوات المعروفة.

سك العملات أيام سبتيموس سيفيروس وعائلته (207/8 – 208/9 ميلادي)

سنة 9 = سنة 207/8 ميلادي

نوع العملات التي سكت باسم سيبتيموس سيفيروس (Lucius Septimius Severus)

1. وجه - صورة الإمبراطور الى اليمين، مزين بإكليل ويرتدي رداء. أسفل اليسار:

[AVTKAIC]ΛCЄΠTI CЄOVHP–ЄVOCЄB·ΠЄPT (?)

ظهر - زيوس يجلس على عرش الى اليسار، الجزء العلوي من جسده عاري، على يمينه نيكي، تلوح بيدها اليسرى في اتجاهه، وبيده اليسرى عصا طويلة. على يمين العصا، على الأرض، نسر متجه إلى اليسار.

أسفل اليسار: ΛCЄΠT–COYH–PI·ΔIOCΠOΛI

ETI Θ

3–32 ملم، 20.38 جرام، ↑.

ظهور هذا النوع الذي يظهر فيه زيوس (Διοσ باليونانية)، يمكن ربطها باسم المدينة ديوسبوليس = مدينة زيوس. نظرًا لظهور سبتيموس سيفيروس، الذي يُعتبر مؤسس المدينة، على هذه العملة، وأنها النوع الوحيد من العملات المعروف بصورة هذا الإمبراطور، يُفترض أن هذه أول عملة تم سكها في المدينة.

نوع العملات التي سكت باسم كركلا (Marcus Aurelius Antoninus)

تجدر الإشارة إلى أنه في معظم أنواع العملات التي تم سكها باسم كركلا يظهر حول صورته النقش المختصر: Αυτ(οκρατωρ) Και(σαρ) Μαρ(κος) Αυρ(ηλιος) Αντων(εινος) Σεβ(αστος) (أوتوكراتور قيصر ماركوس أوريليوس أنطونيوس سيباستوس). وكما ذكرنا، فإن هذا الاسم يُعرف أيضًا باسم الإمبراطور الإجبالوس، ويظهر في هذا الشكل أيضا في عملاته. كما ذكرت أعلاه، غالبًا ما تسبب هذه الحقيقة التباسًا بين عملات الإمبراطورين، وهذه المشكلة موجودة أيضًا في عملات ديوسبوليس.

2. وجه - صورة الإمبراطور الى اليمين، مرتديًا رداءً، ومزينًا بإكليل من أوراق الغار يتدلى منها شريطان على الظهر.
أسفل اليسار: [CEB]ΑΥΤΚΑΙΜΑΡΑΥΡΑΝΤΩΝ

ظهر - معبد له قبة مدعمة بأربعة أعمدة وفي واجهته قوس مزخرف بشكل من خطوط. في وسط المعبد تقف تيخا، جسدها إلى الأمام ووجهها إلى اليسار، ترتدي كيتون قصير وعلى رأسها تاج أسوار المدينة. تمد يدها اليمنى إلى الأمام وفي كف يدها ثلاثة (؟) أصنام (بروتوما)؛ يدها اليسرى مستند على عصا طويلة موازية لجسدها. قدمها اليمنى مرتفعة قليلاً ودائسه على الجزء العلوي لشخص صغير ينظر الى اليسار (أسير؟).
أسفل اليسار: ΛCЄΠ-OCЄOΔI
ΕΤΘ
27 ملم، 11.00 جرام، ↑.

3. وجه - صورة الإمبراطور الى اليمين، ومزينًا بإكليل من أوراق الغار يتدلى منها شريطان على الظهر، مرتديًا درع وفي وسطة رأس جورجونه (؟)، أسفل اليسار:
M·AVP·AN-TWN·ЄYCЄB

ظهر - معبد له قبة مدعمة بأربعة أعمدة وفي واجهته قوس مزخرف، تحت القنطرة المركزية، تقف تيخا، جسدها إلى الأمام ووجهها إلى اليسار، ترتدي كيتون قصير وعلى رأسها تاج أسوار المدينة. تمد يدها اليمنى إلى الأمام وفي كف يدها صنمين (بروتوما؟)، يدها اليسرى مستند على عصا طويلة موازية لجسدها. قدمها اليمنى مرتفعة قليلاً ودائسه على الجزء العلوي لشخص صغير يرتدي قبعة. عند قدميها، من الأمام والخلف، هناك شخصيتان صغيرتان. الشخصية بجانب قدمها اليمنى تستدير إلى اليمين وتلوح بيدها اليمنى نحو تيخا، والشخصية الواقفة خلف تيخا تلوح بيدها اليمنى (أو في يمينها وعاء طويل).

أسفل اليسار: Λ·CЄΠT·CЄOV·ΔIOCΠO

ЄTΘ

27 ملم، 12.50 جرام، ↑.

هذه العملة هي الوحيدة في ديوسبوليس يظهر عليها لقب [ЄC]ЄYCЄB هذا اللقب اليوناني مما يعني "**التابع**"، يقابل اللقب الروماني "**المصالحة**" (Pius)، وهو نادر جدًا في العملات وغيرها من الموجودات في فلسطين ومحيطها.

المعبد المقبب الذي يظهر هنا غير معروف على الإطلاق في عملات مدن أخرى في فلسطين أو في الشرق، ولكن هيكل له سقف مقبب الذي يستخدم في العبادة الوثنية معروف في أدبيات المشناه: "لا نبيع لهم دببة ولا اسود، وكل أمر فيه ضرر للجمع. لا يبني معهم بازيليكا، مشنقة، استاد، وخشبة المسرح؛ لكن يبنون معهم المتاحف والحمامات. وصلوا الى قبة فيها عبادة وثنية، ممنوع بنائها".

في هذا النوع تظهر ثلاث شخصيات صغيرة عند قدمي تيخا وهذا مشهد فريد من نوعه غير معروف في العملات الأخرى في البلاد. تظهر إحدى الشخصيات، مع الجزء العلوي من جسدها وعلى رأسها نوع من القبعة أو كالتوس، وهي في الوسط أسفل قدم تيخا اليمنى. الشخصية الثاني بجانب قدم تيخا اليمنى يتجه إلى اليمين وتلوح بيدها اليمنى نحو تيخا، بينما تقف الشخصية الثالثة، التي تقف خلف تيخا، واقفة أمامها وتلوح بيدها اليمنى (رمح أو شعلة في يمينها). حجم الشخصيات يصعب التعرف عليها، قد يكون ثلاثة الآلهة. يظهر على رأس الشخصية المركزية شيء يشبه كالتوس وإذا كان صحيحًا، فقد يكون ساربيس أو ربما كورا، تظهر صورة هذان الإلهان في عملات المدن وعلى رأسهما كالتوس. الشخصية اليمنى تظهر وكأنها تمسك وعاء طويل ربما شعلة، وإذا كان الأمر كذلك فقد تكون كورا. تستدير الشخصية اليسرى نحو تيخا وتلوح بيدها. هذا الوضع هو نموذجي للانتصارات والالهة، لكن في هذه العملة لا يوجد أي دليل على ذلك. عندما يظهر على عملات مدينة معينة معبد أو أي عنصر آخر وغير موجد على عملات مدن أخرى، فيجب افتراض أن هذا العنصر موجود في المدينة. بناءً على هذا الافتراض، يبدو أن هذا الهيكل الفريد كان موجودًا بالفعل في ديوسبوليس.

4. وجه - صورة الإمبراطور الى اليمين، وعلى رأسه تاج قرنين، مرتديًا رداءً.

أسفل اليسار: AK–MAV–ANTΩN

ظهر - يقف زيوس هليوبوليتان في المقدمة، بين ثورين، ويرافع يمينه ويحمل سوطًا، ويده اليسرى ممدودة وتمسك بضمة حبوب.

أسفل اليسار: [---]ΛCC–Δ–IOC
على اليسار: Θ
17 ملم، 7.08 جرام، ↑.

سنة 10 = 208/9 ميلادي
نوع العملات التي سكت باسم سيبتيموس سيفريوس (Lucius Septimius Severus)

5. وجه - صورة الإمبراطور الى اليمين، وعلى رأسه اكليل، مرتديًا درعًا. أسفل اليسار: AVTKAI–CЄOVHPOCCЄB
ظهر – زيوس جالس على عرش إلى اليسار، والجزء العلوي من جسده عارٍ، في يمينه نيكي، التي تلوح بيدها اليسرى في اتجاهه، ويساره متكئ على عصا طويلة (صولجان). على يمين العصا، على الأرض، يوجد نسر متجه إلى اليسار.
أسفل اليسار: ΛCЄΠ–CЄOVHP–IANH
على اليسار: I Є
ΔIOCΠO[ΛIC]
30 ملم، 17.77 جرام، ↑.

نوع العملات التي سكت باسم يوليا دومانا (Julia Domna)

6. وجه - صورة يوليا دومانا إلى اليمين. أسفل اليسار: IOVΛI·ΔOMNAN· CЄBAC
ظهر - يقف ديونيسوس عارياً، في يساره متكئاً على تيرسوس مزين بشريط، وبيمينه إبريق صغير بمساعدته يشرب نمر، جالسًا عند قدميه من اليسار، ورأسه متجه الى الأعلى.
أسفل اليسار: Λ CЄΠ CЄOV–ΔIOCΠOΛI
على اليسار: Є I
25–23.5 ملم، 11.88 جرام، ↑.

7. وجه – صورة يوليا دومانا إلى اليمين. أسفل اليسار: IOVΛI·ΔOMNAN· CЄBAC
ظهر - تمثال سيرابيس إلى اليمين، على رأسه كالتوس.
أسفل اليسار: Λ CЄΠ CЄOV–ΔIOCΠOΛIC
على اليسار: Є وعلى اليمين I
23 ملم، 6.26 جرام، ↑.

8. وجه - صورة يوليا دومانا إلى اليمين. أسفل اليسار: IOVΛI·ΔOMNAN· CЄBAC
ظهر – بروتوما لديميتر أو كورا إلى اليسار، على رأسها كالتوس، ماسكًة شعلة أمامها، قريبًة وعموديًة لوجهها.
أسفل اليسار: Λ CЄΠ CЄOV– ΔIOCΠOΛIC
على اليسار: Є وعلى اليمين I
24 ملم، 9.11 جرام، ↑.

إحصائية مثيرة للاهتمام هي النقوش على عملات يوليا دومانا. في جميع أنواع العملات التي سبق ذكرها، يظهر النقش حول صورة دومانا بصيغة الجمع: IOVΛI [AN] ΔOMNAN CЄBAC [THN] هذا الاستعمال لصيغة الجمع غير شائع في عملات مدن فلسطين وعبر الأردن، ولكنه شائع جدًا في نقوش الاحترام المختلفة من نفس الفترة. يمكننا الاقتراح، أن كاتب النقش أو المجلس البلدي قرروا نسخ صيغة الاحترام على العملات (فقط في أيام جوليا دومانا). قد يُنظر إلى هذا على أنه تلميح إلى الأهمية الكبيرة التي يوليها السكان المحليون لجوليا دومانا.

بدون تاريخ محدد (ربما سنة 9 أو 10)

9. وجه - صورة يوليا دومانا (؟) إلى اليمين. أسفل اليسار: [--]ΙΟΥΛΙ–ΑΥΓ
ظهر – نقش من ثلاثة أسطر داخل اكليل: ΔΙΟ / CΠΟ / ΛΙC
13 ملم، 3.49 جرام، ↑.
هذه العملة غير عادية في عملات مدينة ديوسبوليس. هذا النوع له أصغر قيمة معروفة في عملات المدن والنوع الوحيد التي يوجد على ظهره نقش داخل اكليل. إنه أيضًا النوع الوحيد الذي تظهر فيه لقب ΑΥΓ (أوغستا)، برفقة اسم دومانا.

نوع العملات التي سكت باسم جيتا (Lucius Publius Septimius Geta)

10. وجه - صورة للإمبراطور إلى اليمين، رأسه دون غطاء، مرتديًا درعًا (؟) ورداء. أسفل اليسار: [---]ΚΑΙCΑ–ΓЄΤΑC
ظهر - يقف زيوس هليوبوليتان في المقدمة، بين ثورين، ويرافع يمينه ويحمل سوطًا، ويده اليسرى ممدودة وتمسك بضمة حبوب.
أسفل اليسار: CЄΠCЄΟVΗ–[Λ] ΔΙΟCΠΟΛΙC
على اليسار: ЄΙ(؟)
18 ملم، 5.59 جرام، ↑.

نوع العملات التي سكت باسم كركلا (Marcus Aurelius Antoninus)

11. وجه - صورة للإمبراطور إلى اليمين، يرتدي رداءً وإكليلًا من الغار على رأسه، يتدلى منه شريطان على ظهره.
أسفل اليسار: ΑΥΤ·ΚΑΙ·ΜΑΡΑΥΡΑΝΤΩΝCΕ
ظهر – بروتوما لتيخا لليمين، شعرها مجموع إلى الوراء وعلى رأسه تاج أسوار مركب من ثلاثة أبراج عالية، وبينهما برجان منخفضين. أسفل اليسار: ·Λ·CЄΠCЄΟV–ΔΙΟCΠΟΛΙC·
على اليسار: Є وعلى اليمين Ι
27 ملم، 12.33 جرام، ↓.

12. وجه – صورة الإمبراطور الى اليمين، يرتدي رداءً وعلى رأسه إكليلًا من الغار، منه يتدلى شريطان على ظهره.
أسفل اليسار: AYT·KAIMAPAYPANTΩNCE
ظهر - بروتوما لتيخا لليسار، شعرها مجموع إلى الوراء وعلى رأسه تاج أسوار المدينة مركب من ثلاثة أبراج عالية، وبينهما برجان منخفضين.
أسفل اليسار: ΛCЄΠCЄOV–ΔIOCΠOΛ
على اليسار: Є وعلى اليمين I
28 ملم، 14.99 جرام، ↑.

أ. سك العملات في أيام الجبالوس (271/8 ميلادي)
نوع العملات التي سكت باسم الجبالوس (Marcus Aurelius Antoninus)
سنة 19 = سنة 217/8 ميلادي.

13. وجه - صورة الإمبراطور الى اليمين، على رأسه اكليل قرنين، يرتدي درعًا ورداءً.
أسفل اليسار: AYTKMAY–ANTΩNЄINO
ظهر – معبد واجهته مكونة من أربعة أعمدة تدعم بقنطرة مزينة. في وسط المعبد تقف تيخا، جسمها لاتجاه الواجهة ووجهها إلى اليسار ترتدي رداء (كيتون ؟؟؟) قصير وعلى رأسها بتاج اسوار المدينة. يدها اليمنى ممدودة وتحمل بروتوما. يدها اليسرى تستند على عصا طويلة متعامدة بالتوازي مع جسدها. قدمها اليمنى مرفوعة قليلاً وتدوس على ظهر شخصية صغيرة، منحنية إلى اليمين ويداها وراء ظهرها (أسير؟). اسم المدينة مقسم إلى قسمين: جزء واحد يظهر على اليسار، من الأسفل إلى الأعلى: ΛCCЄO، والجزء الثاني يظهر على اليمين، من أعلى إلى أسفل: ΔIOCΠ.
.ЄIΘ
24 ملم، 11.88 جرام، ↑.

14. وجه - صورة الإمبراطور الى اليمين، على رأسه إكليلًا من الغار، يرتدي رداءً ودرع.
أسفل اليسار: AYTKMAYP–ANTONINOC
ظهر - بروتوما لتيخا لليسار، شعرها مجموع إلى الوراء وعلى رأسه تاج أسوار المدينة مركب من برجان عاليان، وبينهم جدار منخفض وفيه باب مقنطر.
أسفل اليسار: CEOVHPIA–NA ΔIOCΠOΛIC
على اليسار I وعلى اليمين Θ.
24.5 ملم، 11.18 جرام، ↓.

15. وجه - صورة الإمبراطور الى اليمين، على رأسه إكليلًا من الغار.
أسفل اليسار: AYTKMAYP–ANTONINOC
ظهر - بروتوما لديميتر أو كورا لليسار، على رأسها كالتوس، تحمل في يدها اليمنى شعلة منتصبة أمامها. وخلفها شيء غير واضح (فرع؟).
أسفل اليسار: [Λ]CЄOVHP–ΔI–OCΠOΛIC
على اليسار I وعلى اليمين Θ.
21 ملم، 9.09 جرام، ↓.

16. وجه - صورة الإمبراطور الى اليمين، رأسه مكشوف (؟)، يرتدي رداءً ودرع.
أسفل اليسار: AKMAY–ANTΩ
ظهر- بروتوما لسيرابيس الى اليمين، وعلى رأسه كالتوس. أسفل اليسار: ΛC·CЄV·–ΔI·ΠO·Є·IΘ
22 ملم، 7.07 جرام، ↑.

ب. نوع العملات التي سكت بدون تاريخ أو التاريخ غير مقروء
من المحتمل أنها سكت باسم الجبالوس، ولكن هناك احتمال أن يكون بعضها سك أيضًا باسم كركلا

17. وجه - صورة الإمبراطور الى اليمين، على رأسه إكليلًا قرنين، أسفل اليسار: [---] MA–ANTΩN[E]INOC
ظهر - زيوس جالس على عرش إلى اليسار، في يمينه نيكي وبيساره متكئ على صولجان طويل وبجوار قدميه نسر (؟).
أسفل اليسار: ΛCЄΠC–ЄOVHPI–ΔIOCΠ[OΛIC]
28 ملم، 14.32 جرام، ↑.

18. وجه - صورة الإمبراطور الى اليمين، على رأسه إكليل من الغار منه يتدلى شريطان على ظهره.
أسفل اليسار: AYT[A]Y[P]–ANTWNI–N
ظهر - زيوس جالس على عرش إلى اليسار، في يمينه شخصية صغيرة (نيكي؟) وبيساره متكئ على صولجان طويل طرفه الأعلى مزين بشريطين. أسفل اليسار: ΔIO–C–ΠOΛIC
23 ملم، 10.41 جرام، ↑.

19. وجه - صورة الإمبراطور الى اليمين، يرتدي رداءً وعلى رأسه إكليل من الغار، من اليسار بالمركز: AYTK– ANTNC

ظهر – معبد في واجهته جملون سوري وأربعة أعمدة. من كل من زواياه المبنى الخارجية تبرز اكروترية. في وسط المعبد تقف تيخا إلى اليسار، بيمينها بروتوما وبيسارها متكئ على عصا طويلة. من يمينها ومن يسارها، بين كل زوج من الأعمدة، يقف شخصية صغير. يظهر اسم المدينة في أجزاء حول المعبد: من اليسار الى اليمين: ΔIO، من اليمين من الأسفل الى الأعلى: O–CΠ، من اليسار من الأعلى الى الأسفل: IC–Λ

19 ملم، 6.11 جرام، ↑.

20. وجه - صورة الإمبراطور الى اليمين، يرتدي رداءً وعلى رأسه إكليل من الغار.

من اليسار بالأسفل: A–NTWNI [---]

ظهر - معبد بواجهته جملون سوري وأربعة أعمدة. جزء الجملون العلوي مقعر قليلا. في وسط قاعة المعبد تقف تيخا إلى اليسار، في يمينها بروتوما (؟) وبيسارها تتكئ على عصا طويلة. من اليسار بالأسفل: ΔIO–CΠO–ΛI–C

18 ملم، 4.46 جرام.

عملات مدينة ديوسبوليس – مناقشة

النقوش على العملات

من خلال تحليل النقوش الموجودة على عملات مدنية اللد، تبين أن بداية سك العملات في أيام سيبتيموس سيفيروس، وسميت المدينة باسمها الكامل:

"لوقيا سبتيميا سيفيريانا ديوسبوليس" (Lucia Septimia Severiana Diospolis). ولكن لعدم وجود مساحة كافية على العملة لكتابة اسم المدينة ووصفها، كتب اسم المدينة ووصفها باختصارات مختلفة، وحتى يومنا هذا لم يتم اكتشاف عملة واحدة يظهر عليها اسم المدينة ووصفها بالكامل.

ليس لدينا أي دليل، ما عدا شهادة العملات، التي تشير إلى استخدام ألقاب مصاحبة لاسم ديوسبوليس، ويبدو أن هذا يشير إلى العلاقة الواضحة بين اسم المدينة والعائلة السيفيرية، وانتهت هذه الصلة ربما مع نهاية سك عملات المدينة في القرن الثالث الميلادي.

الآلهة في عملات مدينة ديوسبوليس

مقدمة

في غياب أي دليل تاريخي وأثري آخر، تبقى عملات مدينة ديوسبوليس هي الدليل الوحيد للآلهة الذين كانوا يعبدون على ما يبدو في المدينة. تظهر ستة آلهة في عملات ديوسبوليس (تيخا، زيوس، زيوس هليوبوليتان، سيرابيس، ديونيسوس وديميتر أو كورا).

قبل أن أناقش أوصاف هذه الآلهة يجب أن نسأل السؤال التالي: ما هو مصدر ظهور هذه الآلهة في عملات المدينة وهل ظهورهم يدل بالضرورة على عبادتهم في المدينة؟ السؤال، إذا وجد أي إله على عملة مدينة معينة هل هذا دليل على عبادة هذا الإله في تلك المدينة، أو هل هناك سبب آخر (سياسي، فني أو غير ذلك) لظهور الإله على العملة، وهذا ينطبق على جميع المدن التي سكّت العملات. ولكن نرى بالنسبة لمدينة ديوسبوليس هذا السؤال يغير صلاحيتها، لأنه على عكس المدن الأخرى في فلسطين (بشكل أساسي المدن الساحلية اليونانية). لم يكن في اللد تقليد لسك العملة، إضافة لذلك ليس لدينا أي دليل على وجود مستوطنة وثنية قبل أن تصبح بوليس. وجهة النظر المقبولة في الأبحاث هي أن ظهور الآلهة على عملات المدن يمثل بالفعل عبادة هؤلاء الآلهة في تلك المدن. تم إثبات هذا الرأي في العديد من الحالات حيث تم ختم صور لبعض الآلهة في عملات مدينة معينة، كما تم العثور على نقوش تكريماً لهم أو تماثيل أو أدلة تاريخية على طقوسهم. لكن هل من الممكن تعميم هذه الظاهرة حتى في الحالات التي لا يوجد فيها دليل على عبادة إله معين في مدينة معينة، فقط لظهوره على عملات تلك المدينة؟ إن شهادة العملات، عندما تكون خالية من الأدلة الموازية هي الأصعب في إثباتها. لأنه إذا تم العثور على نقش لتشييد معبد أو تكريس مذبح لإله معين، فسيكون من الأسهل بالنسبة لنا أن نقول إنهم كانوا يعبدون نفس الإله بالفعل في نفس المكان. وكذلك في الحالة التي سيكون لدينا فيها أدلة تاريخية مختلفة على عبادة إله معين في مدينة معينة. ظهور إله على عملات مدينة معينة (خاصة عندما يتعلق الأمر بنموذج عادي نسبيًا وليس فريدًا) يمكن أن تكون أسبابًا أخرى وهذا ليس بالضرورة دليلًا على عبادة محلية. في بعض الحالات، تم سك نماذج متطابقة أو متشابهة على عملات مدينة معينة لفترات طويلة، لأنه تلك النماذج مقبولة في التداول أو تم تمييزها بقيمة معينة. في حالات أخرى، تم اختيار نماذج مختلفة بسبب رغبة العاملين على سك العملات إيصال رسالة معينة، وربما استخدموا صورة إله معين ليس بالضرورة لدوافع طقسية، ولكن بسبب الرغبة في التعبير عن شيء يرمز إليه نفس الإله. لذلك يمكن الافتراض أنه في مدينة عُثر فيها على أدلة أثرية متعلقة بعبادة إله معين أو أدلة تاريخية قوية تتعلق بهذه العبادة، إذا كان هناك عبادة هذا الإله بالفعل. لكن في حالات أخرى، حيث يكون مصدرًا

واحدًا، وليس له أي تعزيز من مصدر آخر، حتى لو كان من العملات، فلا ينبغي لنا أن نحدد كحقيقة أن عبادة نفس الإله حدثت في نفس المكان، وعلينا الأخذ بالاعتبار أنه قد يكون هناك سبب آخر لظهور نفس الإله. الاحتمال الآخر هو أن معظم صور الألهة التي تظهر على عملات المدن كانت أصنامها موجودة بالفعل في المدن المختلفة، ولكن كما ذكر لا يوجد دليل على أنها استخدمت جميعًا في العبادة. لا شك أن مصادر العملات مهمة للغاية لدراسة عبادات مدن فلسطين في الفترة الرومانية، ولكن يبدو أن هناك حالات تضلل الباحثين إلى حد ما.
سأقدم أدناه الآلهة المختلفة التي يظهر وصفها في عملات المدينة وسأناقش معنى ظهورها في عملات المدن.

1. زيوس

أ. الخلفية الأسطورية

زيوس (جوبيتر) يُعرف كإله السماء وأب الآلهة، ويُعتبر أكثر الآلهة احترامًا ومحبة في العالم الهلينستي-الروماني. كانت عبادة زيوس مركزية والأكثر أهمية في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، ولا يوجد مكان في العالم القديم ألا وله علاقة، بشكل أو بآخر، بعبادة زيوس. بشكل عام يمكن القول أن عبادة زيوس، خاصة في المقاطعات الرومانية، احتوت بداخلها على طقوس عديدة ومتنوعة.

ب. وصف زيوس في عملات ديوسبوليس

ظهر زيوس على عملات ديوسبوليس عدة مرات، ولكن في جميع الحالات وصفه كان مماثلًا. في هذا الوصف، يُرى زيوس جالسًا على عرش ينظر إلى اليسار، مرتديًا رداءً (هيمتون)، الجزء العلوي من جسده عارياً، وفي يده اليمنى الممدودة - نيكي، تلوح بيدها اليسرى في اتجاهه، وكأنها تتوجه بإكليل. متكئ بيده اليسرى على عصا طويلة ويقف نسر عند قدميه، الطير المقدس عند الإله. يستند هذا الوصف إلى التمثال الشهير من صنع فيدياس الذي ينتصب بمعبد زيوس في أولمبيا، وهذا الوصف ليس مميزًا لعملات ديوسبوليس. هذه الحقيقة تجعل من الممكن الافتراض أنه لا يمكن اعتبار ظهور هذا النوع من العملات دليلاً على عبادة زيوس في المدينة، وبالتالي فمن الممكن أن يكون ظهور هذا النوع من العملات أول مرة في عهد سيفيروس ومرتبطة خاصة باسم المدينة، دون الإشارة إلى عبادة محلية لزيوس.

2. سيرابيس

أ. الخلفية الأسطورية

عبادة سيرابيس هي في الأساس عبادة مصرية. أصبحت العبادة ذات أهمية كبيرة في الفترة الهلنستية، ربما من وحي الملوك بطليموس الأول أو الثاني، الذين قرروا خلق إله مصري-يوناني. خلال الفترة الرومانية، أصبح سيرابيس أحد أهم الآلهة في الإمبراطورية الرومانية، وكان يحظى بالاحترام من قبل العديد من القياصرة المختلفين الذين رأوه حاميهم، والذي لعب أدوارًا عديدة. كان سيرابيس في الأساس إله الطب ومحدث المعجزات لأتباعه، وارتبطت عبادته بطقوس غامضة التي وعدت المشاركين بالحياة الأبدية بعد الموت، وعد الذي جعل هذه العبادة شائعة جدًا بين الجنود الرومان، ووفق اعتقاد العلماء أن هذا الاعتقاد كانت السبب الرئيسي لانتشار عبادته في الإمبراطورية الرومانية.

يذكر الباحث ليبرمان أن حكماء إسرائيل كانوا على دراية جيدة بآلهة اليونان وروما، طقوسهم وعاداتهم الوثنية. على الرغم من ذلك، لا توجد تفاصيل عن طقوسهم وأعمالهم في الأدب التلمودي. حتى أسماء الآلهة الوثنية نادراً ما يتم ذكرها في الأدب التلمودي، وبشكل عشوائي. أحد الآلهة القليلة التي ورد اسمها في الأدب التلمودي هو Sa سيرابيس: "اعثر على خاتم عليه شكل شمس، شكل قمر وشكل تنين يؤدي إلى بحر الميت بدون أي شخصية مرضعة وسيرابيس". كما ذكرنا سابقًا، نادرًا ما يتم ذكر أسماء الآلهة الوثنية في الأدب التلمودي، وبالتالي من

الممكن أن يشير ذكر سيرابيس إلى أن هذه العبادة كانت واحدة من أكثر العبادات شيوعًا في فلسطين خلال الفترة الرومانية. يتوافق هذا الخيار مع مجموعة متنوعة من عملات المدن التي يظهر عليها سيرابيس.

ب. وصف سيرابيس في عملات ديوسبوليس

في عملات ديوسبوليس، يظهر سيرابيس في شكل واحد فقط: صورة ملتحية للإله على يمين وعلى رأسه موديوس أو كالتوس (وعاء لقياس محصولات زراعية = 8 لتر). وهذا النوع من العملات معروف في مدن فلسطين المختلفة والاردن. ظهور سيرابيس (وخاصة رجل عجوز) تذكرنا بظهور زيوس، لذلك، يحتمل لا يمكن تحديد بشكل لا لبس فيه شخصية سيرابيس، لكنه قد يكون شخصية توفيقية وهي مزيج بين سيرابيس وزيوس، وهذا كان شائعًا في الفترة الرومانية المتأخر. شهادة لذلك، يمكن ملاحظة ذلك من خلال نقش بناء من أيام تريانوس تم الكشف عنه عند باب صهيون في القدس. كتب النقش على يد أحد جنود الفيلق الثالث، كيرنييكا تكريما لـ "جوبيتر أوبتيموس ماكسيموس سيرابيس"، وربما كان تابع إلى معبد، مذبح أو أي هيكل آخر أقيم على شرف الإله. وفي نقش آخر، يعود إلى عام 228 ميلادي، وجد في أبو قير بمصر، يُدعى الإله باسم "زيوس هيليوس سيرابيس الكبير"، واسم "زيوس سيرابيس" معروف أيضًا من عملات الإسكندرية.

من الصعب معرفة كنية هذا الإله عند سكان ديوسبوليس. من ناحية أخرى، يشير اسم المدينة "ديوسبوليس = مدينة زيوس" إلى أهمية زيوس في المدينة وإمكانية دمج اسمه مع اسم سيرابيس. من ناحية أخرى، هناك عدد من الشهادات التي تربط سيفيروس وعائلته بالإله سيرابيس والتي قد توحي بأن اسمه، بدون إضافة "زيوس"، كان مفضلاً في نظر عائلة الإمبراطورية، ومن هنا ظهوره في عملات مدينة اللد. يذكر في **"تاريخ أوغوستا"** أن سيفيروس اعتاد أن يعلن أنه استمتع بشدة برحلته إلى مصر، ويرجع ذلك أنه أخذ جزءً في عبادة سيرابيس. وحسب رأي بيرلي، سيفيروس عبد سيرابيس عندما كان شابًا في مسقط رأسه في مدينته لبتيس مغنا، وأثناء وجوده في مصر، اعترف الكثيرون بصورته على أنها صورة الإله نفسه. شهادات مختلفة تشهد على ذلك وحتى كركلا كان معجبًا جدًا بسيرابيس، وأقام مبانٍ ومعابد تكريماً له. بجوار ليجيو (في منطقة مجيدو)، قاعدته الرئيسية للفيلق السادس، عثر على مذبح من الرخام، دائري مثير للإعجاب، عليه نقش تكريم مكرس لسيرابيس من قبل جنود الفيلق السادس. كما ذكرنا، فإن الافتراض المقبول هو أن جنود الفيلق السادس كانوا من أنصار سيفيروس، ومن المنطقي أنهم فضلوا عبادة الآلهة المفضلة عند الإمبراطور.

3. زيوس هليوبوليتان

أ. الخلفية الأسطورية

كما ذكر أعلاه، عرف زيوس مع آلهة مختلفة ولقب بأسماء عديد. أحد هذه الآلهة هو زيوس هليوبوليتان (جوبيتر هليوبوليتان)، الذي كان مزيجًا شرقيًا من زيوس اليوناني وحداد السوري. وبحسب الباحث كوك، كان الإله حداد يحظى بالاحترام في بعلبك اللبنانية، كإله الشمس في العصور القديمة، في الفترة الهلنستية وعندما استقر المهاجرون اليونانيون هناك، عرفوا الإله المحلي مع هيليوس وأطلقوا على المكان اسم "هليوبوليس". في الفترة الرومانية، عرف الإله المحلي حداد مع زيوس وليس مع هيليوس، وبعدها سمي "جوبيتر هليوبوليتان". بدأت ذروة عبادتنا في هليوبوليس في الفترة الأنطونية، بدءًا من عهد أنطونيوس بيوس وحتى أيام كركلا، تم بناء مجمع من المعابد على قمة أكروبوليس المدينة، والتي تضمنت بشكل أساسي معابد لزيوس وديونيسوس. كان لمركز العبادة هذا تأثير كبير على عبادة الإله وأدى إلى انتشار العبادة إلى أماكن أخرى في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية وحتى إلى روما نفسها. فيما يتعلق بطبيعة العبادة وهوية شخصية الإله، يجب ملاحظة كلمات ماكروبيوس (حوالي عام 400 ميلادي) التي تقول إن السوريين يعبدون الشمس كجزء من عبادة زيوس ويطلقون عليه زيوس هليوبوليتان. إن أصل هذه الشخصية في مدينة هليوبوليس المصرية ومن هناك بدأت العبادة تنتشر والتي أصبحت

بمرور الوقت سورية أكثر منها مصرية. إن الشخصية تذكر كلاً من زيوس والشمس وتنعكس في كل من طبيعة العبادة والمظهر الخارجي للشخصية. هناك تمثال ذهبي لشخص بلا لحية يقف في عربة يحمل سوطًا في يده اليمنى المرفوعة وفي يساره برق باقة من الحبوب - صفات تشهد على القوة المشتركة لزيوس والشمس. في هذا الوصف تطرق الى الشكل الذي عرض فيه الإله (راكب في عربة)، وكذلك ذكر السوط الذي يحمله الإله وباقة الحبوب. هذا الوصف يتلاءم مع تماثيل الإله الكثيرة التي عثر عليها في أماكن مختلفة بأرجاء الإمبراطورية، لكن في التماثيل، وكذلك في العملات، هناك نوعان من الزخارف الأخرى التي لم يرد ذكرها في الفقرة المذكورة أعلاه، وأنا أشير إلى كالتوس على رأس الإله والثيران الواقفة على يمينه ويساره. أحد ألقاب حداد في الفترة القديمة كان رامان، أي إله الرعد والبرق. تشير الدلائل الأثرية المختلفة إلى أن هذا الإله يظهر عادةً مع لحية، واقف على ثور، يرتدي غطاء مخروطيًا، ويمسك في يساره برق وبيمينه عصا أو سلاح. تشير هذه الشهادات إلى وجود علاقة بين الإله حداد وبين الثيران في وفترة أقدم بكثير من الفترتين الهلنستية والرومانية، فيهم عرف حداد باسم زيوس هليوبوليس. اقترح البعض فهم العلاقة بين حداد والثور في صوت الثور القوي يُسمع في آذان الرجل البسيط مثل الرعد، وحداد هو إله العاصفة. الاحتمال الآخر للارتباط بين الاثنين هو أنه تم تحديد حداد على أنه إله الخصوبة والثور معروفًا بالحيوان الذي يجلب القوة والخصوبة، ويفترض أن هذه الصفة تخصه بسبب قوته الجنسية ولأن كونه الحيوان الذي بواسطته حرثوا الحقول، وهكذا تمكنوا من زراعة الحبوب. أما بالنسبة إلى كالتوس، فمن الممكن أن يكون هذا نوعًا من "تطور" غطاء الذي يرتديه حداد، والذي تم تحديده في الفترة الكلاسيكية على أنه كالتوس، وهي سلة القياس التي أصبحت علامة على الوفرة الزراعية. الصلة بين العاصفة، المطر، القوة، الخصوبة، والوفرة الزراعية واضحة. يبدو، إذن، أن جميع الصفات التي تصاحب زيوس هليوبوليتان، أي: كالتوس، السوط، الحبوب، والثيران هي خصائص أكثر ارتباطًا بحداد وأقل بزيوس. ولهذا تم تحديد زيوس على أنه حداد هليوبوليس (ربما باسمه فقط) وليس العكس. تتوافق هذه المعطيات مع الافتراض الشائع بأنه على الرغم من أن الآلهة الشرقية ارتدوا بالفعل الشكل الخارجي للآلهة اليونانية وحتى أنهم تلقوا أسمائهم، إلا أنهم احتفظوا في جوهرهم وكيانهم الأول.

ب. وصف زيوس هليوبوليتان في عملات ديوسبوليس

في عملات ديوسبوليس، يظهر زيوس هليوبوليتان في نموذج واحد فقط. يقف الإله مواجهة، وينقسم شعر رأسه بالتساوي إلى مجموعتين من الشعر المتساقطتين على جانبي رأسه باتجاه الكتفين. على رأسه - كالتوس شبه منحرف، يده اليمنى مرفوعة وتمسك بسوط، ويده اليسرى ممدودة وتحمل باقة حبوب. الإله لابس ثوبًا طويلًا يغطي جسده بالكامل حتى قدميه وينزل إلى قاعدة التمثال مثل المروحة، وهو يشبه المحنط في داخله. يوجد عند قدميه ثورين، أحدهما على اليمين والآخر على اليسار، يظهران على أنهما يستديران أحدهما إلى اليمين والآخر إلى اليسار (على التوالي)، ويصل ارتفاعهما إلى ركبتيه. في العملات من أيام جيتا، تُرى الثيران واقفة، بينما في عملة من أيام كركلا، يبدو أن الثيران رابضة. من المفترض أن نية الفنان، في وصف الثيران في صورة جانبية تقريبًا، كانت تسهيل المشاهد بتحديد نوع الحيوان، لأنه إذا تم عرض الثيران من الوجه، فسيكون من المستحيل تقريبًا التعرف عليهم. في هذا الشكل، يظهر زيوس هليوبوليتان أيضًا في عملات مدن أخرى في فلسطين. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من العملات نادر نسبيًا، سواء من حيث عدد المدن التي ظهروا فيها أو في مدة ظهورهم. ظهر هذا النوع لأول مرة في العملات التي تم سكها في نيابوليس (نابلس) في عهد ماركوس أوريليوس، وفي هذه المدينة ظهر مرة أخرى في عملات لوسيوس فيروس. ظهوره التالي في هذا الشكل في عملات ألاوتروبوليس، هناك يظهر، منذ بداية سك عملات المدن في عهد سيبتيموس سيفيروس، على ظهر عملات كركلا، جيتا، ديدومينيانوس والجبالوس. تُعرف شخصية هذا الإله أيضًا على عملات نيقوبوليس، هناك ظهر فقط في أيام الجبالوس. آخر ظهور للإله في هذه

الصورة في عملات المنطقة كان في مدينة بطوليمايس (عكا)، في عملات فاليريانوس وصالونينا (زوجة جالينوس). يظهر زيوس هليوبوليتان أيضًا في هذا الشكل كعلامة دار السك في صخور الفضة (تترا دراخما)، والتي تم سكها، على الأرجح في بطوليمايس، في عهد كاراكلا وماكرينوس، لكن لا يوجد يقين بأن هذا هو نفس النوع تمامًا. في عملات مدينة ديوم في الأردن، يوجد شخصية تم تحديدها على أنها شخصية زيوس هليوبوليتان، لكن شخصية الإله، لباسه والسمات التي تصاحبه تختلف عن تلك الموجودة في عملات فلسطين ولذلك مشكوك فيه أن يكون هو نفس الشخصية. بصرف النظر عن هذا الدليل النمطي، فإن ظهور زيوس هليوبوليتان بهذا الشكل غير معروف في عملات المدن الأخرى في المنطقة، لكنه معروف في العملات البرونزية من تلك الفترة. في هليوبوليس، عاصمة عبادة هذا الإله، منذ أيام سبتيموس سيفيروس يظهر على العملات معبد الإله مع النقش: (Iovi Optimo Maximo Heliopolitano)، ومع ذلك، فإن صورة الإله لا تظهر على الإطلاق في العملات، وبالتالي فإن السؤال الذي يطرح نفسه، لماذا تظهر صورته في عملات العديد من مدن فلسطين، ولكن في هليوبوليس، وفي مدن أخرى المجاورة لها لا تظهر صورته بالعملات على الإطلاق. من الصعب الإجابة على هذا السؤال، ولكن من المحتمل أنه في السنوات الأولى لبناء المعبد في هليوبوليس اعتبرت شخصية هذا الإله سرية ولهذا لم تعرض في العملات، ومكانها عرض المعبد فقط، ومع انتشار عبادة وابتداءً من عهد ماركوس أوريليوس قلت السرية حول شخصيه الإله ومهاجرين من هليوبوليس استوطنوا في السامرة ويهودا عشقوا هذا الإله وشجعوا ختم صورته على عملات مدنهم. هذه الإجابة ممكنة لكنها لا تفسر لماذا حتى بعد أن بدأت صورته تظهر على العملات في نيابوليس، فإنها لا تظهر في عملات هليوبوليس. ردًا على ذلك، قد يُقترح أن صورة الإله بقيت سرية لسكان هليوبوليس. وربما لم يكن ذلك سرًا حقًا، ولكن احتراما للإله أو لأسباب أخرى اختاروا عدم عرض صورته على العملات وفضلوا عرض معبده الفخم الذي كان قائما في مدينتهم. في حين أن المهاجرين الذين انتقلوا إلى فلسطين لم يتمكنوا من عرض معبده على عملاتهم، حيث لم يكن في مدينتهم معبد، وبالتالي عرضوا فقط تمثال الإله الذي ربما أحضروه معهم من هليوبوليس. كما ذكرنا، يجب الافتراض أن لبناء معبد في هليوبوليس كان تأثير حاسم على انتشار في جميع أنحاء الإمبراطورية. العامل الآخر الذي سهّل انتشار العبادة وربما شجع على ذلك هو حكم الأسرة السيفيرية، كما يذكر آفي يونا: "في أيام السلالة السيفيرية، كاد أن ينجح الإله السوري أن يحل محل جوبتير هليوبوليتان في روما".

يدعي البعض أنهم رجال الفيالق المختلفة الذين نشروا عبادة زيوس هليوبوليتان في الغرب، لكن من الصعب معرفة ما إذا كانوا جنودًا، على سبيل المثال: من الجيش الروماني، أبناء هليوبوليس أو غيرهم ممن تبنوا هذه العبادة بعد انهاء خدمتهم في لبنان، وهم أدخلوا عبادته لفلسطين، أو كانوا هؤلاء مهاجرون ولم يخدموا كجنود. في رأيي بخصوص اللد، حتى يثبت العكس، لا أرى ظهور صورة الإله على عملات المدينة كدليل حقيقي على وجود عبادته في المدينة وقد يكون ظهوره مرتبطًا بحقيقة أن هذه العبادة كانت شائعة لدى العائلة السيفيرية، وبالتالي اختارت المدينة عرضه. الاحتمال الآخر هو أن نموذج هذه العملة تم نسخها ببساطة من عملات ألاوتروبوليس، حيث يوجد أساس معقول للاعتقاد بأن هذا الإله قد تمت عبادته بالفعل منذ عهد كومودوس.

4. تيخا

أ. الخلفية الأسطورية

تيخا هو الاسم اليوناني لإلهة الحظ والقدر، أي ما يقابل الإلهة فورتونا الرومانية. أصل الإلهة غير معروف، وقد اقترح البعض أنها ابنة زيوس. في الفترة الهلنستية، بدأت عبادة هذه الآلهة بالانتشار في جميع أنحاء الشرق الذي اعتنق الحضارة اليونانية، ويبدو أن لكل مدينة كانت تيخا خاصة بها، أحيانًا في شكل إلهة محلية قديمة، كانت محبوبة باعتبارها إلهة المدينة وراعيتها. في بعض الحالات، تكون صور الإلهة مصحوبة بنقش يشير إلى أن هذه بالفعل تيخا وحتى تيخا التابعة الى مدينة معينة. دليل لذلك يمكن العثور عليه في العملات وموجودات أثرية

أخرى، مثل الفسيفساء والميداليات. لا تكاد توجد في منطقتنا مدينة لم تُسك على عملاتها، صورة أو شخصية تيخا. عادةً على رأسها تاجًا، تاج أسوار المدينة (كما يليق بإلهة حامية المدينة) وتظهر بأشكال مختلفة، لكن الأنواع الثلاثة الأكثر شيوعًا في منطقتنا هي:

1. صورة للإلهة كامرأة، ورأسها مائل إلى اليمين (ونادرًا - إلى اليسار) والى الجانب، وعلى رأسها تاج أسوار.
2. امرأة تقف مرتديَّة ثوبًا طويلًا، على رأسها تاج أسوار، وبيدها قرن العطاء الذي يرمز الى الثروة والوفرة التي تحملها معها، وفي اليد الأخرى – دفة توجيه السفينة وهي تبحر التي ترمز الى مصير الناس.
3. صورة تيخا على أنها امرأة واقفة مرتدية ثوباً عسكرياً قصيراً، على رأسها تاج أسوار، وفي يدها صولجان طويل (أو رمح) وفي الأخرى تمثال نصفي صغير (بروتوما) ربما تمثال الإمبراطور.

يظهر النوعان الأخيران أحيانًا داخل معبد وأحيانًا بدون معبد. تيخا أحيانًا تكون مصحوبة بشخصية بشرية صغيرة واحدة أو أكثر.

ب. وصف تيخا في عملات ديوسبوليس

تظهر تيخا في عملات ديوسبوليس على العملات المسكوكة باسم كركلا والجبالوس، وصورتها هي الأكثر شيوعًا في عملات المدينة. نوعين من صورها تظهر على عملات ديوسبوليس:

1. صورة للإلهة ورأسها مائل إلى اليمين أو اليسار وعلى رأسها تاج أسوار المدينة.
2. تيخا تقف إلى اليسار داخل معبد، مرتدية ثوباً عسكرياً قصيراً، على رأسها تاج أسوار، يسارها متكئة على صولجان طويل (أو رمح)، ويمينها ممتدة الى الأمام وتمسك تمثال نصفي صغير (بروتوما) وأحيانًا تمثالين. وفي بعض الحالات يصاحب تيخا شخصان أو ثلاث شخصيات صغيرة.

1. صورة للإلهة إلى اليمين أو اليسار على رأسها تاج أسوار المدينة

وصف لصورة تيخا، المُتوجة بتاج أسوار المدينة، شائع في عملات المدن المختلفة في المنطقة منذ القرن الثاني قبل الميلاد. ومع ذلك، الأنواع القديمة، تظهر صورة تيخا على وجه العملة وليس على ظهرها. في ديوسبوليس، وكذلك في مدن أخرى التي سكت العملات في الفترة الرومانية، هناك أنواع فيها تنظر تيخا إلى اليمين وفي حالات أخرى إلى اليسار. ومع ذلك، تظهر صورة تيخا دائمًا تقريبًا على ظهر العملة، حيث كان وجه العملة مخصصًا للإمبراطور وعائلته. ليس لدينا أي دليل يمكن أن يشير إلى أن هناك أي أهمية خاصة للاتجاه الذي يتم فيه التعامل مع صورة الإلهة أو أن هناك أي إشارات إلى آلهة مختلفة. عملات ديوسبوليس التي توصف صورة تيخا تعرض الجزء العلوي من جسم الإلهة بشكل جانبي (حتى أسفل الكتفين بقليل)، وشعرها مضموم إلى الخلف، فوق العنق وعلى رأسها تاج أسوار المدينة. تصور هذه العملات صورة تيخا، متوجة بتاج أسوار المدينة، بعدد من الأنواع المختلفة قليلاً. في الكتالوج رقم 14، تيخا تنظر إلى اليسار والتاج مصنوع من برجين مرتفعين وبينهم جدار منخفض وفيها فتحة مقنطرة. في الكتالوج رقم 11، تيخا تنظر إلى اليمين وبتاج الأسوار المصنوع من ثلاثة أبراج عالية يوصل بينهم جدار وبينهم عمودان (؟)، بينما في الكتالوج رقم 12، تيخا تنظر الى اليسار ومتوجة بتاج أسوار المدينة وفيه ثلاثة أبراج عالية وبرجين منخفضين. وفقًا لروزنفيلد، يشير تاج الأسوار إلى أن ديوسبوليس كان محاطة بأسوار، واقترح حتى أن المدخل الرئيسي للبوليس وأبراج البوابة. كما ذكرنا، فإن صورة تيخا المزينة بتاج الأسوار مألوفة من عملات المدن المختلفة، ويبدو أنها كانت من النوع المقبول الذي جاء ليصف تيخا بأنها إلهة المدينة وراعية المدينة. ولا يبدو أنه يشير إلى أن المدينة كانت محاطة أو لم تكن محاطة بالأسوار، أو لوصف أسوار المدينة بدقة. بالإضافة إلى ذلك، فإن الاختلاف في الأنواع المذكورة أعلاه ليس فقط في الأسوار، ولكن أيضًا في الشكل نفسه، وبالتالي لا ينبغي اعتبار التغييرات في تاج الأسوار دليلاً على تطور في أسوار المدينة. من الصعب معرفة ما يعنيه هذا النوع، لكن يمكن الافتراض أنه تجسيد للمدينة.

2. تيخا تقف إلى اليسار داخل معبد، مرتدية ثوباً عسكرياً قصيراً، على رأسها تاج أسوار، يسارها متكئة على صولجان طويل (؟)، ويمينها ممتدة الى الأمام وتمسك تمثال نصفي صغير (بروتوما) وأحيانًا تمثالين.

تظهر تيخا في هذا الشكل، في عدد من أنواع عملات ديوسبوليس. في جميع الحالات يتم تصويرها داخل هياكل مختلفة، وبرفقة شخصيات مختلفة. قبل أن أناقش الهياكل التي تظهر فيها تيخا، أود مناقشة البروتوما التي تحملها. فيما يتعلق بالبروتوما في عملات قيسارية، أشار الباحث هيل إلى أنه لا يبدو أن هذا فريدًا من نوعه، نظرًا أن شخصية ذكرية تحمل بروتوما مشابهة معروف في عملات المدن في فلسطين. تظهر شخصية الإلهة هذه تظهر في عملات مختلفة مع نقش يعرّفها باسم بروتوما. تاج الأسوار يسمح في تحديدها على أنها تيخا الحضرية، ولكن، من الممكن أنه في بعض الحالات تم تحديد عشتروت على أنها تيخا الحضرية. يمكن ملاحظة ثوبها القصير والمرتب تارك أحد الثديين مكشوفًا، يشير هذا إلى خصائص الإلهة روما (على شكل أمازونه) وليس عشتروت. وإذا كان الأمر كذلك، فيجب أن تكون البروتوما التي تحملها هي صورة الإمبراطور. وجد هيل تعزيزًا لهذا في عملة نيابوليس (نابلس)، من أيام فيليب الأب (ضُربت باسم زوجته أوتكيليا)، التي تظهر على ظهرها إلهتان وكل منهما تحمل بروتوما. بروتوما واحدة تمثل فيليب الأب والثانية تمثل فيليب الابن. بدأت عبادة الإمبراطور الحي في الشرق في أيام أغسطس، وتضمنت المعابد الأولى التي أقيمت على شرفه أيضًا الإلهة روما (وهذا لتخفيف صعوبة قبول الإنسان كإله وهو على قيد الحياة). مثال لمعبد من هذا النوع هو معبد الإمبراطور أوغسطس والإلهة روما الذي بناه هيرودس في ميناء قيسارية. كانت هذه العبادة، أكثر العبادة شيوعًا في الإمبراطورية الرومانية منذ عهد أغسطس، ويبدو أنها كانت ذات أهمية سياسية في المقام الأول. من خلالها أظهر سكان الإمبراطورية الرومانية ولائهم المطلق للحكم الروماني. ربما كانت هذه العبادة شائعة جدًا بين الجيش الروماني، كما يتضح من الاكتشافات الأثرية المختلفة.

بالنظر إلى أن تيخا في هذا الشكل، تظهر في عملات العديد من المدن، وهذا ليست بنوع فريدًا لديوسبوليس، فمن الصعب معرفة ما إذا كانت في المدينة قد حدثت بالفعل عبادة الإمبراطور، وإما إذا كان هذا تمثالًا مطابقًا لشكل تيخا قد انتصب في المدينة أو من الممكن أن هذا نوع من النسخ المقبول. من المفترض أن المدينة كانت لديها رغبة في التعبير عن ولائها للإمبراطور، وبالتالي من الممكن أن يكون مثل هذا التمثال، الذي تُرى فيه المدينة (على شكل تيخا) تحمل بروتوما، وبالتالي يعبر عن ولائها للإمبراطور.

في بعض الأنواع، وجميعها بقيمة كبيرة، تم تصوير تيخا في هذا الشكل، مع بعض التعديلات الطفيفة في بعض الأحيان، داخل مبانٍ لها واجهة مقنطرة وسقف مقبب (؟). في الكتالوج رقم 3 تقف تيخا في معبد يتكون من أربعة أعمدة تدعم على ما يبدو سقفًا مقببًا. العمودين الخارجيين بعيدان عن العمودين الداخليين ويتصلان بهما في القاعدة بواسطة عارضة أفقية وفي تيجانهم بواسطة قنطرة (؟). العمودين الداخليين قطرهما أكبر وتيجانهما مزخرفة. يوجد في وسط قدس الأقداس قنطرة مركزية مزخرف بجزئها الأسفل بنقاط.

يُظهر فحص النوع الموضح في الكتالوج رقم 2 أنه هنا أيضًا، من المحتمل أن يكون قدس الأقداس مكونة من أربعة أعمدة. العمودين المتطرفين مخفيان قليلاً بواسطة الأعمدة الداخلية التي يبدو أنها تدعم قنطرة سميكة مزينة بنموذج يشبه هيكل عظمة السمك (أيدرا). تشير حقيقة أن العمودين المتطرفين مخفيان قليلاً بواسطة العمودين الداخليين إلى أن هذه ليست واجهة بأربعة أعمدة متوازية، ولكنها في الواقع هيكل موصوف في المنظور، وهو في الواقع مبني من عمودين في الواجهة وعمودين آخرين في الخلف. يبدو أيضًا أن النوع الموضح في الكتالوج رقم 13 يصف نفس الهيكل، ولكن في هذا النوع تكون المسافة بين الأعمدة أكبر والقنطرة من خطين دائريين ومتوازيين، المصنوعين من نقاط، وبينهما خط متموج.

يبدو، إذن، أن النوعين 2 و13 كلاهما يعرض نفس الهيكل مع تعديلات طفيفة. من الصعب افتراض أن هذا هو نفس النوع الذي يظهر في الكتالوج رقم 3، حيث توجد اختلافات في وصف الهيكل وكذلك لا توجد الشخصيات

الصغيرة التي تصاحب تيخا، لذلك من الممكن أن تكون هذه هياكل مختلفة. ومع ذلك، فإن الاحتمال هو أن هذا هو نفس الهيكل الموصوف في الكتالوج رقم 3، ولكن هنا وصف بطريقة مختلفة قليلاً وبتفاصيل أقل. من الصعب معرفة ما إذا كان هذا الهيكل جاء لوصف معبد تيخا أو هيكل فيه انتصب التمثال.

تظهر تيخا في عدة أنواع هياكل في عملات قيمتها صغيرة. في هيكل الأكثر شيوعًا، واجهته مكونة من أربعة أعمدة (تترا ستلي)، له جملون في مركز ضلعه السفلي مصمم مثل القوس المعروف باسم "الجملون السوري". في الأنواع التي تظهر في الكتالوج رقم 19، يمكن ملاحظة أنه يوجد بين كل عمودين شكل صغير، ويمكن أيضًا ملاحظة أنه في كل ركن من الزوايا الخارجية للمبنى يبرز أكروتيريا تشبه الراية، وهي عبارة عن عنصر زخرفي، وقد جاءت كي تخبر أنها واجهة معبد وليس مبنى اخر. قد يكون النوع الذي يظهر في الكتالوج رقم 20 أكثر إهمالًا، نظرًا لأنه لا يمكن تمييز الأشكال الصغيرة أو أكروتيريا فحسب، ولكن أيضًا الوجه العلوي للجملون مقعر (ربما لإتاحة مساحة للنقش)، وحتى النقش نفسه مهمل. يفترض أن هذه الأنواع تظهر نفس الهيكل. والسؤال هو: هل هذا معبد، وإذا كان الأمر كذلك، فهل هو معبد تيخا؟ فيما يتعلق بأوصاف المعابد على العملات يقول الباحث سفرير: "من المصادر المهمة التي يمكن من خلالها التعرف على شكل المعابد عملات المدن، التي ختم عليها صورة معابد المدينة، سواء كانت جملونية أو مستديرة، وتمثال عند مدخلها، مما يسمح بالتعرف على الإله الذي له كان المنزل مخصصًا. لكن العيب الرئيسي لهذا المصدر هو الخوف من أن الوصف هو ثمرة اصطلاح (فني) اعتاد عليه الفنان، وليس بالضرورة ثمرة مراقبة دقيقة للبناء نفسه". تشير الباحثة أفنير إلى أن هيكل تترا ستلي المغطى بجملون سوري هو أكثر الهياكل شيوعًا التي يتم فيها نصب تمثال تيخا في عملات مدن فلسطين وشرق الأردن. يظهر هذا الهيكل في 14 مدينة في فلسطين وفي أربع مدن عبر الأردن. هناك اتفاق بين العلماء على تحديد الهياكل الأصلية التي تحمل جملون سوري على أنها معابد، ولكن فيما يتعلق بتوزيعها الواسع وتكرارها الكبير في العملات، تطرح الباحثة أفنير السؤال التالي: هل توثق هذه العملات فعليًا المباني التي كانت قائمة في المدن، وإذا كانت، فهل كانت حقا معابد؟ تقدم العديد من الأمثلة وتخلص إلى أن هيكل تترا ستلي وله جملون سوري ليس بالضروري أن يكون واجهة مبنى كامل، ولكنه "وحدة معمارية مرنة كان تطبيقها متنوعًا للغاية، لذلك من المستحيل استنتاج شكل مقبول نموذجي كمجسم لمعابد ألهات المدينة".

في البحث، من الشائع الافتراض أن شخصيات الآلهة الأكثر شيوعًا في المدن (في العملات والمكتشفات الأثرية والتاريخية) تمثل الآلهة الرئيسية في تلك المدن. على سبيل المثال، الشكل الأكثر شيوعًا في عملات نيسا سكيتوبوليس (بيسان) هو ديونيسوس. يتوافق هذا الاكتشاف مع الأدلة التاريخية والأثرية على أن عبادة ديونيسوس كانت العبادة الرئيسية في المدينة خلال الفترتين الهلنستية والرومانية. تظهر هذه النتيجة أيضًا أنه من حيث المبدأ، ليس من الضروري أن تكون عبادة تيخا شائعة في كل مدينة، حيث لا تظهر تيخا في هذه المدينة إلا في المرتبة الثانية من حيث تواتر ظهورها على عملات المدينة، بعد ديونيسوس.

ربما تكون حقيقة أن تيخا الأكثر شيوعًا في عملات ديوسبوليس، بالإضافة إلى حقيقة أنها الوحيدة التي تظهر داخل مبنى غير عادي، يشهد أنه إذا كان في المدينة طقوس عبادة حقيقية، فتكون فقط لتيخا وليس الى إله آخر. إذا افترضنا أن المستوطنات اليهودية كانت في الأساس ضد الطقوس الوثنية، فمن الممكن أن يتم اعتبار هذه الطقوس "مقبولة" في نظر المستوطنة اليهودية، لأنها طقوس فريدة للمدينة نفسها، وتعزيز مصالح جميع سكان المدينة، وهذا على سبيل المثال، على عكس عبادة إله سوري مثل زيوس هليوبوليتان الذي كان معبده الرئيسي في مكان بعيد وعبادته لا تخدم مصالح المدينة نفسها.

5. ديونيسوس

أ. الخلفية الأسطورية

ديونيسوس هو ابن زيوس، أب الآلهة، وسلمى الإنسانة، ابنة قدموس ملك طيبة. يتكون اسم الإله من اسم والده ديوس = زيوس (واسم مربيته) نيسوس = نيسا، وسمي على اسم الجبل الذي نشأ فيه. ربما يعود أصل ديونيسوس إلى تراقيا، اليوم بلغاريا. هناك كان يُعرف بالوحشي الذي ترافقت طقوس عبادته بشرب الخمر المسكر. فيما بعد انتشرت عبادته جنوبا عبر البحر والبر، ووصلت اليونان وآسيا الصغرى. كان ديونيسوس إلاهًا شائعًا، ولكن فقط عندما وصل إلى اليونان كان ديونيسوس معروفًا بلقبه الشائع في روما – باخوس. إله الخمر، يُفترض أنه تم تعريفه مع آلهة الخمر القديمة، أو مع آلهة محلية أخرى.

ب. وصف ديونيسوس في عملات ديوسبوليس

يظهر ديونيسوس في ديوسبوليس فقط في العملات المسكوكة باسم يوليا دومنا. يظهر في مشهد كلاسيكي، واقفًا عاريًا إلى اليسار، متكئًا بيساره على عصا (تيرسوس)، مزينة بفروع لبلاب في منتصفها وكوز صنوبر في نهايتها السفلى. بيمينه يحمل وعاءً يسكب منه النبيذ الى نمر يقف عند قدمه اليمنى (الكتالوج رقم 6). مشهد ديونيسوس على العملات عثر عليه فقط في ثماني مدن من أصل 39 مدينة سكت العملات في فلسطين والأردن في الفترة الرومانية. جميع العملات من نفس النوع الذي عثر عليه في ديوسبوليس. تشير هذه الحقيقة إلى أن هذا النوع ليس فريدًا من نوعه لديوسبوليس. معظم هذه المدن لديها في سك العملات تقليد عريق وأكثر ثراءً من ديوسبوليس، لذا فإن السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا يظهر هذا الإله الذي لم يكن شائعًا في عملات مدن فلسطين والأردن في الفترة الرومانية في عملات ديوسبوليس في عهد جوليا دومنا؟ أحد الاحتمالات، ربما طقوس هذه العبادة كانت مقبولة على السكان الوثنيين الذين سكنوا في المدينة، ولكن لا يوجد دليل أو اثبات آخر على احتمال أن تكون عبادة ديونيسوس قد حدثت في ديوسبوليس. الاحتمال الآخر، أن هناك علاقة بين ظهور ديونيسوس في العملات وبين الجالية اليهودية في المدينة. وأشار الباحث غودناف (1965) إلى وجود صلة محتملة بين ديونيسوس وطقوس العبادة اليهودية، بناءً على مصادر تاريخية ومجموعة متنوعة من الرموز المرتبطة بالكرمة والنبيذ في عالم الفن والتزين في المجتمع اليهودي وكنسه. في حين اقترح سميث (1974)، بناءً على بيانات مختلفة، أنه في أيام الهيكل الثاني، تم تعريف هوية ديونيسوس مع الإله اليهودي. من الصعب بالنسبة لي قبول مقترحات غودناف وسميث، ويرجع ذلك أساسًا إلى صعوبة قبول احتمال أن اليهود، حتى لو لم يكن عن قصد، يعبدون الآلهة الوثنية. الاحتمال الآخر هو حقيقة أنه نموذج مألوف ودائم (يقف ديونيسوس عارياً، ويتكئ على تيرسوس، ويسكب النبيذ لنمر)، عثور نفس المشهد على العملات في المدن الثمانية، قد يشير إلى أن هذا ليس دليلاً فعليًا على طقوس العبادة في المدن، ألا من الممكن أن يكون هذا النوع من العملات كان مقبولا لأن ديونيسوس شخصية إيجابية ومشهورة. من الممكن أن يكون هذا النوع من العملات قبول لأنه يمثل مدينة غنية بالكرمة، وبالتالي تم اختياره. يبدو، إذن، أن نموذج هذه العملة مان شائع ومعروف قد تم سكه في عملات ديوسبوليس، وربما حتى في مدن أخرى، وليس بهدف الإشارة إلى طقوس عبادة حضرية لديونيسوس، وليس لغرض الشهادة على أي صلة بالجالية اليهودية في المدينة، ولكن لأسباب أخرى لم تتضح بعد.

6. كورا

أ. الخلفية الأسطورية

كورا (بيرسيفونا) (المعروفة تقليديًا كابنة ديميتر (إلهة الأرض) وشقيقها زيوس. وفقًا للأساطير اليونانية، تم اختطاف كورا عندما كانت فتاة (كورا باليونانية = فتاة)، على يد هاديس (إله العالم السفلي) الذي اشتهاها وأخذها

معه إلى العالم السفلي. قامت والدتها، ديميتر، بالبحث عنها عبثًا في جميع أنحاء الأرض، وأثناء ذلك ألقت لعنة على الأرض وترك البذور والنباتات تتحلل وتذبل. لمواجهة خطر إبادة البشر، أرسل زيوس هرمس، رسول الآلهة، إلى العالم السفلي وأمر هاديس بالسماح للفتاة بالعودة إلى والدتها. أطاع هادس، ولكنها اكلت حبة رمان، فلم تخرج من مملكة الموتى بدون شيء. في الواقع، بناءً على أمر زيوس، أُجبرت كورا على قضاء ثلث العام مع هاديس في العالم السفلي، وبقية العام مع والدتها. تشرح هذه الأسطورة دورة النمو في الطبيعة وتشرح لماذا في أشهر الشتاء تكون الطبيعة قاتمة وبذور القمح في التربة، بينما في الربيع، عندما كورا تصعد من العالم السفلي لأمها، تزدهر الطبيعة. تشهد هذه القصة على طبيعة كورا كإلهة النمو النباتي وملكة العالم السفلي. في العديد من الحالات التي تظهر فيها الإلهة، من الصعب التمييز بينها وبين والدتها ديميتر، لأنهم أكثر تشابهًا في مظهرهما الخارجي وفي الأدوار التي لعبتها. ومع ذلك، فإن احتمال أن يكون المشهد لديميتر وليس لكورا وارد، ومع ذلك، بالنظر إلى شكلها الشاب الذي يظهر على العملات، والأدلة الغنية على عبادة كورا في سبسطية (السامرة)، يبدو من المنطقي أن كورا هي التي تظهر في عملات ديوسبوليس وليس ديميتر.

ب. وصف كورا في عملات ديوسبوليس

تظهر كورا في جميع عملات ديوسبوليس في مشهد واحد، تلك العملات المسكوكة باسم جوليا دومانا وباسم الجبالوس. في هذا النموذج، نرى الإلهة شابة تنظر إلى اليسار، وعلى رأسها نوع من كالتوس مغطاة بحجاب يلتف حول رأسها، وفي يمينها تحمل شعلة التي ترمز لفترة حياتها في العالم السفلي. هذا النموذج، الذي تظهر فيه الإلهة مصحوبة بشعلة، فريد من نوعه وليس له مثيل في عملات المدن الأخرى. هناك نموذج مشابه لكورا (بدون شعلة) نادر أيضًا في عملات فلسطين وربما يوجد فقط في عملات سبسطية وفيلادلفيا (عمان).

الدليل على طقوس عبادة كورا (أو ديميتر) في فلسطين معروف من عدة مدن: سبسطية، نيسا سكيتوبوليس، قيسارية، نيابوليس، فيلادلفيا، جرش وربما البتراء، حالوتسا وغزة. حقيقة أن هذا النوع النادرة من العملات قد تم سكه في ديوسبوليس يزيد الاحتمال في وجود طقوس عبادة في المدينة بالفعل، بشكل أو بآخر، لا يوجد لدينا أي دليل آخر على هذا الاحتمال.

ملخص

تجدر الإشارة إلى أن معظم الآلهة التي تظهر في عملات مدينة ديوسبوليس هي آلهة مرتبطة بالعمل بالأرض والزراعة، أو التي لها علامات مرتبطة بالإنتاج والخصوبة. اشتهرت اللد بقوتها وثروتها الزراعية ولا يُعرف إذا كان هذا يشهد أن هذا هو السبب الوحيد لاختيار هذه الآلهة لعملاتها. زيوس هليوبوليتان - سيرابيس - كورا - ديونيسوس، يشهدوا على الأقل إلى اتجاه فكر سكان المدينة. فيما يتعلق بالآلهة الكلاسيكية التي تظهر في عملات المدينة (زيوس، ديونيسوس وكورا) ربما يوجد تأثير لقربتهم العائلية على ظهورهم في المدينة، لأنه وفقًا للأساطير اليونانية، يُعرف زيوس كوالد ديونيسوس (من الإنسانة سملا)، وكورا من ديميتر إلهة الأرض. إن محاولة التفريق بين زيوس، زيوس هليوبوليتان وسرافيس، ليس فقط من الناحية الخارجية، ولكن أيضًا من حيث المعنى ودورهم بالضبط في نظر سكان الشرق، أمر صعب وربما ليس صحيحًا. سأقتبس من ملاحظات الباحث زينجر (1990) حول التوفيق بين المعتقدات في سياق أصل الإله داجون: "... إنه عالم متشابك ومعقد، مثل حديقة فيها مسارات بلا نهاية وتلتقي من جديد، وفي نظر المراقب الحديث يبدو أحيانًا غير منهجي ومنطقي. غالبًا نفس الآلهة السامية يمكن أن يكون نفس الآلهة اليونانية المختلفة والعكس صحيح. ومع ذلك، فمن الخطأ الاقتراب من ظاهرة التوفيق بين المعتقدات من منطلق قواعد صارمة للتفكير العقلاني والمنهجي. اللاهوتيون القدماء، الذين أكثروا بالعمل في بناء أنظمة توفيقية بين المعتقدات "عالمية"، ولكن أتركوا أحيانًا (معادلات

غير محلولة) وهوامش متداخلة واسعة جدًا في رأينا، لكنهم حددوا إطارًا عامًا واضحًا، له أهمية كبيرة للبحث والمقارنة لعالم الآلهة في الشرق القديم. نود أن نضيف أيضًا للحصول على صورة كاملة وموثوقة، لا ينبغي للمرء أن يفحص التوفيق بين عادات كل إله على حدة، إلا البانثيون بأكمله المبني كنسب للآلهة من الأجيال المختلفة. هذه هي الطريقة التي يظهر بها مكانه النسبي لكل إله في نظام الأنساب العام، ويتم إنشاء الأساس لقبوله مع الآلهة في الأنظمة الأخرى ...". وفقًا للعديد من العلماء، كان أحد الأسباب الرئيسية لانتشار الطقوس الوثنية في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية هو الجيش الروماني، ويرجع ذلك أساسًا إلى حقيقة أن جنود الجيش كانوا يتنقلون أثناء خدمتهم بين أماكن مختلفة، والمخاطر التي واجهتهم أدت بهم باستمرار، طلب الحماية السماوية. بناءً على هذا الافتراض والخلفية الدينية ليهود اللد يمكن اقتراح أن الآلهة (أو العبادات) التي تظهر في عملات المدينة، كانت مقبولة من قبل جنود الجيش الروماني، سواء كان عليهم عبادات ومعتقدات نشأوا في مسقط رأسهم أو إذا عبادات ومعتقدات تم تبنيهم في الأماكن حيث كانوا، ووصلوا إلى اللد مع رجال عسكريين، قدامى المحاربين في الجحافل الرومانية، الذين ربما استقروا في المدينة بعد انتهاء الحرب بين سيفيروس والنيجر، ومع عملية تحويل المدينة إلى بوليس. هذا الافتراض ممكن، ولكن لم يتم اكتشاف أي من الموجودات تأكد ذلك. أحد الأسئلة الرئيسية التي تنشأ من الافتراض أن عبادة الأصنام حدثت في المدينة، هو: هل فقط أقلية من بين سكان المدينة (جنود؟) يعبدون هذه الآلهة أم أنها عبادات تحيط بكل سكان المدينة الوثنيين؟ وهل من الممكن أن اليهود شاركوا في العبادات؟ لا يمكننا الإجابة على هذه الأسئلة في هذه المرحلة حيث ليس لدينا أي دليل تاريخي أو نقشي يشير إلى وجود أي عبادات في ديوسبوليس، وعلى السكان الذين تعاملوا معهم في الفترة الرومانية. بقي فقط الأمل في اكتشافات في المستقبل وتلقي الضوء على هذه القضية.

كما ذكرت أعلاه، من الممكن أن تكون الإلهة الأكثر شيوعًا في عملات ديوسبوليس هي الإلهة تيخا، وحقيقة أن هذه الإلهة الوحيدة التي تظهر داخل هيكل، وحتى عندما يتعلق الأمر بهيكل غير عادي، من الممكن أنها تشهد أنه كان في المدينة بالفعل عبادة حقيقية، في بيئة حضرية، كانت فقط لتيخا وليس لإله آخر.

فيما يتعلق بالهياكل التي تظهر على العملات، من الصعب معرفة ما إذا كانت هذه الهياكل تصور بدقة المعابد أو غيرها من هياكل العبادة التي كانت قائمة في المدينة، وإذا كان الأمر كذلك، هل كانت هناك هياكل عبادة أخرى لا تظهر على العملات. إذا كانت هناك بالفعل هياكل كهذه، فسيكون من الصعب معرفة ما إذا كان هناك معبد مشترك للعديد من الآلهة أو إذا كان لكل إله معبد منفصل. لاحظ الباحث أورباخ (1959) أنه في حوالي منتصف القرن الرابع، أصدرت الحكم البيزنطي أمر لإغلاق المعابد في جميع الأماكن والمدن، من أجل منع البشر من الإثم وخطيئة تقديم الأضاحي. ومع ذلك، يبدو أن هذا الأمر لم يتم تنفيذه بالكامل، وبعد حوالي ثلاثة عقود تم إرسال أمر من قبل الى أحد الأباطرة في الإمبراطورية وفيه يطالب بترك معبد معين مفتوحًا وتقدير الأصنام التي بداخله لأهميتها الفنية وليس كآلهة. قوانين إضافية تم سنها بعد عشر سنوات تنص على أوامر هدم المعابد ومراسيم لا لمحافظة على تصاميم وزخارف المباني العامة، والتي تمنع الاحتفالات العامة وفق الأعراف المحلية. فقط في عام 435 ميلادي أمر ثيودوسيوس بهدم جميع أماكن العبادة المستخدمة للعبادة الوثنية وتنقيتها بوضع صليب بداخلها. من المفترض، إذا كانت في ديوسبوليس بالفعل معابد وهياكل عبادة تُستخدم للعبادة الأوثان، إن عملية مماثلة انطبقت عليهم أيضًا.

نهاية سك عملات المدن

بعد وفاة الجبالوس، كان هناك انخفاض مطرد في سك عملات المدن في فلسطين وحولها. وصلت الى نهايتها في عكا أيام الإمبراطور جالينوس (268 ميلادي). الأزمة التي حدثت في القرن الثالث في جميع أنحاء الإمبراطورية، حالة الحرب التي حلت محل أجواء السلام، الفقر وعدم اليقين التي حلت محل الثروة والأمن في القرن الثاني

ميلادي، الثورات داخل الإمبراطورية، غزوات الأعداء من الخارج، التضخم، الجفاف، وقتل القياصرة واستبدالهم السريع، كل ذلك، أدى إلى أضرار في جميع أنحاء الإمبراطورية وكذلك في فلسطين. تسبب الفقر والتضخم في تدهور العملات الفضية وغشها، وانخفضت قيمتها إلى مستوى العملات البرونزية. ازدادت أهمية العملات البرونزية وألزمت الرومان على إلغاء حق سك العمل في المدن، على الأرجح حتى لا يفقدوا الميزة الاقتصادية من سك العملات المعدنية، والتي نشأت من الفرق بين الإنفاق على المعدن وعملية سك العملة وبين القوة الشرائية للعملة.

استنتاجات

لمدينة اللد تاريخ طويل ومثير للإعجاب، ولكن عوامل مختلفة، وعلى رأسهم موقعها في السهول وكونها مدينة متوسطة الحجم ويهودية بأصلها، أدت الى بدء سك العملات في فترة متأخرة نسبيًا، ولم تكن مثيرًا للإعجاب بشكل خاص. كانت بداية سك العملات في ديوسبوليس عهد سبتيموس سيفيروس. مثل العديد من المدن الأخرى، لم تسك ديوسبوليس العملات منذ بداية حكم سيفيروس، وكما ذكرنا، ربما تكون بداية سك العملة مرتبطة بزيارة الإمبراطور للمنطقة ومنح المدينة مكانة بوليس، حوالي عام 200/199 ميلادي. يبدو أنه في أيام هذا الإمبراطور قامت ديوسبوليس بسك العملات المعدنية في عامين فقط: 207/8 و208/9 ميلادي. خلال هذه السنوات تم سك العملات المعدنية في المدينة باسم الإمبراطور، وباسم جوليا دومنا زوجته وبأسماء ابنائه جيتا وكركلا. كشفت دراسة العملات أن سك العملات في المدينة توقف بعد عامين، في أيام سيفيروس، ويبدو أن سك العملة تجدد فقط في أيام الجبالوس عام 217/8 ميلادي، وبشكل محدود للغاية. بدء سك العملة في فترة متأخرة (بالنسبة إلى مدن أخرى في المنطقة)، عدد السنوات القليلة لسك العملة، الأنواع القليلة (بالمقارنة بالمدن الأخرى) التي تم سكها في المدينة، والعدد القليل من العملات المعروفة، تشير إلى أن سك العملة في ديوسبوليس كان حدثًا استثنائيًا. ربما يشير هذا إلى أن المدينة لم يكن لديها مؤسسة دائمة للسكة، وربما أيضًا لعملات المدن في ديوسبوليس لم تكن أهمية حاسمة بالنسبة على الاقتصاد المحلي، لأنه قبل بدء سك العملة، في فترات أثناء وبعد سك العملة، استمر اقتصاد المدينة في الوجود بدون عملات المدينة نفسها. في كثير من الحالات، من الصعب معرفة سبب التي أدت الى سك عملات المدن، ولكن على ضوء البيانات المذكورة أعلاه، يبدو أنه في حالة ديوسبوليس كان السبب الرئيسي للسكة هو فخر محلي الذي نجم عن حدث متعلق بعائلة الإمبراطور.

لم تقدم الدراسة دليلاً على الاستخدام مشترك بقوائم وجه العملات أو بهوية نماذج ظهر عملات ديوسبوليس وعملات المعدنية للمدن الأخرى، مما عزز الافتراض الأساسي بأن العملات تم سكها في المدينة نفسها، أو من أجل المدينة نفسها، بغض النظر عن سك العملات لمدن أخرى في المنطقة. علمنا من النقوش على العملات أن الاسم الكامل للمدينة في أيام سيفيروس كان "لوقيا سبتيميا سيفيريانا ديوسبوليس". لهذا، في شكله الكامل، لم يتم العثور على أي دليل تاريخي آخر، وحتى في جميع العملات، يظهر هذا الاسم بشكل موجز، مما يشير إلى أن الاستخدام الرئيسي كان فقط الاسم "ديوسبوليس". تبين من خلال فحص قيمة عملات ديوسبوليس أن البيانات الناتجة من وزنها وقطرها لا تسمح ببناء مقياس قيم أمين، وهي ظاهرة معروفة أيضًا من عملات المدن الأخرى.

لم تكشف التنقيبات القليلة التي أجريت في المدينة عن أي دليل يتعلق بالعبادات والطقوس الدينية في المدينة، وليس لدينا أي دليل تاريخي يتعلق بهذا المجال، لذلك جميع المعلومات حول هذا الموضوع أصله في علم عملات المدن. ستة آلهة مصورة على عملات اللد وهم (حسب تواتر ظهورهم في العملات): تيخا، زيوس، سيرابيس، زيوس هليوبوليتان، كورا وديونيسوس. الإلهة تيخا هي الرئيسية بينهم والوحيدة التي تظهر داخل مبنى، مما يشير على الأرجح إلى أن عبادتها كانت العبادة الرئيسية التي أقيمت في المدينة. قد لا يكون هذا من قبيل الصدفة وقد

أثر عدد السكان اليهود الكبير في المدينة على حقيقة أن العبادة الرئيسية في المدينة، بافتراض أنها كانت، تنتمي إلى إله حضرية محلية وليس إلى إله هيلنستي-روماني أو إله شرقي آخر.

لم يتم بحث ديوسبوليس بشكل كافٍ من الناحية الأثرية التي يمكن أن تعطينا صورة شاملة للمدينة وطابعها في الفترة الرومانية، والأدلة التاريخية المتعلقة بحياة المدينة في الفترة الرومانية ضعيفة. في مثل هذه الحالات، تكون لعملات المدن، والتي تعد المصدر الأساسي لهذه الفترة، ذات أهمية كبيرة، حيث يمكنها أن تزودنا بالكثير من الأدلة من مصدر أساسي فيما يتعلق بأسماء المدينة، وصفها، أهميتها وخلفيتها الدينية والمزيد.

اللد في خريطة مأدبا

دكتور وليد أطرش ودكتور غابي مازور، سلطة الآثار

مقدمة

سكن مدينة اللد في الفترة الرومانية جماعة مسيحية صغيرة وأصبحوا الأكثرية في بداية الفترة البيزنطية وفقدت المدينة أهميتها مع مر الزمان. منذ بداية الفترة البيزنطية المبكرة كان في اللد أسقفًا واسمه أتيوس، وشارك هذا الأسقف في مجمع نيقية (325 ميلادي). ترمز مشاركة الأسقف في مجمع نيقية إلى أهمية مدينة اللد لدى العالم المسيحي في ذلك الحين. وفق كتابات الحاج ثيودوسيوس، ارتبطت اللد بعبادة القديس جاورجيوس ابتداء من عام 530 ميلادي، وورد ذكر القديس مرة ثانية في رحلة أنطونيوس، الذي وصف كنيسة القديس جاورجيوس والمعجزات الذي قام بها في المنطقة. خلال الغزو الفارسي للبلاد عام 614 ميلادي، انتشرت شائعات عن وجود كنز مخبأ تحت كنيسة القديس جاورجيوس، وربما كان هذا هو السبب الذي أدى إلى تدميرها.

كانت كنيسة القديس جاورجيوس البيزنطية الكنيسة الرئيسية في اللد. تقع الكنيسة في مركز المدينة بالقرب من الكنيسة الصليبية. نرى اليوم بقايا من جدران الكنيسة في بعض أجزاء هيكل المسجد الكبير. ورد وصف مدينة اللد في خريطة الفسيفساء التي عثر عليها في أرضية كنيسة بيزنطية قي مدينة مأدبا الأردنية.

في عام 614، احتلت الامبراطورية الساسانية مأدبا. في القرن الثامن، أزيلت بعض الزخارف التصويرية من الفسيفساء في الخلافة الأموية الإسلامية الحاكمة. في عام 746 ميلادي، تم تدمير مأدبا إلى حد كبير من قبل الزلزال، ثم هجرت. سكن مدينة مأدبا عام 1880 قبيلة العزيزات المسيحية، وقرر البطريرك الأرثوذكسي لمدينة القدس جرمانوس (1890–1897) تشييد كنيسة جديدة وبيت للكاهن ومقبرة، وقد اختار موقعًا عثر فيه على بقايا كنيسة من الفترة البيزنطية.

اكتشاف خريطة مأدبا

تم العثور على كنيسة بيزنطية في مدينة مأدبا، أرضيتها من الفسيفساء الملونة، زينت بلوحة مميزة عبارة عن خريطة جغرافية لأرض فلسطين، الأردن، سوريا ومصر، وفق جغرافية الكتاب المقدس.

جدير بالذكر أن الأب بيفر شاهد بقايا أرضية الكنيسة المبنية من الفسيفساء الملونة، ونقل قطعتين من النقوش، وتبين فيما بعد أنهما تابعتان للخريطة. وفي عام 1896 بنيت الكنيسة الراعوية الجديدة للروم الأرثوذكس (كنيسة القديس جريس/جورج) دون اعتبار لأرضية الفسيفساء البيزنطية، مما أدى الى دمار أجزاء كبيرة منها، وخاصة الجزء الذي يصف المنطقة الواقعة بين الخليل وبئر السبع وغيرها. زار الشماس كليوفاس كيكيليدس مدينة مأدبا عام 1896، ودرس بقايا الكنيسة البيزنطية، وتبين له أهمية الفسيفساء، ورسم الخريطة ونشرها في كتيب عام 1906، وبعد ذلك أصبحت الخريطة كنزًا علميًا عالميًا لجميع الباحثين، أسهمت في دراستها الصور الملونة التي التقطها الأب جرمير-دوران.

توثيق كنيسة الخريطة

تم توثيق بقايا الكنيسة البيزنطية قبل أن تقام عليها الكنيسة الراعوية الجديدة من قبل عدد من الباحثين، أولهم المهندس شوماخر. يقول إن طول المبنى 20.40 مترًا وعمق الحنية 4.90 مترًا، ولم يذكر عرض المبنى، وشاهد أربع قواعد أعمدة في موقعها. ويقول الأب سيجورني إن طول المبنى من الداخل 23.40 مترًا ولعرض 16.70 مترًا، مع صفين من الأعمدة، في كل صف أربعة أعمدة. ووضع الباحث بليس المخطط الكامل للكنيسة المنقسمة بصفين من الأعمدة إلى ثلاثة صحون، وعلى جانبي الحنية غرفتان، وعند الزاوية الجنوبية غرفتان، ويتقدم الواجهة نارتكس. أما الأب مانفريدي الذي كان مقيمًا في مأدبا فيقول إن الكنيسة تتكون من ثلاثة صحون يشطرها أربعة أعمدة كبيرة من الطراز الكورنثي، وبجانبي الحنية غرفتان، وكان الدخول إلى الكنيسة من خلال الأتريوم والرواق (نارتكس).

وفق شهادة الباحثين يمكننا القول إن الكنيسة تتكون من صحن مستطيل الشكل، يشطره صفّان من الأعمدة (في كل صف أربعة أعمدة كورنثية) تقسمه إلى ثلاثة صحون: قاعة مركزية وقاعتان جانبيتان (المخطط الشائع العروف باسم البازيليكا)، وفي الطرف الشرقي من القاعة المركزية حنية بارزة من الجدار الشرقي، وأمامها قدس الأقداس مغلق على الخط الأول من الأعمدة (الشكل 1). أمام ثلاثة أبواب الكنيسة في الجهة الغربية رواق مستطيل (نارتكس) ويحده في الجنوب غرفتان أرضيتهما من الفسيفساء الملونة زينت بأكاليل من غصون الكرمة فيها صور مختلفة من وصف موسم الحصاد مثل فلاح وعصا بيده، وهو يحمل عنبًا على ظهر حمار، ومشاهد لحيوانات مثل: كلب، وعلة وغزال.

أجريت تنقيبات في داخل الكنيسة وكشفت عن قسم كبير من فسيفساء الخريطة الذي دمج في أرضية الكنيسة الجديدة.

فسيفساء الخريطة

تغطي خريطة مأدبا جزءًا صغيرًا من أرضية الكنيسة، وتتكون من أربعة أجزاء: الجزء الأساسي يمتد من الشمال الى الجنوب، من الصحن المركزي مقابل قدس الأقداس (حنية الكنيسة والمذبح) وحتى الجدار الجنوبي، وتقدر مساحته بنحو 10.5 × 5 م عرضًا وطولًا (الشكل 2). بقيت أجزاؤها في الصحن الجنوبي وقطعة محاذية للجدار الشمالي. لا يتم توجيه الخريطة شمالًا، كما هو الحال في الخرائط الحديثة، ولكنها موجهة نحو الشرق، فكان من يدخل الكنيسة يتوجه نحو المذبح، يرى أسماء الأماكن على الخريطة ويقرأها.

تصف خريطة الفسيفساء الأراضي المقدسة من المدن الفينيقية في الشمال إلى مصر في الجنوب، ومن البحر المتوسط غربًا إلى الصحراء شرقًا. تظهر فيها مواقع في فلسطين والأردن وسوريا ولبنان ومصر، ويمكن تتبع مواقع صور وصيدا وبعلبك، إلى الجليل الفلسطيني، وادي الأردن، الشاطيء الشرقي للبحر الميت وغور الأردن، نابلس، بيت لحم، القدس، اللد ومواقع على البحر الأبيض المتوسط، وأخرى في دلتا النيل، الإسكندرية، سيناء وغيرها. ومن بين السمات الأخرى، يصور البحر الميت بقاربين للصيد، ومجموعة متنوعة من الجسور التي تربط بين ضفاف نهر الأردن، وأسماك تسبح في النهر وتبتعد عن البحر الميت، وصف الصيد أسدًا يطارد غزالًا في موآب، النخيل في الصحراء وأريحا، بيت لحم، وغيرها من مواقع الوارد ذكرها في الكتاب المقدس التوراة.

العنصر الأكبر والأكثر تفصيلاً في التصوير الطوبوغرافي هو القدس في وسط الخريطة. تُظهر الفسيفساء بوضوح عددًا من المباني المهمة في القدس مثل الأسوار والأبواب والشوارع والأبنية الرئيسية (الشكل 3).

الفنان الذي صنع الخريطة استعمل ألوانًا كثيرة من حجارة الفسيفساء بصورة غير عادية: على الأقل أربعة ظلال من اللون الأحمر، خمسة من الأزرق-أخضر، بني غامق، بنفسجي، أسود، أبيض، أصفر ورمادي. خلفية الخريطة

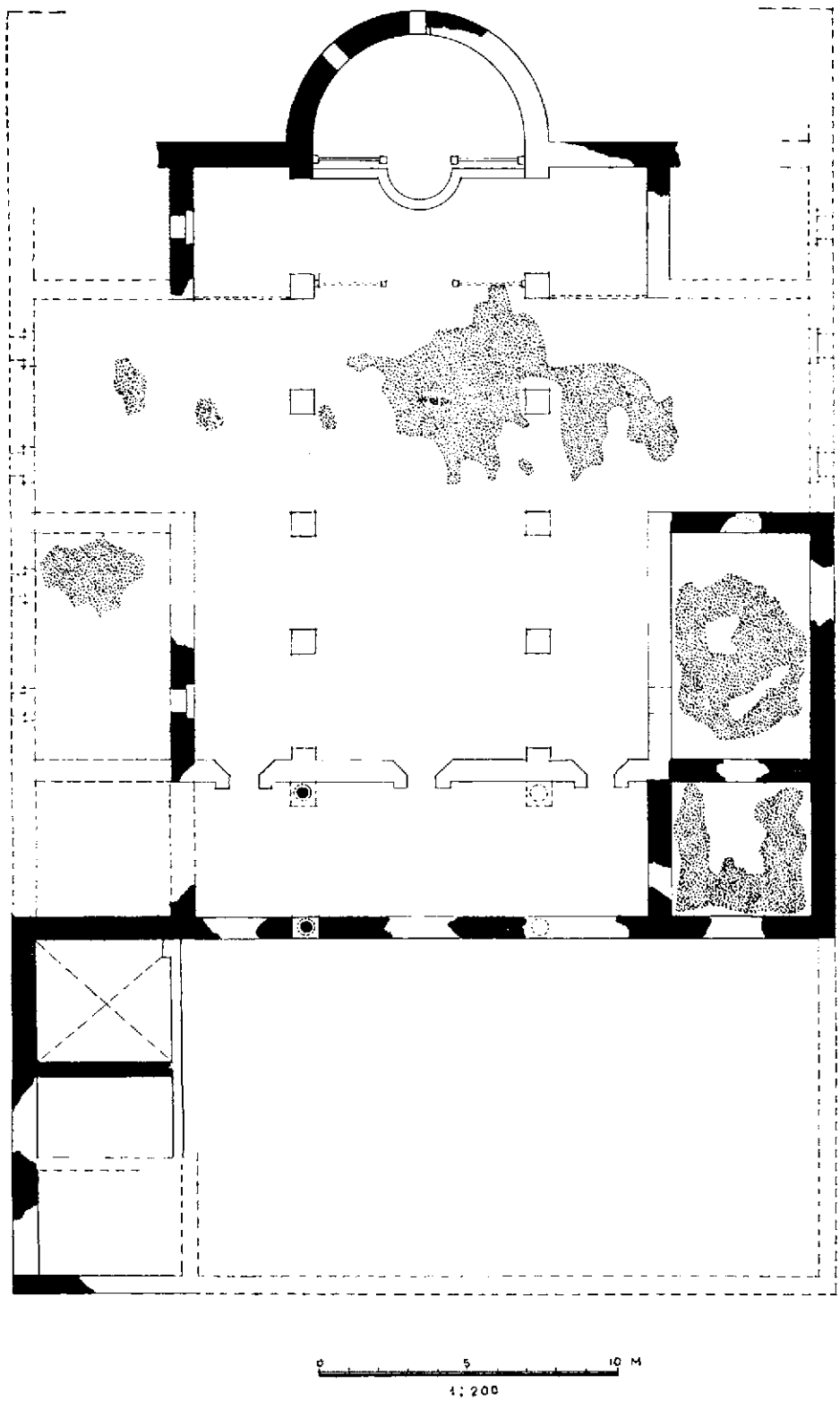

الشكل 1. مأدبا، مخطط الكنيسة البيزنطية وموقع بقايا فسيفساء الخريطة (بتشيللو 1993: 79).

الشكل 2. فسيفساء الخارطة (تصوير: الكنيسة الراعوية).

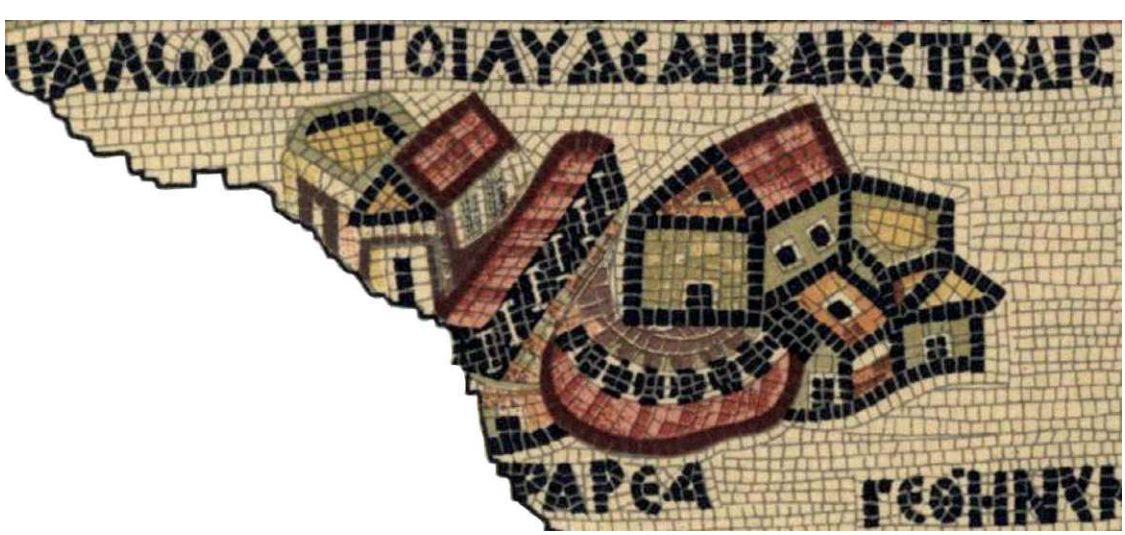

الشكل 3. مدينة القدس واللد في فسيفساء الخريطة (آفي يونا 1953).

بيضاء: الرسومات غالبًا مؤطرة باللون الأسود، النقوش باللون الأسود أو الأحمر ما عدا الأجزاء الملونة. هناك استعمل الفنان الألوان الأبيض والرمادي.

واضح تمامًا أن الفنان، الذي رسم الخريطة، يعرف بشكل جيد البلاد، بالتحديد منطقة مأدبا وضواحيها. نرى ذلك من خلال وصفه للواديين الموجب والحسا، وكذلك وصفه لينابيع ومواقع طبيعية مختلفة وكذلك المدن المختلفة.

وصف الفنان في الخريطة عشر مدن ومبانيها الرئيسة ومن بينها مدينة اللد. جمع هذه المدن محاطة بأسوار ما عدا يُبنا واللد. معظم المباني في الخريطة قائمة بشكل مستقل، كنائس أقيمت لذكرى أحداث ذكرت في التوراة أو كتب البشارة/الإنجيل.

اللد – ليديا (ديوسبوليس) في خريطة مأدبا

صور الفنان اللد في الخريطة غربي مدينة القدس، وكتب اسمها باليونانية "**اللد**" أو "**ليدا**"، وهي أيضًا ديوسبوليس. وصفت مدينة اللد مستقلة وبداخلها شارعان أعمدة لها ممرات مسقوفة بالقرميد، أحدها يلتف بشكل دائري حول كنيسة كبيرة، وشمال الشارع كنيسة صغيرة. يوجد قي الخريطة صور لأربعة مباني غير دينية، منزل ملاصق للكنيسة الصغيرة من جهة الشمال وصُور لثلاثة منازل جنوبي الكنيسة الكبيرة. لم يكن للمدينة سور وفق ما ورد في الخريطة (الشكل 4).

صورة الكنيسة الكبيرة الجنوبية في الفسيفساء تدل على أنها من طراز كنائس البازيليكا الشائع في كنائس بلادنا، مسقوفة بسقف جملوني مغطى بالقرميد، لها مدخل واحد في جدارها الغربي وشباكان في جدارها الجنوبي. يتضح من الصورة أن الشباكين على ارتفاع عالي جدًا فوق سقف البيت المجاور لها من الجنوب. موضع الشباكين في الصورة يشير الى كبر الكنيسة ومدى ارتفاعها العالي، ويمكن الافتراض أنها مكونة من ثلاثة صحون مقسومة بصفين من الأعمدة. شمالي هذه الكنيسة توجد كنيسة صغيرة أخرى. هذه الكنيسة الشمالية مصورة في حي آخر شمال شارع الأعمدة، مشابهة بتصميمها للكنيسة الجنوبية، ولكنها أصغر وارتفاعها أعلى بقليل من البيت المجاور لها. الكنيسة الشمالية الصغيرة مسقوفة بسقف جملوني مغطى بالقرميد، لها مدخل واحد في جدارها الغربي وشباكان في جدارها الجنوبي. يتضح من الصورة أن الشباكين يختلفان عن شباكي الكنيسة الكبيرة من حيث اللون والشكل. لونهما أخضر فاتح، مستطيلا الشكل، ووفق موقعهما وكبرهما فهما مناسبان لكنيسة صغيرة مكونة من صحن واحد أي "**كابيلا**".

إقترح آڤي يونا أن الكنيسة الجنوبية في خارطة اللد هي كنيسة القديس جاورجيوس، هذه الكنيسة معروفة اليوم في اللد وبقاياها مدموجة بمسجد اللد. ورد ذكر طقوس جاورجيوس في اللد لأول مرة عند ثيودوسيوس عام 570 ميلادي. والكنيسة الثانية الشمالية الصغيرة، كنيسة ذكرى تخليد الأعجوبة التي قام بها القديس بطرس في المدينة، وهي شفاء إينياس (Aeneas) الأصم.

اللد أو ليدا لم تذكر بأحدى هذه الأسماء عند أوسابيوس، وورد ذكر ديوسبوليس بصورة غير مباشرة من خلال تحديد مواقع مدن أخرى، ولم يعطها أي اهتمام. تجاهل وصف مدينة اللد عند أوسابيوس غير مبرر وغريب، لأن لمدينة اللد أهمية كبيرة، تقع على مفترق طرق هام، وفق ما ورد في التوراة وفي العهد الجديد (أعمال 35–9:32)، وفيها شفي القديس بطرس الأصم إينياس. شاع ذكر الأعجوبة عند القديسة پاولا والراهب جيروم حين مرّا من المدينة. خريطة مأدبا أضافت لمعلوماتنا عن اللد وذكر اسمها القديم ديوسبوليس، مع أن جيروم والمسافر من بوردو لم يذكرا أية كنيسة في المدينة أو أي مكان مقدس آخر.

الشكل 4. مدينة اللد في فسيفساء الخريطة (آقي يونا 1953).

تعتبر الخريطة وثيقة جغرافية تاريخية من القرن السادس التي تصف في مدينة اللد شارع أعمدة وكنيستين. وصف كنائس اللد في الخريطة دون وصف جميع مباني مدنية يشير أن هذه الخريطة وضعت لخدمة حجاج الأرض المقدسة.

ماذا نعرف عن الديانة المسيحية في اللد؟

كان مدينة اللد مهمة جدًّا لدى المسيحيين لعدة أسباب، أهمهما موقعها الجغرافي على تقاطع طرق هام والثاني يتعلق بالقديس بطرس الذي شفي الأصم إينياس فيها. وفق المصادر التاريخية كان في اللد منذ بداية الفترة البيزنطية أسقفًا واسمه أتيوس، ينتمي إلى التيار "**الأريوسي**". يعني هذا أن معظم سكان اللد المسيحيين ينتمون الى هذا التيار. مكاريوس أسقف القدس، حاول تعيين أسقف أرثوذكسي بدلاً من أتيوس، لكنه فشل في محاولة.

نستشف من هذه المعلومة أن هناك من بين مسيحيي اللد أرثوذكس. المجتمع المسيحي باللد كان من أتباع القديس جاورجيوس، وفق كتابات الحاج ثيودوسيوس عام 530 ميلادي. تقع كنيسة القديس جاورجيوس البيزنطية في وسط المدينة بالقرب من موقع الكنيسة الحديثة المبنية فوق آثار الكنيسة الصليبية. تم دمج بقايا الكنيسة البيزنطية في بناء المسجد الحديث.

الخلاصة

يعود تاريخ الخريطة إلى نحو عام 550 م، وترتبط بشكل وثيق بفترة من تاريخ مأدبا التي يوجد فيها جبل نبو المطل على فلسطين. وأصبح من المؤكد أنه في الفترة التي صُنعت فيها الخريطة، عاشت طائفة مسيحية مهمة في المدينة الأردنية وما حولها، والتي تشكل جزءًا من أرض مؤاب، وتعتبر امتدادًا للبيداء على جانبي نهر الأردن. ربما ساعدت الخريطة جزئيًا في تسهيل توجيه الحجاج في الأرض المقدسة. تعبر الخريطة عن منظر جوي يصور حوالي 150 بلدة وقرية، وبضمنها مدينة اللد (ديوسبوليس)، ومناظر طبيعية جميعها تميزت بتفسيرات باللغة اليونانية.

هل فعلاً أدّى تأسيس الرملة إلى دمار اللد؟ قصة المدينتين من خلال المكتشف الأثري

دكتورة حچيت طورغه، سلطة الآثار
ترجمة الدكتور وليد أطرش، سلطة الآثار

مقدمة

لا يعرف سوى القليل جدًّا عن تاريخ اللد خلال الفترة الإسلامية المبكرة. وفقًا لأوصاف الجغرافيين من القرن التاسع للهجرة، دُمرت اللد بعد تأسيس الرملة. لكن، على عكس المصادر المكتوبة، الاكتشافات الأثرية تعكس صورة مغايرة. نتائج التنقيبات الأثرية القليلة في اللد، زودتنا بتفاصيل جديدة عن تاريخ اللد خلال فترات مختلفة. خلال الفترة البيزنطية، كانت للد مكانه مهمة حيث شكلت عاصمة محلية، وشغلت مركزًا دينيًا كبيرًا. الانقاض من الفترة الأموية (661 – 750 م) تدل على أن اللد كانت مدينة كبيرة وهامة.

كشفت التنقيبات الأثرية القليل في الرملة المجاورة عن بقايا من الفترة الأموية. في أواخر القرن الثامن (794 م)، هز زلزال عنيف فلسطين بأكملها مما أدى إلى دمار وهدم الكثير من المدن والقرى، وأيضًا إلى زوال العهد الأموي. بعد وقت قصير من وقوع الزلزال أعيد بناء الرملة، إعادة الإعمار واضحة أيضًا في اللد. ولكن خلال القرن الحادي عشر بدأت الرملة في التراجع. هذه هي الفترة الأخيرة التي شكلت فيها الرملة عاصمة لجند فلسطين. جميع التنقيبات الأثرية في مدينة اللد لم تكشف عن بقايا معمارية أو فخارية يعود تاريخها إلى القرن الحادي عشر، أي أن آثار القرن الحادي عشر معدومة في اللد. تبعًا لذلك، يبدو أن حتى الحملات الصليبية، كانت المدينة مهجورة لمدة ما يقارب القرن من الزمان.

اللد والرملة تاريخ وآثار

يشير معظم الجغرافيين القدماء إلى مدينة الرملة بشكل أساسي، ويتم تقديم المعلومات عن اللد بشكل عرضي. يبدو أن مصير المدينتين المتشابك، بدءًا بعد تأسيس الرملة في النصف الأول من القرن الثامن الميلادي. وفقًا للأوصاف الجغرافية التي تعود إلى القرن التاسع الميلادي، كانت مدينة اللد مدمرة ومهجورة بعد تأسيس الرملة. مدينة الرملة مصممة منذ البداية لترث مكان عاصمة الجند كل ما يعنيه ذلك. تم تأسيسها مسبقًا كمدينة مؤسسات الحكم، مركز صناعي، ديني وتجاري. ومع ذلك، على عكس المعلومات التي قدمها نفس الجغرافيين، ترسم الاكتشافات الأثرية صورة مختلفة تمامًا.

يصف اثنان من الجغرافيين، من القرن التاسع الميلادي، نهاية اللد مع تأسيس الرملة. وصف البلاذري (869 م) بناء المعالم الرئيسية في الرملة وسجل أن سليمان أذن للشعب ببناء منازلهم في المدينة، وهكذا فعلوا. كتب اليعقوبي (874 م) أن "اللد هي إحدى مدن فلسطين القديمة. عندما كان سليمان بن عبد الملك الخليفة، أسس الرملة ودمر اللد، بعد أن نقل سكانها إلى مدينته".

يشير الجغرافيون اللاحقون أيضًا إلى إنشاء الرملة ونهاية اللد. أرجع ياقوت الحموي (1225 م) بناء الرملة إلى الانتقام من أهل اللد لعدم سماحهم لسليمان ببناء قصره على أرض تابعة للكنيسة. وكتب أن سليمان أجبر سكان اللد على الانتقال إلى المدينة الجديدة التي أسسها. الدمشقي (1300 ميلادي) هو الوحيد الذي كتب أن اللد لم تدمر، بل أعيد بناؤها من جديد: "من مدن البلاد المقدسة هناك مدينة الرملة التي بناها سليمان بن عبد الملك بن مروان وجعلها عاصمة ... ثم بنى مدينة اللد على أنقاض مدينتها القديمة".

حتى الآن، تم إجراء عدد قليل من التنقيبات الأثرية في اللد وفيها تم العثور على موجودات وبقايا معمارية تعود إلى الفترة الكلاسيكية وما بعدها. تتركز هذه الاكتشافات بشكل رئيسي في منطقة حي نفيه براك شرق المدينة أو عند سفح التل القديم في الشمال. على الرغم من قلة عدد التنقيبات الأثرية نسبيًا، لا يزال من الممكن الحصول على صورة عن سيرة اللد خلال الفترتين البيزنطية والإسلامية المبكرة.

في الفترة البيزنطية، كانت اللد من المدن المركزية المهمة (الشكل 1). يبدو أنه يجب أن نربط أهمية اللد في هذه الفترة مع تأسيس كنيسة القديس جاورجيوس. أصبحت المدينة مركزًا دينيًا مهمًا في جميع أنحاء المنطقة. تأثير اللد ومؤسساتها الدينية واضح أيضًا في المستوطنات المحيطة بها. تم الكشف عن كنيسة في محاجر نشر قرب الرملة وفيها نقش نسب تأسيس إلى ديونيسوس، أسقف اللد.

لم يتضح بعد سبب دمار لمدينة اللد في أواخر الفترة البيزنطية. خمسة عشر تنقيبًا أثريًا جرت حتى الآن في اللد، وعثر فيها على موجودات وبقايا معمارية من الفترة الأموية (الشكل 2). ومع ذلك، تظهر هذه البقايا كطبقة منفصلة، في بعض الأحيان على ارتفاعات عالية فوق البقايا الأثرية من الطبقة البيزنطية. خلال التنقيب عن فسيفساء اللد من الفترة البيزنطية، تم العثور على مبنى جديد، تم إنشاؤه في الفترة الأموية فوق طبقة طمي (ارتفاعها حوالي 0.80 متر). تم الكشف عن أرضية حجرية واسعة، ربما كانت شارعًا أو فناء من الطبقة الأموية. على جانبها، تم الكشف عن أرضية من الفسيفساء مزخرفة وتشمل أمفورًا وأسماكًا.

تشير كمية المكتشفات إلى أن المدينة كانت كبيرة وحسنة البناء. تعود الأواني الفخارية المكتشفة في تنقيبات المدينة إلى الفترة الأموية، ولم تظهر أية أزمة محلية خلال هذه الفترة. في طبقات الطمي عثر على أواني فخارية من فترات لاحقة (مملوكية وعثمانية)، ومعها عثر عن كمية كبيرة من الفخار تعود إلى الفترة الأموية. هذه المكتشفات لا تتطابق مع أوصاف الجغرافيين عن تدمير اللد.

بنيت مدينة الرملة بالقرب من اللد في أوائل القرن الثامن الميلادي. يعود تأسيس الرملة إلى حاكم جند فلسطين، سليمان بن عبد الملك (705–715 م). سكن سليمان في اللد حتى انتهى من بناء مدينة الرملة في منطقة رملية لم تسكن من قبل. إختير موقع المدينة بدقة، وبنيت في موقع بعيد عن المستوطنات القائمة كي لا يحد من تطورها واتساعها كمدينة مستقلة، ودون الأخذ بالحسبان قيود مفروضة من قبل هياكل قديمة. تقع الرملة على مفترق طرق رئيسي بين يافا والقدس وعلى الطريق التي أدت إلى مصر في الجنوب وسوريا في الشمال. هذا الموقع سمح لها بأن تصبح المركز الاقتصادي الرائد في البلاد. وحسب رأي بعض العلماء، كانت مدينة القدس بعيدة عن مراقبة المدن الساحلية وكان من الضروري إقامة مستوطنة حكومية في وسط البلاد. كان معظم سكان اللد من المسيحيين، لم يكن بالإمكان إقامة مركز حكم إسلامي فيها، ولذلك أقيمت الرملة بجانبها.

يعزو الجغرافيون لسليمان بن عبد الملك بناء أربعة معالم رئيسية: قصر، دار الصباغة، قناة مياه بردى والمسجد المركزي. بنى المسجد عندما عين خليفة ابن عمه عمر الثاني، وبعده شقيقه هشام، الذين أكملوا مشاريع سليمان. تشير آثار المعالم التي أقيمت إلى نية سليمان بناء مدينة مركزية كبيرة. هذه البنايات تشكل البنية التحتية لمدينة كبرى: مركز إداري، مركز اقتصادي، إمدادات مياه للشرب والصناعة ومركز ديني. هذه المكونات الأربعة الرئيسية كانت ضرورية لإنشاء مدينة. أثبت بناء القصر مخططات سليمان الجادة في جعل المكان مدينة يحكمها حاكم مركزي، أي عاصمة الجند. كان من الضروري بناء مسجد في المدينة، كي تصبح ذات أغلبية حاكمة مسلمة،

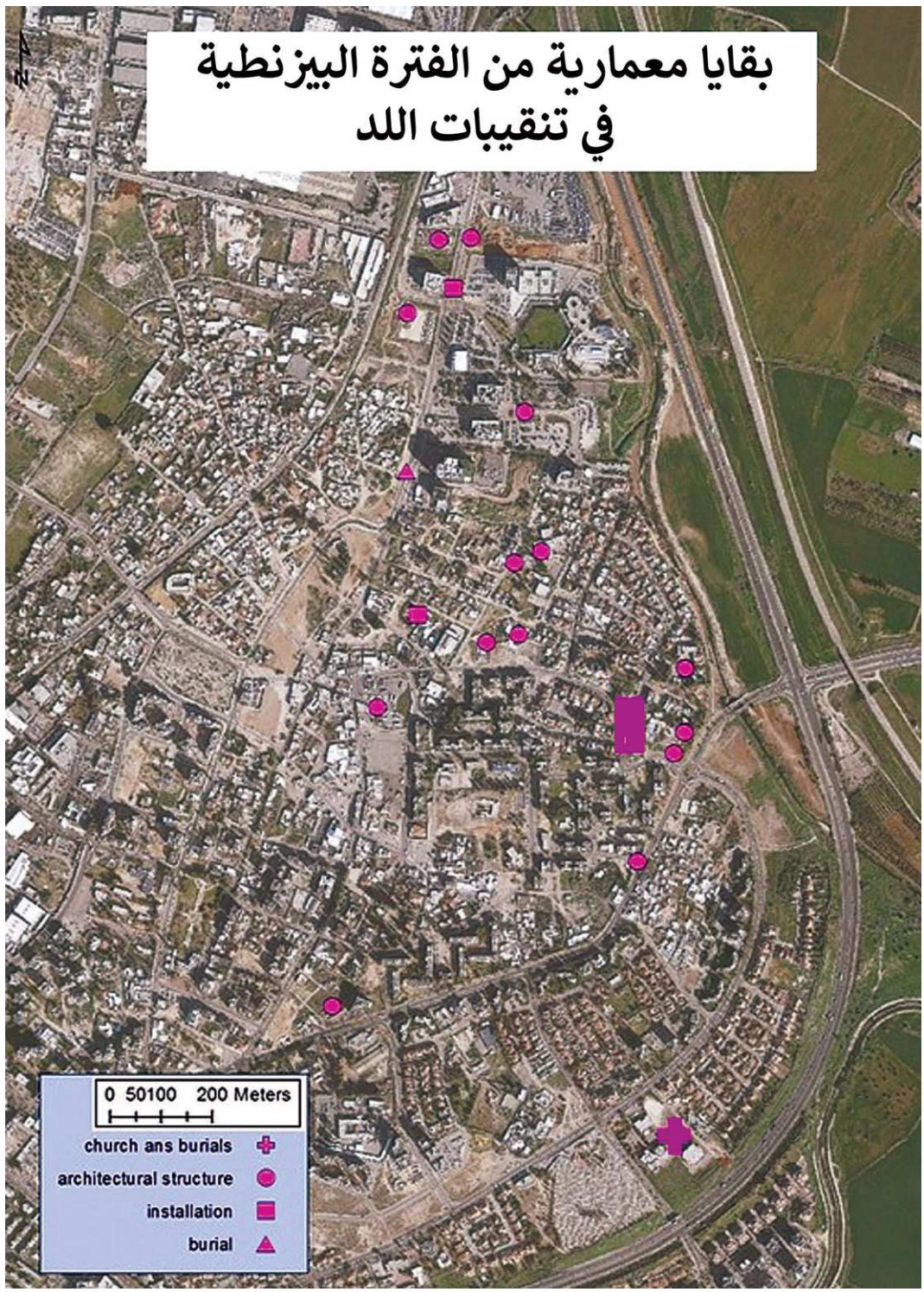

الشكل 1. تنقيبات اللد: خريطة موجودات وبقايا معمارية من الفترة البيزنطية.

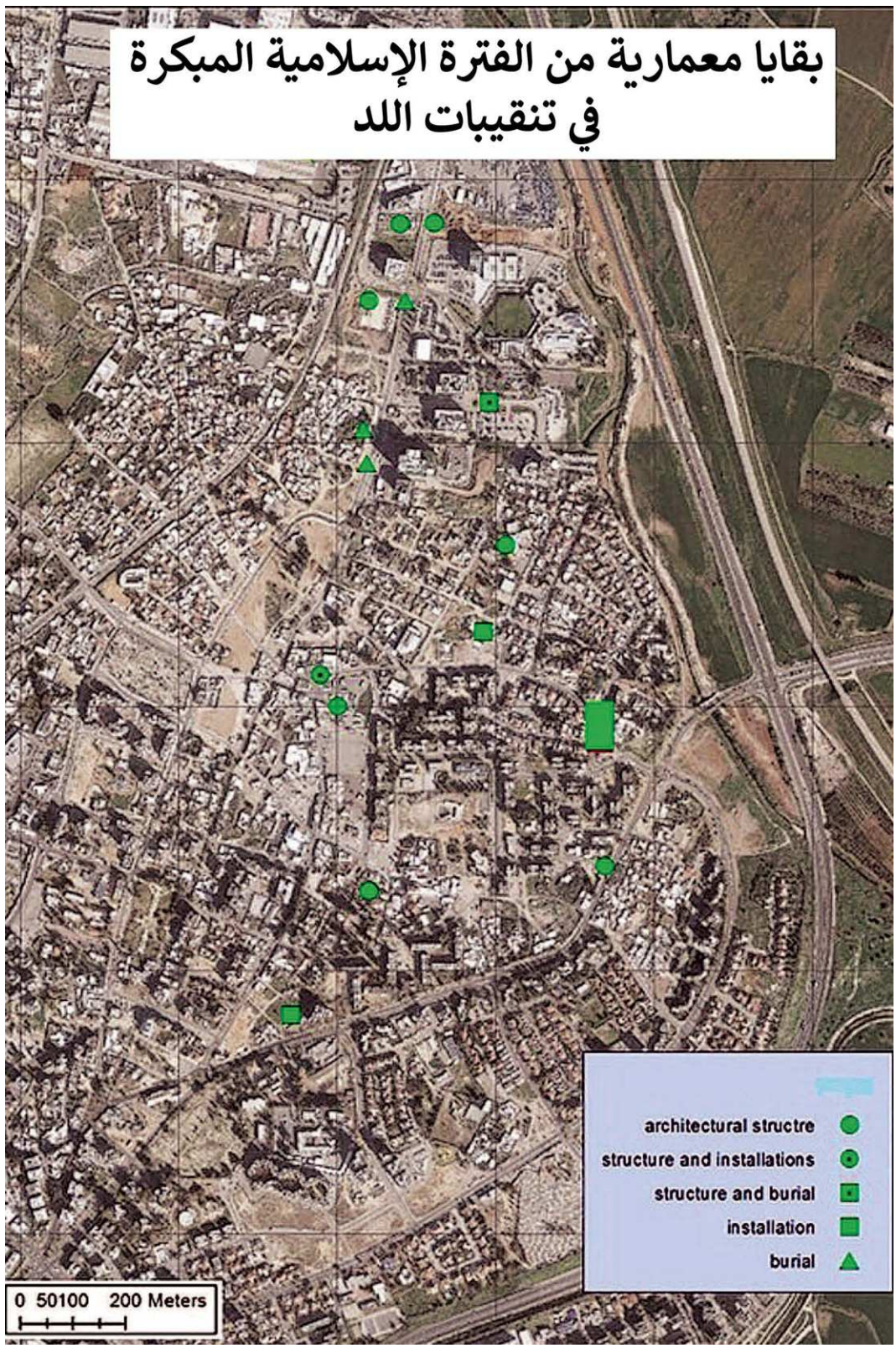

الشكل 2. تنقيبات اللد: خريطة موجودات وبقايا معمارية من الفترة الأموية.

وأن قوانين المدينة وعاداتها إسلامية. تم تصميم المسجد ليكون من أروع المباني الفخمة وبالتالي استغرق بناؤه وقتًا طويلًا وتم الانتهاء من بنائه بعد كل المباني الأخرى. دار الصباغة كانت مركزًا صناعيًا للمدينة، وارتكزت عليها صناعة النسيج والصباغة التي كانت مركزية في اقتصاد اللد. كانت قناة المياه ضرورية لتوفير المياه لسبل عيش السكان، للزراعة والصناعة. كانت العملات المسكوكة في المدينة بمثابة إعلان عن اختيارها كعاصمة لجند فلسطين. التناقض الحاد مع هذه المعلومات هو الغياب شبه الكامل للاكتشافات الأثرية من هذه الفترة، باستثناء كثرة وغنى المكتشفات في موقع جنوب الرملة.

على عكس اللد، أجريت العديد من التنقيبات الأثرية في الرملة، بما في ذلك تنقيبات واسعة النطاق. تم إجراء أكثر من مائتي تنقيب في المدينة، نتائجها تسمح لنا بفهم أفضل لتاريخ المدينة خلال الفترة الإسلامية المبكرة. فقط قلة من جميع التنقيبات، التي أجريت في الرملة، كشفت عن بقايا من الفترة الأموية. تم تأريخ ثلاثة أجزاء من مباني سكنية متباعدة إلى هذه الفترة. تشمل بقية المكتشفات في المدينة بشكل رئيسي حُفر قمامة وعدد قليل من القبور. في المنطقة القريبة من المسجد الأبيض، معظم حُفر القمامة وجدار واحد يمكن أن يكونوا من الفترة الأموية.

المقارنة بين كمية الموجودات المؤرخة الى الفترة الأموية في اللد بالمقابل لكمية الموجودات المؤرخة لتلك الفترة في الرملة تعرض صورة معاكسة تمامًا لتلك التي قدمها الجغرافيون من الفترة العباسية. يظهر من خلال الموجودات أن اللد لم تتضرر على الإطلاق من بناء مدينة الرملة، وظلت مدينة رئيسية كبيرة، بينما كانت الرملة في البداية صغيرة جدًّا. مساحة الرملة كانت محدودة للغاية وشملت بشكل رئيسي دار الإمارة الواقعة في محيط المسجد الأبيض.

في تناقض صارخ لقلة المكتشفات في الرملة، كشفت التنقيبات التي أجريت في الرملة-جنوب عن وجود مستوطنة مخططة ومنظمة من الفترة الأموية. يشطر هذه المستوطنة شارعٌ طويلٌ تتقاطع معه شوارع ضيقة. تم بناء حمامين على أطراف المستوطنة، قصر أو مبنى عام في وسطها بالإضافة إلى منطقة صناعية كبيرة، تضمنت أيضًا بركًا اكتُشفت فيها أصباغ تشير إلى استخدامها للصباغة. كذلك قناة المياه المنسوبة لسليمان، تفرعت على ما يبدو إلى فرعين، وجزء منها أوصل المياه إلى الرملة-جنوب. يبدو أن الرملة-جنوب لم تكن مستوطنة ريفية نمت وتوسعت من نواة قديمة، لكنها كانت مستوطنة مخططة، ربما من قبل الحكم المركزي، بناءً على مقارنة مع مدن أخرى من تلك الفترة، مثل: الرقة وقصر الحيرة الشرقي. يبدو أن هناك احتمالًا معقولًا بأن تكون الرملة في بدايتها مقسمة إلى نواتين لمستوطنتين منفصلتين. استخدم المجمع الشمالي كمجمع حكم بينما استخدم المجمع الجنوبي للسكن والصناعة (الشكل 3). قارن الجغرافي المقدسي (985 م) الأهواز في بلاد فارس بالرملة: "الأهواز: ... هي مثل الرملة بجناحين ...".

في منتصف القرن الثامن الميلادي، ضرب زلزال المنطقة بأكملها. في الرملة-جنوب، تم اكتشاف أدلة على وجود صدع جيولوجي تسبب في تدمير جميع المباني من الطبقة التي يعود تاريخها إلى الفترة الأموية. لا بد أن هذا الزلزال قد أثر على الرملة واللد أيضًا. فوق أرضية الفسيفساء التي تعود إلى الفترة الأموية، والتي تم الكشف عنها في فيلا فسيفساء اللد، يمكن رؤية آثار حريق ربما حدث بسبب هذا الزلزال.

بعد الزلزال أعيد بناء الرملة من جديد. تركزت إعادة الإعمار بشكل أساسي في المنطقة التي يقع فيها مجمع الحكم. من بين حوالي مائتي من التنقيبات الأثرية التي أجريت حتى وقت كتابة هذا المقال، تم الكشف عن حوالي مئة وثمانية منازل أقيمت خلال هذه الفترة وتم هجر ستة منها فقط خلالها. ما لا يقل عن عشرة من المنازل كانت فخمة. إلى جانب المنازل، تم تحديد النشاط الصناعي المحلي الذي يشمل صناعة الأواني الفخارية، الزجاجية وصناعة المعادن وغيرها من الصناعات. من جميع مكتشفات هذه الفترة لا يوجد حتى الآن أي هيكل يمكن اعتباره قصر الحاكم، على الرغم من أنه لا يوجد أدنى شك في أنه يجب أن يكون مبنى حكم مركزي لكل مدينة، وبالتأكيد لعاصمة الجند.

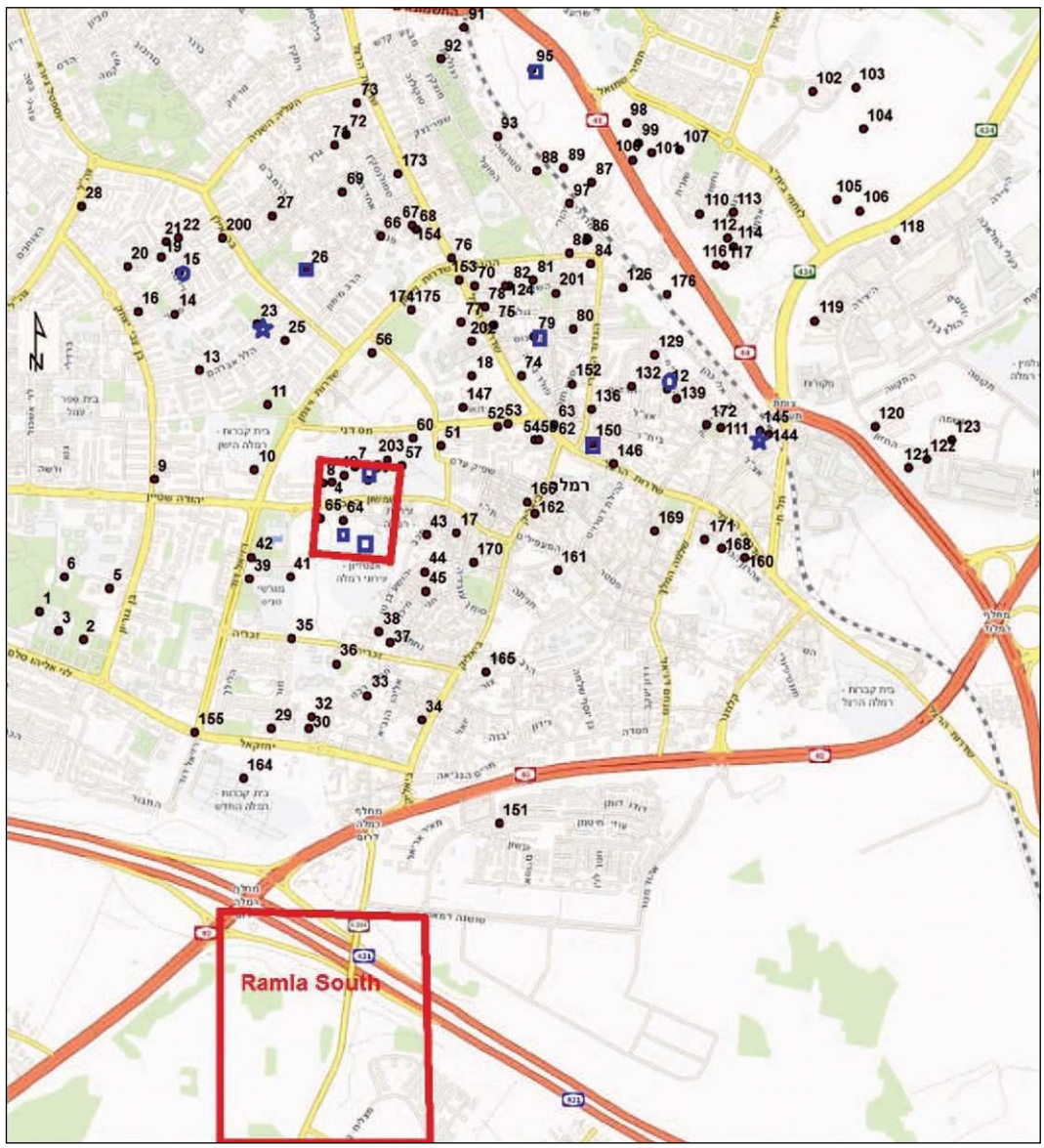

الشكل 3. خريطة الرملة في الفترة الأموية.

على الرغم من أن الرملة- جنوب استمرت كحي تابع للرملة، إلا أن الجزء الشمالي من المدينة توسّع بشكل كبير وبُنيت فيه العديد من المنازل (الشكل 4). حدود المدينة الجديدة بقيت دون تغيير تقريبًا طوال القرون التالية، حتى دمار المدينة في زلزال عام 1068 ميلادي. في عهد هارون الرشيد، تم بناء خزانات مياه تضمنت بركة القناطر وربما أيضًا برك باحة المسجد الأبيض. وبحسب الأواني الفخارية المكتشفة في التنقيبات التي أجريت في المسجد الأبيض وبالقرب منه، يبدو أن المسجد قد تأسس في ذلك الوقت. ويذكر المقدسي أنه تم نقل منبر مسجد الرملة إلى أرسوف بعد أن كان صغيرًا جدًّا بالنسبة لمسجد الرملة. قد يكون هناك دليل في هذه المعلومات على إعادة بناء أو ترميم وتوسيع المسجد القائم. الجغرافيون، منذ القرن التاسع وما بعده، لا يصفون قصر سليمان ومن المحتمل أنه لم ينج من الزلزال.

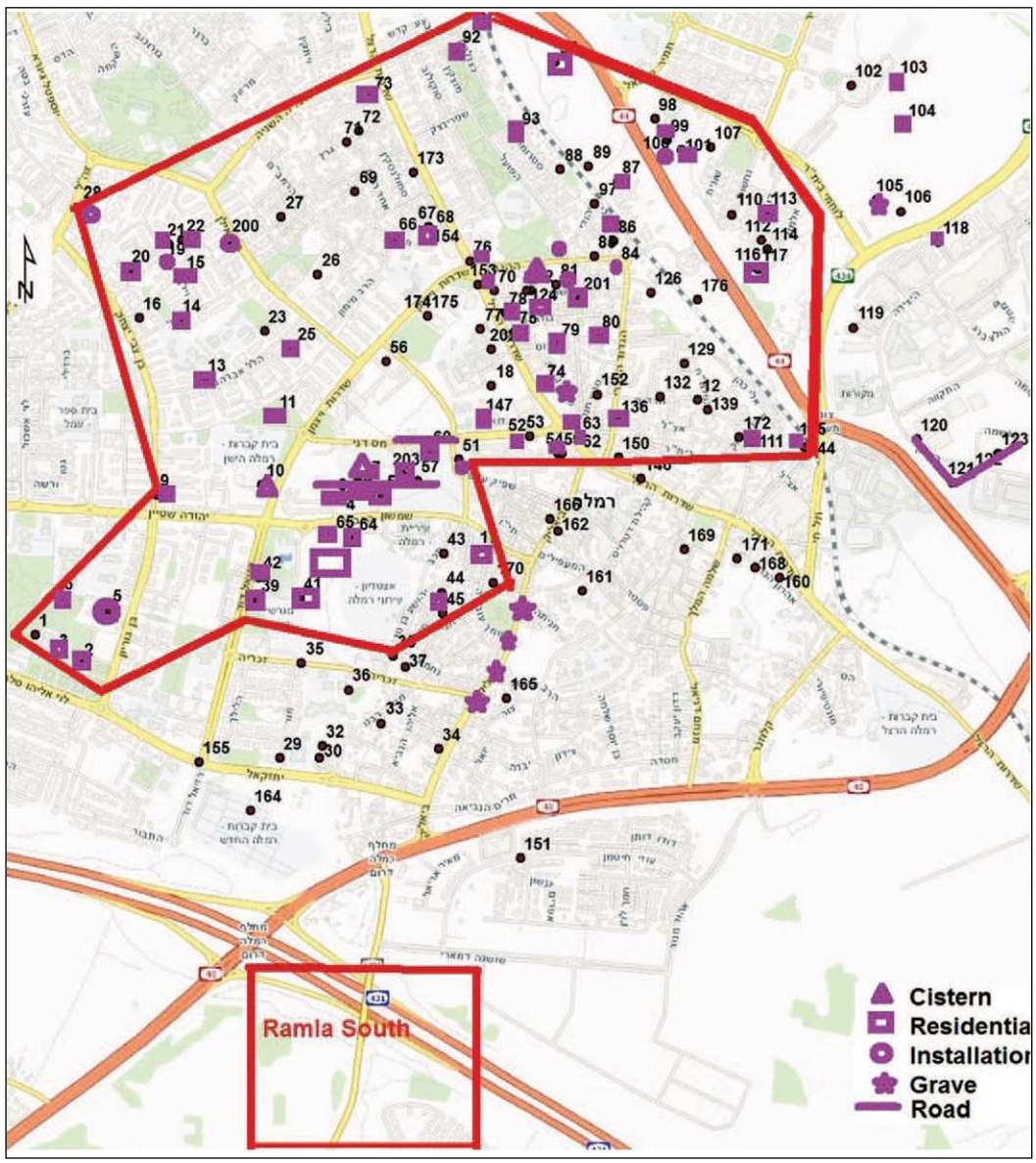

الشكل 4. خريطة الرملة في بداية الفترة العباسية.

كشفت من خلال أحد عشر تنقيبًا أثريًا في مدينة اللد عن بقايا معمارية وموجودات من الفترة العباسية. شملت بقايا مباني ومنشآت سكنية، تم تشييد بعضها فوق أنقاض مباني من الفترة الأموية. لا تزال نسبة الأواني الفخارية في جميع التنقيبات من الفترة العباسية كبيرة نسبيًا، ولكن معظمها من صناعة محلية وتفتقر إلى أوانٍ مستوردة ثمينة. إلى جانب وصفه مدينة الرملة، يصف المقدسي اللد بأنها مدينة بها مسجد كبير وكنيسة. خدم المسجد سكان القرى والبلدات المجاورة لمدينة اللد.

في بداية القرن العاشر نرى أن بعض منازل مدينة الرملة قد هجرت، بالأخص في الجزء الشمالي من المدينة، ربما بسبب توقف استخدام بركة القناطر التي كانت مهمة جدًّا للصناعة وللمنطقة السكنية القريبة منها. في نهاية القرن العاشر، بلغت مدينة الرملة ذروتها (شكل 5)، وكانت مركزًا تجاريًا مزدهرًا.

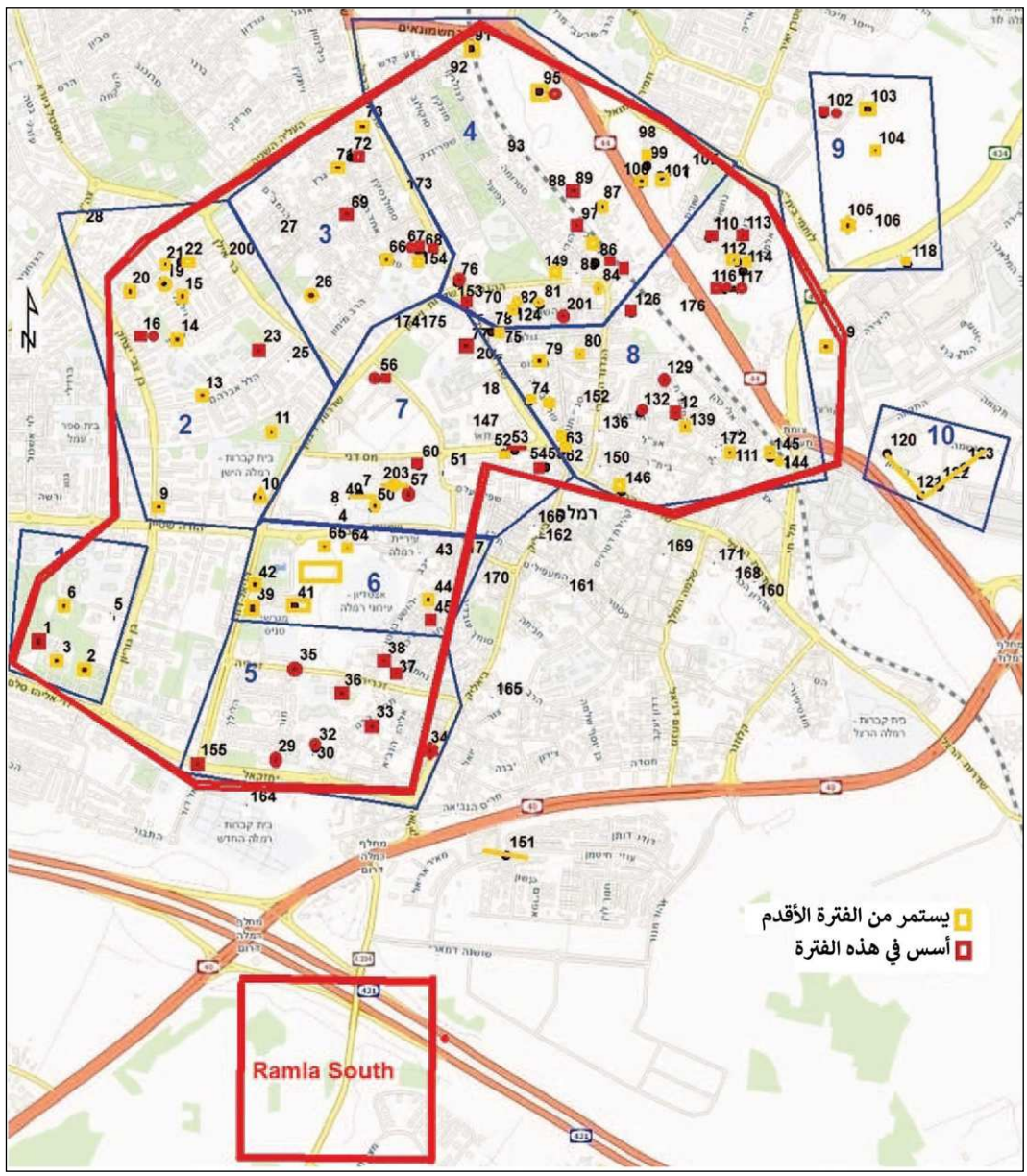

الشكل 5. خريطة الرملة حتى نهاية القرن العاشر ميلادي.

تم بناء منازل واسعة النطاق إلى جانبها صناعة منزلية مزدهرة، والتي تشمل فواخير لصناعة الفخار، ومصانع للزجاج والمعدن. لغاية اليوم، تم الكشف عن مئة وثمانية وعشرين منزلًا سكنيًا في جميع أنحاء المدينة، وهو رقم أعلى بقليل من عدد المباني التي تم تشييدها في النصف الثاني من القرن الثامن وأثناء القرن التاسع. كانت المنطقة الواقعة جنوب الجامع الأبيض هي حي أثرياء المدينة. ومن الظواهر المهمة تركيب العديد من صهاريج المياه في ساحات المنازل خلال هذ الفترة.

بدأت مدينة الرملة في التدهور خلال القرن الحادي عشر. هذه الفترة هي الأخيرة في تاريخ الرملة كعاصمة جند فلسطين. اضطرابات سياسية، شبه متواصلة، في بداية القرن الحادي عشر - إلى جانب زلزالين قويين (1033 و1068 م)، تسببا في هجر وتدمير العديد من المنازل في المدينة (الشكل 6).

يمكن التعرف على القرن الحادي عشر في بعض المباني السكنية - تلك التي تضررت بسبب الاضطرابات التي من صنع الإنسان أو من زلزال عام 1033، وتم تجديدها لاحقًا. شهد هذا القرن تغييرًا في جميع أنحاء مدينة الرملة. عدد قليل من المنازل السكنية استمر استخدامها من الفترة السابقة وتم إنشاء عدد قليل من المباني الجديدة خلال هذه الفترة. من بين جميع التنقيبات، تم تأريخ ستة وثمانين منزلًا سكنيًا لهذه الفترة، منها اثنان وعشرون فقط جديدة. على الرغم من أن حدود المدينة لم تتغير بشكل ملحوظ، ولكن داخل المدينة هناك انخفاض ملحوظ

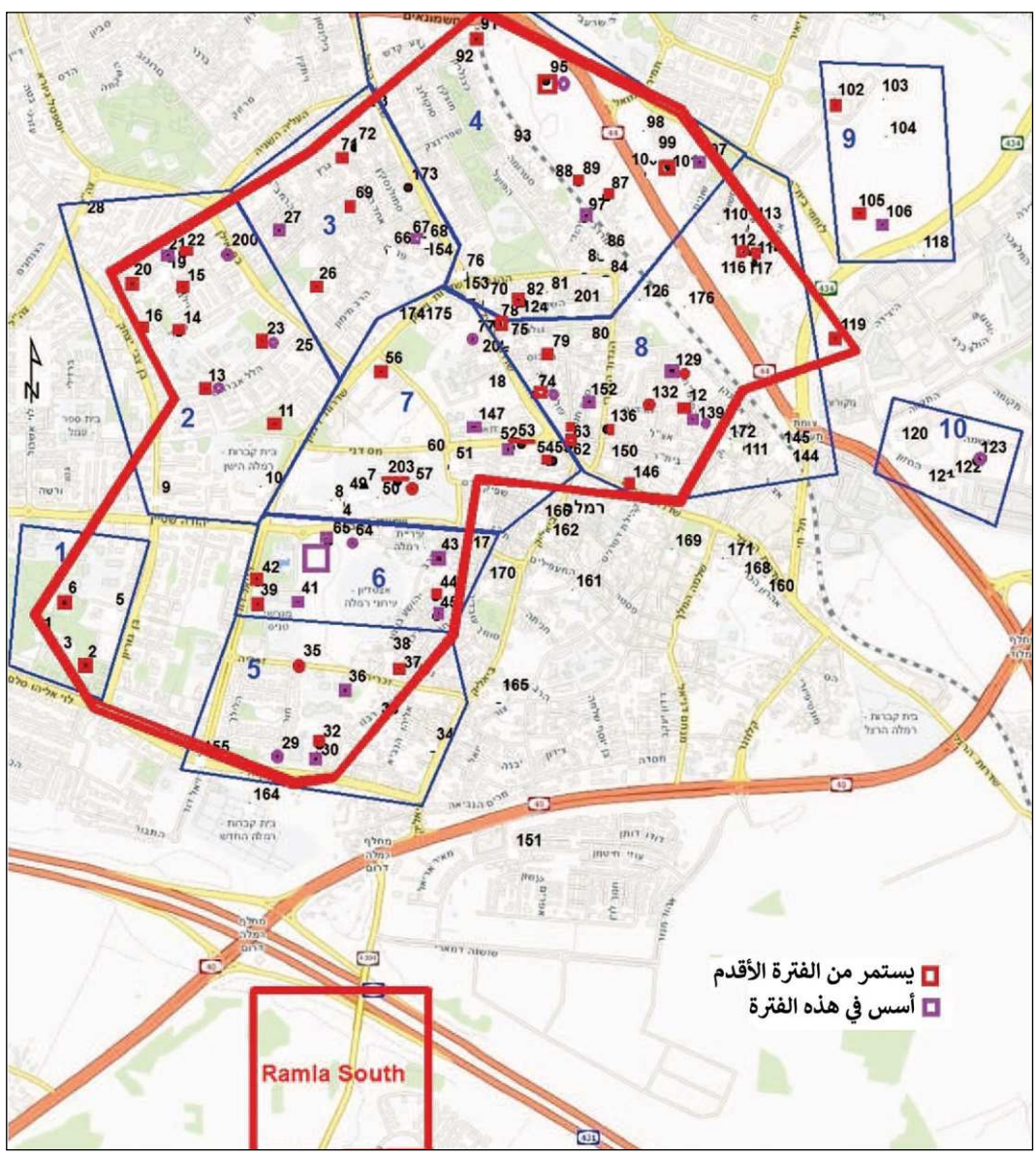

الشكل 6. خريطة الرملة في القرن الحادي عشر ميلادي.

بسبب هجر منازل سكنية. يشير الاستخدام الثانوي لشواهد القبور في بناء المنازل إلى تدهور الوضع الاقتصادي لدى بعض السكان المتبقين.

بعد زلزال عام 1068 م، أصبحت مدينة الرملة مهجورة بالكامل تقريبًا. لا تزال المكتشفات الفخارية من تلك الفترة تشير إلى ثراء سكانها، وتتضمن العديد من الأواني المستوردة. بالمقارنة مع الرملة، في جميع التنقيبات التي أجريت في اللد حتى الآن، لم يتم اكتشاف أواني فخارية تعود إلى القرن الحادي عشر. حسب المكتشفات الفخارية، أو عدم وجودها، يبدو أن اللد كانت خالية لفترة طويلة، قرابة 100 عام، حتى الحملات الصليبية.

تلخيص

عدد من الأسئلة تولد بسبب الاختلافات بين المكتشفات في التنقيبات وأوصاف الجغرافيين. في الرملة: من بين كل الهياكل المنسوبة إلى سليمان بن عبد الملك، بقيت قناة المياه فقط. لم يتم العثور على أي اكتشافات من هذه الفترة في تنقيبات المسجد الأبيض. في التنقيبات المختلفة لم يتم التعرف على دار الإمارة ودار الصباغين.

في اللد: بالمقارنة مع الرملة، هناك استمرار في السكن طوال الفترة الأموية، حتى زلزال منتصف القرن الثامن. حتى في الفترة العباسية كانت هناك أعمال بناء في اللد، ولم يتم تدمير المدينة أو التخلي عنها كما شهد الجغرافيون من القرن التاسع.

حسب اعتقادي، تم تقسيم مدينة الرملة الأموية إلى مركزين منفصلين: مركز الحكم الموجود في الرملة نفسها والأحياء السكنية والصناعية التي تم الكشف عنها في التنقيبات الأثرية في الرملة-جنوب. تقسيم المدينة إلى مركزين منفصلين يمكن أن يفسر شح المكتشفات في الرملة نفسها، ولكن في الرملة-جنوب تم الكشف عن بقايا مستوطنة كبيرة مخططة من تلك الفترة، مستوطنة تم تدميرها في زلزال في منتصف القرن الثامن.

أما بالنسبة إلى اللد، فمن المحتمل أن إشارة الجغرافيين إلى اللد، بعد حوالي مئة وخمسين عامًا من عهد سليمان ابن عبد الملك، كانت تستند أساسًا إلى قصص وصفت ماضي المدينة المجيد. بالنسبة إلى حجم وثراء المدينة في الفترتين الرومانية والبيزنطية، فإن اللد في الفترتين الأموية والعباسية كانت أصغر حجمًا وأقل ثراءً، وبالتالي بدا وكأنها مدمرة.

اللد في الفترة الصليبية

دكتور ربيع خميسة
معهد زينمان للآثار، جامعة حيفا

ذكرت مدينة اللد خلال الفترة الصليبية بعدة أسماء أشهرها مربوط بالقديس جاورجيوس، فقد كانت تسمى Lydde، Lydda أو Villa St. Georgii. اسم اللد مأخوذ من الاسم العربي للبلد، أما اسمها التابع للقديس جاورجيوس فهو مستوحى من الاسم البيزنطي، إذ كانت تسمى ديوسپوليس او جيورجيوپوليس. في الحقيقة هذا الاسم مستمد من قصة ذكرها ثيودوسيوس سنة 518 ميلادية ذكر بها بأن القديس جاورجيوس كان قد قتل فيها.

في الثالث من حزيران 1099 م وصلت قوات الحملة الصليبية الأولى إلى مدينة اللد، ونجحت في احتلالها، منذ ذلك الحين تبعت مدينة اللد وعقاراتها للمطران، وكانت بمثابة إقطاعية خاصة به. يجدر الذكر بأن البلدة والكاتدرائية سميتا على اسم القديس جاورجيوس، وبالرغم من أننا نعرف القليل فقط عن البلدة، إلا أن الدلائل التاريخية المسجلة تثبت بأن للبلدة كانت محكمة خاصة لسكانها البرجوازيين.

هاجمت اللد في أيار من عام 1102 قوات من الجيوش الإسلامية المعسكرة في مدينة عسقلان، لكنهم لم يستطيعوا اقتحامها، وصمدت اللد أمامهم واجتازت هذه المحنة. هنالك بعض المؤشرات أن للمطران حصنًا من نوع ما في اللد وكان قد احتمى فيه. وهب المطران عام 1115 م بعض العقارات لدير القديسة مريم من وادي يهشفاط، وذكرت الوثيقة قلعة المطران في اللد المجاورة لبعض العقارات. إضافة إلى ذلك فقد ذُكر في الوثيقة ذاتها مسجد، من المحتمل جدًّا أن يكون المسجد الأبيض.

مدينة اللد مركزية، فيها مباني عامة كثيرة منها كنيسة قديمة، يدل نمط بنائها على أنها من القرن الثاني عشر، لكن من الصعب تحديد زمن بنائها بدقة. يمكننا الاستعانة بأحداث تاريخية لتحديد التسلسل الزمني لبناء الكنيسة. هاجمت مدينة اللد عام 1177 فرقة عسكرية من قوات صلاح الدين الأيوبي، مما حدا ببعض السكان إلى اللجوء الى الكنيسة والتحصن على سطحها. إن دل هذا على شيء، فإنه يدل على أن سقف الكنيسة كان ثابتًا وقويًا، ويمكننا الافتراض أنها مبنية من الحجارة، وأن السقف جدد على يد الصليبيين، وتم بناؤه قبل عام 1177 م، علمًا أن السقف السابق كان مبنيًا من الخشب والقرميد دون أدنى شك.

احتل صلاح الدين الأيوبي مدينة اللد في تموز 1187 م، عقب معركة حطين، وأمر بهدم الكاتدرائية في 24 أيلول من عام 1191 م خلال الحملة الصليبية الثالثة. بعد عام واحد، في أيلول 1192 م، تم الاتفاق على شروط الهدنة بين صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد، ملك إنجلترا، وبموجبه تقرر أن تكون اللد مناصفة بين الطرفين، أي أن مدخولها من محاصيل وأموال وما إلى ذلك، يتم تقسيمه بالتساوي. من المحتمل جدًّا بأن اللد عادت ليد الصليبيين بالكامل في عام 1204 م، ولكن من المؤكد انها كانت تحت سيطرتهم عام 1229 م عندما حصل فريدريك الثاني على أماكن كثيرة، كان قد وهبه إياها صديقه الملك الكامل الأيوبي. بالرغم من ذلك، فإننا لا نعلم إذا اعيد بناء الكاتدرائية بعد هدمها عام 1191 م، مع العلم أن الوثائق التاريخية تؤكد على أنها كانت فعالة حتى احتلال مدينة اللد على يد السلطان بيبرس المملوكي في عام 1266 م. إقترح بعض الباحثين أن هدم الكاتدرائية لم يكن كاملاً، وأن صلاح الدين الأيوبي لم يهدم قسمها الشرقي، مما جعل استعمالها ممكنًا بشكل

مقبول. ما نعرفه بالتأكيد هو أن بعض حجارة جدران الكاتدرائية أعيد بناؤها عام 1273 م في بناء جسر على وادي المصرارة، في جنداس.

قام العديد من الرحالة والحجاج بوصف الكاتدرائية، ضخامتها، جمالها وبقاياها حتى نهاية القرن الخامس عشر. وذكر مسجدًا لأول مرة بني بمحاذاة الكاتدرائية على قسم من جهتها الغربية. هذا الوضع المستجد لم يتغير حتى عام 1860 بالتقريب. بناء الكنيسة الحديثة تم في بداية العقد الثامن من القرن التاسع عشر (الشكلين 1–2). حتى ذاك الحين، قام أشهر الرحالة والباحثين الذين جابوا الأراضي المقدسة بوصف الكنيسة ورسمها. قام كليرمونت چانو بأول مسح دقيق للكنيسة في العامين 1873 – 1874 وبقي هذا مرجعًا مهمًا لكل الأبحاث حتى يومنا هذا. قام المسؤولون عن المسجد بإزالة بعض القصارة عن جدرانه عام 1980، وذلك كجزء من صيانة المسجد. لكن ما أن أزالوا القصارة حتى اكتشفوا طبقات القصارة الصليبية من تحتها، مما أسفر عن القيام بمسوحات أثرية جديدة.

وصف الكاتدرائية الصليبية

أقيمت الكاتدرائية على بقايا مباني من الفترة البيزنطية بقي منها عقود، فتحات شبابيك وأبواب، بعضها تم إغلاقه بجدران مبنية من الحجارة المحلية. مخطط الكاتدرائية من نمط البازيليكا (47 × 24 م) باتجاه الشرق-غرب، مقسمة إلى ثلاثة صحون، وفي طرف كل صحن في الجهة الشرقية حنية نصف دائرية في منطقة الهيكل. يمكن رؤية ما تبقى من جدران الفترة البيزنطية في الحنية الشمالية وتحت جدار مئذنة المسجد الذي هو نفسه الحائط الجنوبي للكاتدرائية.

الشكل 1. اللد، مسجدا والكنيسة الحديثة (تصوير: د. توماس بوروفسكي).

الشكل 2. اللد، مسجدا والكنيسة الحديثة (تصوير: د. توماس بوروفسكي).

جنوب مبنى الكاتدرائية هناك مبنى ملتصق بنصفها الجنوبي، أطواله 24 × 23 مترًا من الداخل، مقسمًا إلى قسمين بواسطة جدار اتجاه شرق-غرب. يمكننا القول إن هذا المبنى مكون من صحنين طوليين باتجاه شرق-غرب. الصحن الجنوبي عبارة عن بازيليكا صغيرة (17 × 11 مترًا)، ولها حنية واحدة في الجدار الشرقي. لقد هدم الجدار الفاصل بين الصحنين عند بناء المسجد مكانهما، وأضيف محراب في الجدار الجنوبي.

أما بالنسبة للبناء الصليبي، فيمكن تمييزه بوضوح في مبنى البازيليكا الكبيرة، حجارتها الجيرية مصقولة بشكل متقن، وجهها مقصبه بتسريحات ناعمة ومتقنة، صنعت بواسطة أداة تدعى "شاحوطة"، وعلى العديد منها بقيت علامات النحاتين التي استعملت كختم على شكل الحرف B. ومن الجدير ذكره أن الأختام الموجودة على جدار الحنية منحوتة بشكل مميز يختلف كليًا عن باقي الجدران. أما تيجان الأعمدة وقواعدها فقد نحتت من حجارة الرخام الجرانيت المائل إلى اللون الأبيض (الشكلين 3–4). إن تلك التيجان مزينة بشكل رائع بأوراق نبات منحوتة، بعضها من الفن الكورنثي مأخوذ من الكنيسة البيزنطية. استعملت بعض تلك التيجان في بناء المسجد، والزائر اليوم يمكنه رؤية هذه التيجان في الكنيسة والمسجد القائمين في الموقع. كانت الحنية النصف دائرية مزخرفة، وفي قسمها العلوي إفريز مميز فوقه سقف الحنية المبني على شكل نصف قبة (الشكل 5).

للكاتدرائية الصليبية ثلاثة صحون، عرض الأوسط 11.2 مترًا والآخرين 6.6 – 6.8 مترًا. يفصل بين الصحون صفّين من الأعمدة المقنطرة (أركاديا). نمط البناء المتبع في الكنيسة رومانيسيكي مناسب للقرن الثاني عشر (الشكل 6). استغلت الكنيسة الحديثة ما تبقى من آثار الجدران القديمة وأقيمت فوقها، لذلك نرى أن مخططها

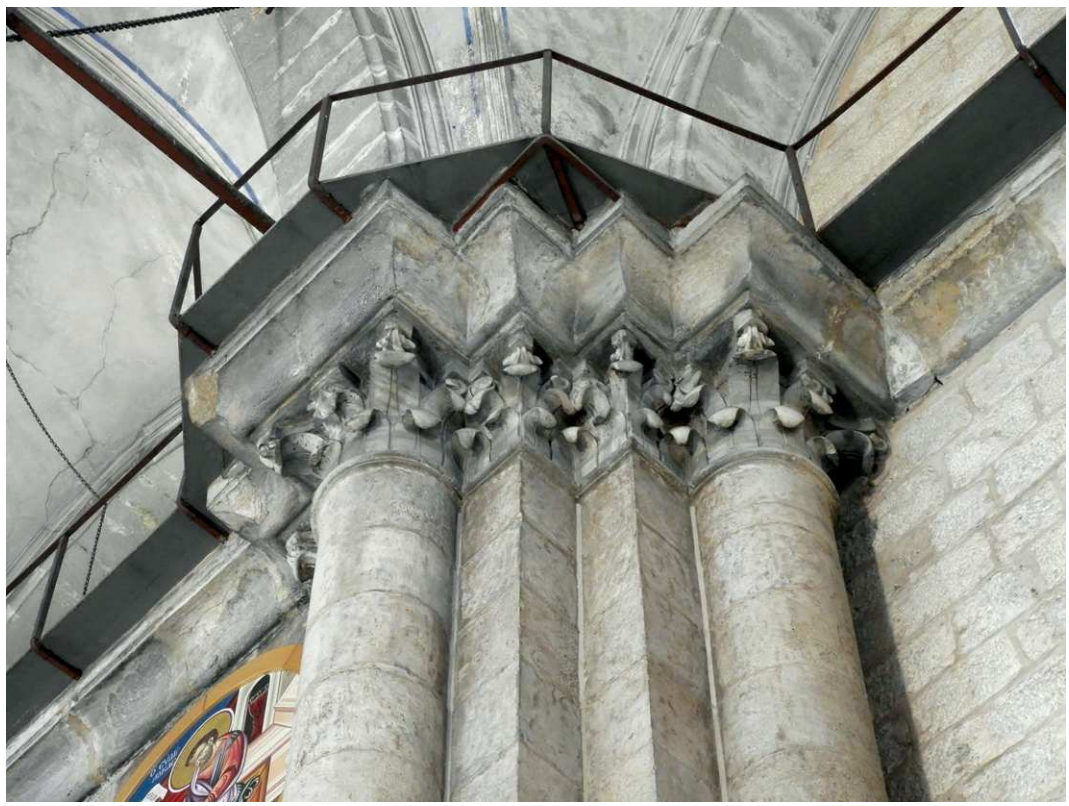

الشكل 3. الكنيسة، تيجان من الرخام الأبيض (تصوير: د. توماس بوروفسكي).

الشكل 4. الكنيسة، تاج من الرخام الأبيض (تصوير: د. توماس بوروفسكي).

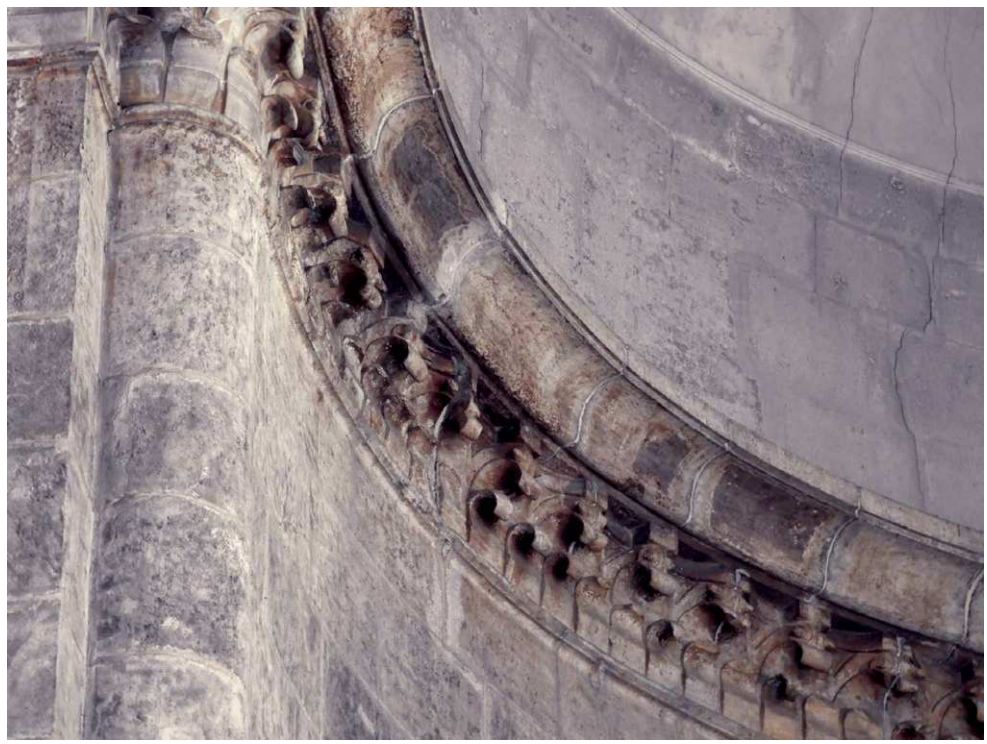

الشكل 5. الكنيسة، الحنية المركزية مزخرفة بأفريز وفوقه نصف قبة (تصوير: د. توماس بوروفسكي).

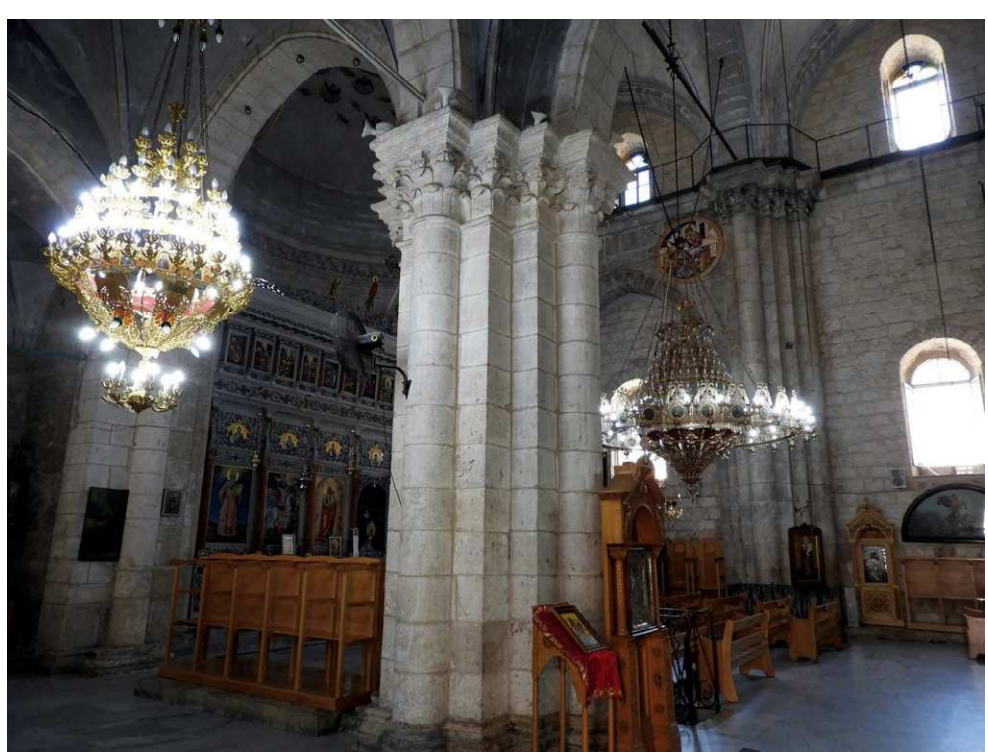

الشكل 6. الأعمدة المقنطرة (أركاديا) في الكنيسة (تصوير: د. توماس بوروفسكي).

شبيه بعض الشيء بسابقتها. محتمل أن يكون الدير القائم اليوم شمال الكنيسة، التابع لطائفة الروم الأرثودوكس، هو القصر المحصن التابع للمطران الذي ذكرناه سابقًا.

كما أسلفنا، أخذت الكاتدرائية أهميتها من القديس جاورجيوس، ويعتقد أن قبرة في قبو (كريبتا) تحت مذبح الكاتدرائية مقابل الحنية المركزية (الشكلين 7–8).

لا نعرف الكثير عن بلدة اللد الصليبية، بالرغم من أهميتها الدينية والاستراتيجية. لكن من المحتمل جدًّا أن البلدة الصليبية وقبلها البيزنطية، تطورتا حول الكنيسة، خلافا لما كان في الفترة الرومانية حيث من المرجح أن الكنيسة كانت في مقبرة خارج البلدة. بناء مدينة الرملة جوار اللد أدى إلى إطفاء نجمها وانتقل المركز الإداري والسياسي إلى الرملة منذ الفترة الإسلامية القديمة.

بموجب الدراسات الأثرية في اللد، لم يتم العثور حتى اليوم على آثار تدل على نمط المدينة والحياة اليومية بها خلال الفترة الصليبية، وكلنا أمل أن يتغير هذا الحال في المستقبل القريب.

الشكل 7. الدرج الموصل الى قبر القديس جورج (تصوير: د. توماس بوروفسكي).

الشكل 8. قبر القديس جورج في الكربتا (تصوير: د. توماس بوروفسكي).

السكان وعادات الدفن في قرية جنداس المملوكية والعثمانية على ضوء نتائج التنقيبات الأثرية في مقبرة القرية

ڤيرد اشد، روني تواج وشاحر كريسفين، سلطة الآثار
ترجمة الدكتور وليد أطرش، سلطة الآثار

مقدمة

تقع مقبرة قرية جنداس على بعد حوالي كيلومتر واحد شمال شرق تل اللد، تعود الى أواخر الفترة المملوكية وأوائل العثمانية، تم التنقيب عنها جزئيًا في عام 2014 من قبل سلطة الآثار (الشكل 1). يعتمد تأريخ المقبرة على الموجودات المحمولة، وأهمها العملات والأواني الفخارية المؤرخة الى منتصف القرن الثالث عشر وحتى أوائل القرن السادس عشر. هذه المقبرة تابعة لسكان قرية جنداس المسلمين والتي تمثل تقاليد وعادات مجتمع زراعي ريفي.

الهدف من هذه الدراسة، عرض نتائج التنقيبات في مقبرة قرية جنداس، وفهم عادات وطرق الدفن التقليدية للمجتمع المسلم، وكذلك دراسة الخصائص الديموغرافية لسكان القرية المملوكية.

المواد

تكونت عينة البحث من 90 قبرًا نقب عنها في مقبرة جنداس: 44 قبرًا لبالغين و46 قبرًا لصغار السن (الشكل 2). تم إجراء دراسة ميدانية للهياكل العظمية أثناء التنقيب: تمت الإشارة إلى جنس وعمر كل هيكل عظمي؛ تم توثيق وضع جميع الهياكل العظمية وأسباب الموت. عثر على معظم الهياكل العظمية بحالة جيدة؛ ومع ذلك، فإن العديد من عظام الهياكل ومعظم الجماجم كانت مفتتة الى أجزاء. تم اعتماد البحث على المقارنة مع مدافن حي مأمن الله (ماميلا) في القدس (1461 هيكلًا) المؤرخين الى الفترة المملوكية.

المنهجية (ميثولوجي)

خصائص الدفن: أعيد بناء ممارسات الدفن وفقًا للملاحظات الميدانية وتضمنت نوع القبر (الجدول 1)، اتجاه القبر، مواقع الهيكل العظمي داخل القبر، مثل اتجاه الجمجمة واتجاه الوجه. تتضمن الدراسة الديموغرافية 90 قبرًا تم التعرف على وضع الهياكل العظمية داخلها، أي وضع كانت الجثة في القبر، هل كانت على جانبها الأيمن، أو مستلقي على الظهر، وفي الغالب بسبب سوء حالة حفظ الهيكل العظمي لم نتوصل الى هذه المعرفة.

الخصائص الديموغرافية: بناءً على شكل الجمجمة والعظام الطويلة والأسنان، تم تحديد جنس المقبور، وكذلك عمره أو إذا كان بالغًا أم لا.

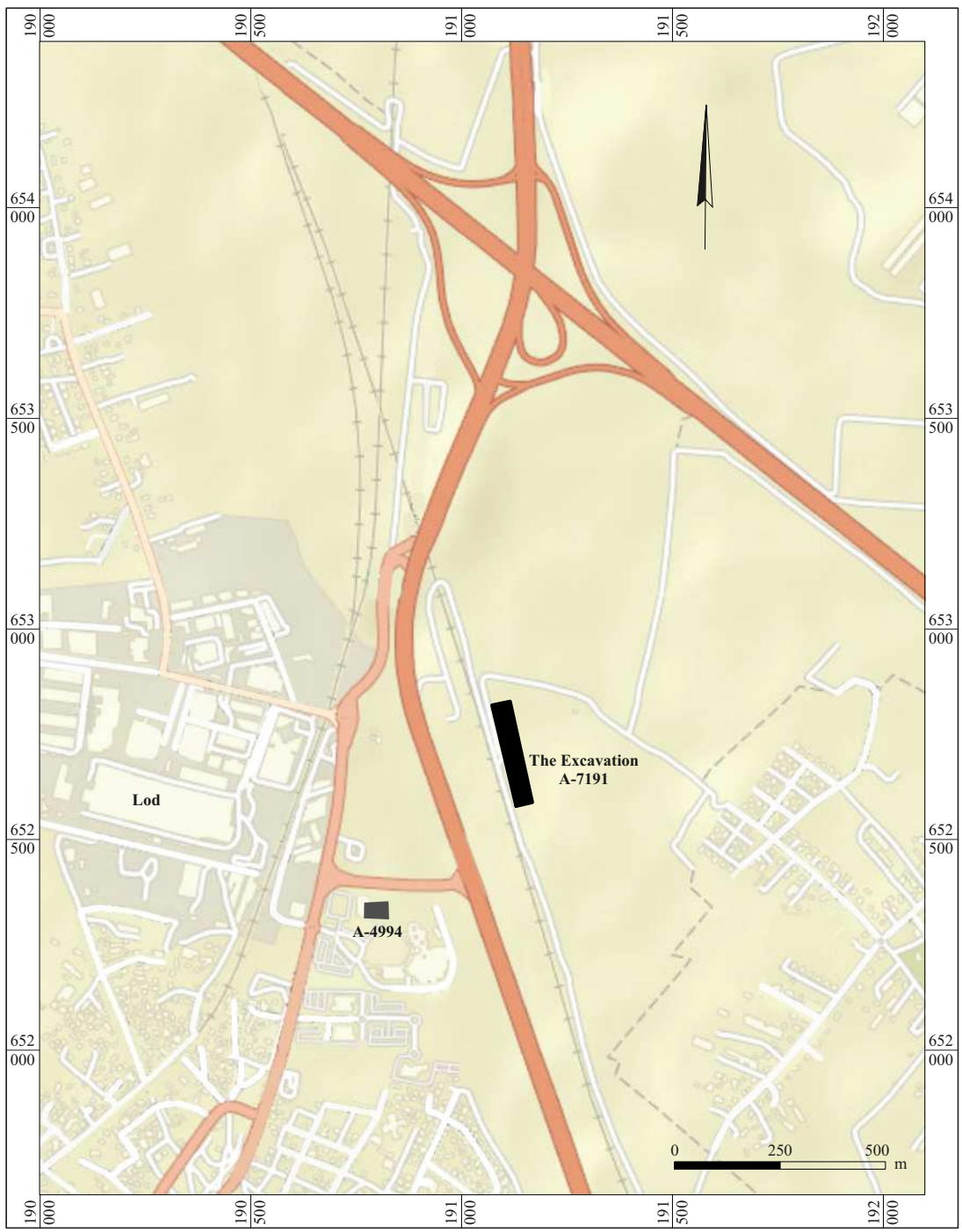

الشكل 1. موقع التنقيبات على الخريطة.

الشكل 2. صورة عامة للقبور.

الجدول 1. أنواع القبور في مقبرة جنداس

نوع القبر	الوصف
نوع A	قبر الحفرة البسيطة، مستطيلة الشكل، حفرة ضحلة محفورة في تربة الجرف، لم يتم وضع علامة أو شاهد على القبر وتم وضع الجثمان فيها.
نوع B	حفرة ضحلة مستطيلة الشكل، محفورة في تربة الجرف ولم تكن محاطة بحجارة، ولكنها مغطاة بألواح حجرية ذات حجم موحد.
نوع C	حفرة ضحلة مستطيلة الشكل، محفورة في تربة الجرف ومحاطة بصف واحد من حجارة الجير، أو بحجارة كلسية بسيطة وكانت على مستوى أعلى من الجثة ومغطاة بألواح حجرية ذات حجم موحد.
نوع D	حفرة ضحلة مستطيلة الشكل، محفورة في تربة الجرف ومحاطة بصف واحد من حجارة الجير أو بحجارة كلسية بسيطة وكان على مستوى أعلى من الجثة، ولكن غير مغطاة بألواح حجرية.
نوع E	حفرة ضحلة مستطيلة الشكل، محفورة في تربة الجرف ومحاطة بصف واحدة من حجارة الجير أو بحجارة كلسية بسيطة، ومغطاة بأربعة أو خمسة جرار فخارية في استخدام ثانوي.
نوع F	قبر جثة طفل داخل جرة فخارية.

هدايا الدفن: تم العثور داخل القبور وبجوارها على العديد من هدايا الدفن مثل: أواني زجاجية، أواني معدنية، مجوهرات، عملات معدنية وغلايين تدخين، جميعها ترجع إلى الفترتين المملوكية والعثمانية.

معظم القبور كانت قبور لفرد واحد أو أكثر. داخل كل قبر جثة واحدة وضعت إما على جانبها الأيمن أو مستلقية على الظهر، والرأس باتجاه الغرب، والقدمان باتجاه الشرق، والوجه متجه دائمًا نحو الجنوب (الشكل 3).

تم التعرف على اختلافات طفيفة في مواضع الجثث في بعض القبور. لا بد من الإشارة إلى أن موقع هذه القبور معروفة جيدًا من مقابر مسلمين أخرى تم التنقيب عنها مثل: مقبرة تل تنيم، مقبرة الرملة، مقبرة بيت دغان ومقبرة كفار سابا.

تم العثور في العديد من قبور النساء على هدايا الدفن وشملت: أساور، أقراط ومجوهرات أخرى، قوارير صغيرة، قطع زجاج وعملات معدنية (الشكل 4).

موقع القبور ووضع الهياكل العظمية

من بين 107 قبور تمت دراستها، كان هناك 19 قبرًا من أصل 84 تضم أكثر من هيكل عظمي واحد. تم حفر معظم القبور في تربة جرف، وتم بناء صف واحد أو صفين من الحجارة الجيرية حولها (أنظر الشكل 2).

اتجاه معظم قبور المقبرة (95٪) شرق - غرب (الشكل 5). جميع القبور في موقع دفن أولي، باستثناء واحد (قبر ثانوي). رأس الميت في الشرق والوجه باتجاه الجنوب. ينطبق هذا الوضع على جميع أنواع القبور، أي البالغين من الجنسين، الأطفال والرضع. تم دفن معظم الأطفال والرضع في مدفن أو داخل جرة (شكل 6).

على الرغم من أن معظم القبور كانت باتجاه شرق - غرب، إلا أن عددًا قليلاً منها كان باتجاه جنوب - شمال، ليس باتجاه مكة. تم العثور على نفس الظاهرة في مقبرة تل الحسي، واقترح المنقبون أن هذا ربما كان بسبب

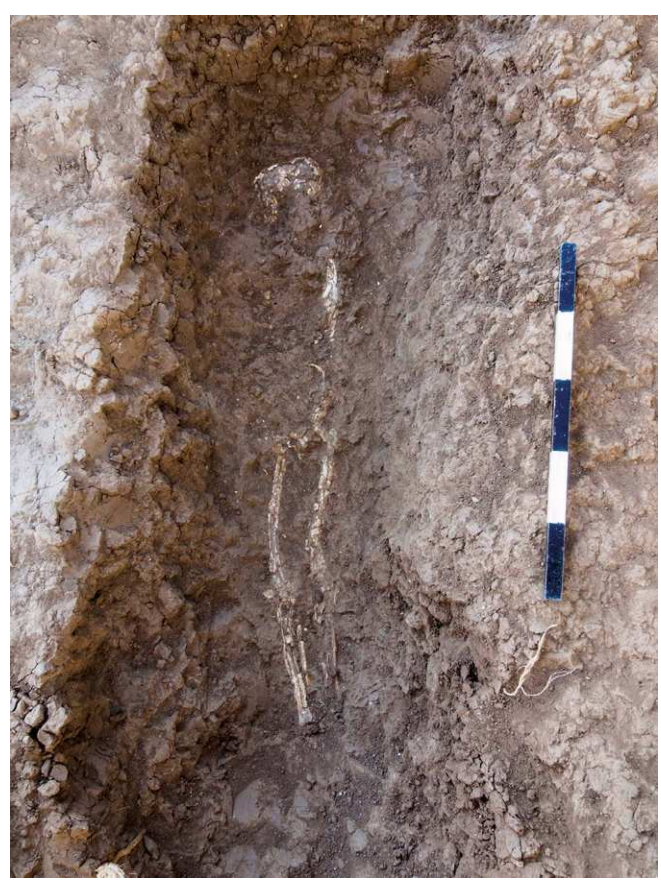

الشكل 3. هيكل عظمي داخل قبر، رأسه باتجاه الغرب، قدميه باتجاه الشرق، ووجهه متجه نحو الجنوب.

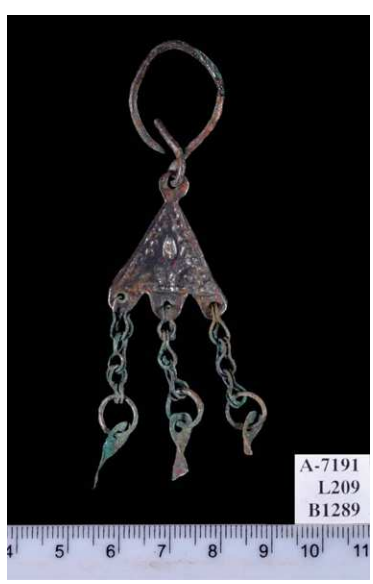

الشكل 4. قراط من النحاس مثلث الشكل مزين بزهرة محاطة بثلاثة أوراق.

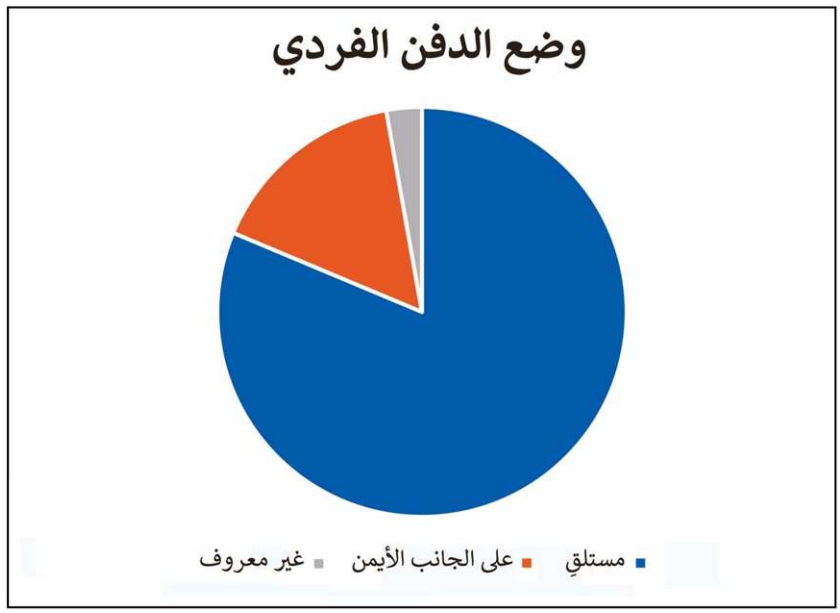

الشكل 5. جدول يوضح نسبة اتجاه القبور في مقبرة جنداس.

الشكل 6. قبر طفل داخل جرة.

الرغبة في توجيه القبور نحو القدس، ثالث أقدس مدينة في الإسلام، أو ربما حتى لعدم اليقين الحقيقي بشأن معرفة الاتجاه الحقيقي لمكة.

أنواع قبور الأطفال

من بين 51 قبر أطفال تتراوح أعمارهم بين 0–15 عامًا (51 من أصل 107 قبور تمت دراسة ممارسات الدفن)، تم دفن 19.6٪ (10 أطفال) داخل جرار، أحدهم في جرة تم وضعها داخل جرة أخرى أكبر (أنظر الشكل 6). ومن المثير للاهتمام، ولكن ليس من المستغرب، أن معظم الأطفال تقل أعمارهم عن ثلاث سنوات، أو جنين. تم دفن طفل واحد (5–6 سنوات) في حفرة مغطاة بالجرار (النوع E، الجدول 1)؛ تم العثور على قبر طفل واحد في حفرة القمامة؛ وثلاثة في المقبرة (النوع A). تم دفن معظم الأطفال في حفر (النوع B أو C أو D أنظر الجدول 1؛ الشكل 7).

ديموغرافية سكان جنداس

تضمنت عينة سكان جنداس 90 هيكلًا، 44 بالغًا (51.1٪) و46 طفلًا دون سن 15 عامًا (48.8٪; الشكل 8). كان من بين البالغين 20 ذكرًا (45.4٪)، 13 أنثى (29.5٪) و11 غير معروف (25٪; الجدول 2).

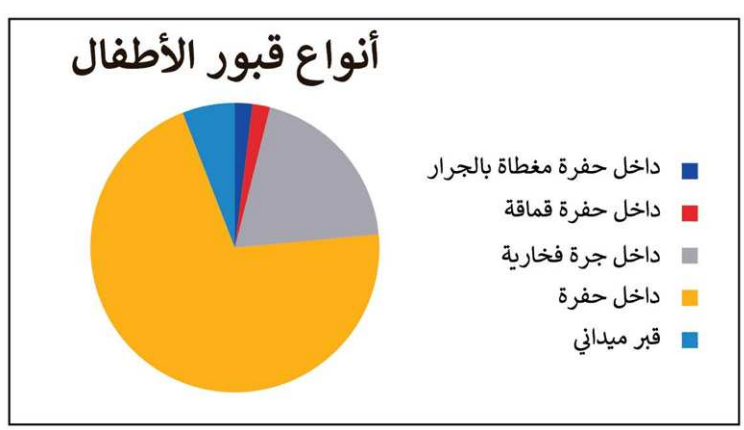

الشكل 7. جدول يوضح نوع قبور الأطفال في مقبرة جنداس.

الجدول 2. الجنس والعمر موتى مقبرة جنداس

	الذكور		الإناث	
الفئة العمرية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
19–15	2	8	0	0
29–20	5	25	4.3	33
39–30	8	42	5.9	45
50–40	2	8	1.4	11
50+	3	17	1.4	11
مجموع الأفراد	20	100	13	100

بالافتراض الثابت، متوسط سنوات العمر المتوقعة للسكان عند الولادة 21.5 سنة. كان متوسط عمر البالغين عند الوفاة 36.4 سنة. كان متوسط عمر الذكور والإناث عند الوفاة 35 سنة. كانت نسبة الذكور من السكان ⅓ ونسبة الإناث ⅔. وهذا يعني أنه مقابل كل أنثى بالغة، كان هناك ثلاثة ذكور بالغين. تم تحليل نمط الوفيات للسكان في مختلف الفئات العمرية من خلال المقارنة مع مقبرة سكان حي ماميلا في القدس من الفترتين المملوكية والعثمانية المبكرة، كما هو موضح في الشكل 8.

معدل الوفيات بين سكان جنداس بالمقارنة مع سكان حي ماميلا في القدس خلال الفترة المملوكية: لوحظت الاختلافات الديموغرافية القديمة بين سكان جنداس وماميلا في الأعمار ما بين 20 إلى 30 عامًا (الشكل 8). تبين أن نسبة معدل الوفيات في ماميلا أعلى من جنداس (24.4٪ بماميلا مقابل 11.3٪ بجنداس)؛ ومعدل السكان الذين عاشوا ما بعد سن الخمسين أعلى في ماميلا من جنداس (10.7٪ مقابل 5.6٪).

يتوافق معدل وفيات الأطفال في كلتا المجموعتين السكانية وذلك وفق المكتشفات الأثرية والوثائق التاريخية الأخرى. في كلتا المجموعتين نلاحظ أن معدل الوفيات بين الرضع والأطفال عالية، وينخفض معدل الوفيات حتى سن 15 عامًا. وبالتالي، فإن معدل الوفيات بين الرضع والأطفال، الذين تتراوح أعمارهم بين 0–5 سنوات في جنداس، مرتفع بشكل خاص (44٪)، مقارنة بماميلا (23.5٪; الشكل 8).

ملخص ومناقشة

ممارسات الدفن

إن الطريقة التي تم بها دفن الموتى في المقابر، الرأس في الجهة الغربية والوجه متجه إلى الجنوب أو في بعض الأحيان تم وضع المتوفي على جانبه الأيمن، توضح أن هذه مقبرة إسلامية. إحدى السمات البارزة للمقابر الإسلامية التي تم توثيقها، والتي غالبًا ما تساعد عالم الآثار على تحديد تاريخ المقابر، هو تخطيط وشكل القبور

الشكل 8. قبور مسقوفة بألواح حجرية وقبر مغطى بالجرار الفخارية.

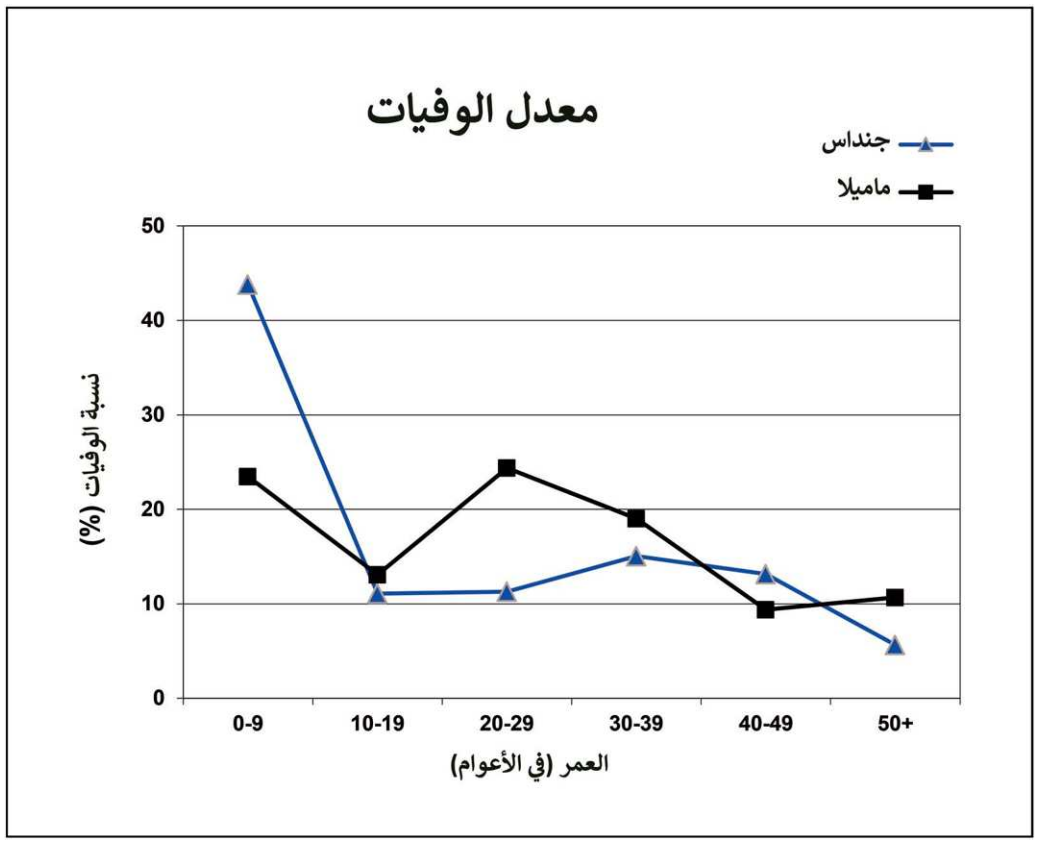

الشكل 9. جدول يوضح معدل الوفيات في جنداس وماميلا.

- وضع المتوفى في القبر على محور شرق-غرب والرأس في الطرف الغربي والوجه الى الجنوب باتجاه مكة، كما عثر في القبور أثناء التنقيبات الأثرية. أحيانًا يكون المتوفى مستلقيًا على ظهره والوجه فقط يتجه جنوبًا، وأحيانًا يكون على جانبه، الساقان، الصدر والوجه باتجاه الجنوب (الشكل 9).

توصل عالم الأثار الدكتور أمير كورزلزني أنه على الرغم من أن التقاليد الإسلامية في دفن الموتى ووجههم باتجاه مكة بدا راسخًا، إلا أن المراقبة البسيطة للمقابر أظهرت أنه لم يتم توجيه جميع القبور في نفس الاتجاه. وجدت اختلافات بسيطة في محاور القبور: كان الاتجاه ثابتًا تقريبًا، معظمها 650 و900 شرقًا من اتجاه الشمال، مع استثناءات قليلة جدًا. تم العثور على نفس نطاق الاتجاهات في مقبرة جنداس. نظرًا لأن توجيه وبناء القبور تم وفقًا للاتجاه عند السلمين وتوجيه الوجه نحو مكة، فإن مواقع شروق الشمس وغروبها في الشتاء والصيف مختلفة، وهذا يمكن أن يفسر سبب الاتجاهات المختلفة في بعض القبور. ومع ذلك، تم تحليل أكثر من 700 قبرًا من المقبرة الإسلامية في ماميلا، ولم توجد أي علاقة بين انحراف القبور ومواضع الشمس المتغيرة عند الشروق والغروب في المواسم المختلفة.

تحظى القبور من النوع E (أنظر الجدول 1) بأهمية خاصة، وهي عبارة عن حفرة ضحلة مستطيلة الشكل، محفورة في تربة الجرف ومحاطة بصف واحد من حجارة الجير أو بحجارة كلسية. الميزة الأكثر بروزًا لهذا النوع من القبور أنه، بدلاً من ألواح الحجرية التي تغطي سقف القبر كالمعتاد، تم تغطيته بعدد من جرار الفخار الكبيرة والكاملة. تم العثور على هذا النوع من القبور في مقبرة چالية (بالقرب من يُبنا/يڤني). وعثر على قبر من هذا

النوع في مقبرة جنداس، بنيت الجرار فوق صف الحجارة المحيطة بالقبر، حيث تم توجيه شفة أو قاعدة الجرار بالتناوب إلى الشمال والجنوب، بحيث تغطي بشكل كامل سقف القبر (الشكل 10).

هدايا الدفن: تحتوي بعض القبور، من الفترة الإسلامية المتأخرة، على موجودات متنقلة، وتم العثور على بعضها خلال التنقيبات الأثرية، على الرغم من أن الإسلام حرم وضع أواني في القبور. تم العثور على موجودات صغيرة فقط في قبور النساء. تم العثور على هدايا دفن في عدد من مقابر الفترة الإسلامية المتأخرة مثل: مقبرة تل زرور، مقبرة زرنوقة ومقبرة الشيخ بتل أبيب. وشملت هدايا الدفن على مجوهرات مثل أساور برونزية، زجاجية وقلائد من القزاز، الخرز، الحجر وقلائد من عملات تستخدم كخرز توضع حول العنق أو الرأس بالإضافة إلى قرط وخواتم. كانت خرزات القلائد بألوان مختلفة، يمثل كل لون جانبًا مختلفًا من حماية المتوفى.

ديموغرافية سكان جنداس

كانت أنماط الوفيات بين سكان جنداس، كما لوحظ في مجموعات تاريخية أخرى، وشملت أطفالًا، كبارًا وبالغين من كلا الجنسين. كما أنها مثلت منحنى تاريخي "عادي" للوفيات: نسب منخفضة من الوفيات بين الشباب البالغين (15–19 سنة)، وزيادة معدلات الوفيات في الفئة العمرية المتوسطة من 20–40 سنة، وانخفاض معدلات كبار السن الباقين على قيد الحياة بين الفئة العمرية الكبيرة 50 سنة أو أكثر.

والمثير للدهشة أن أيًا من الإناث، التي تتراوح أعمارهن بين 15 و19 عامًا مُتنَ، على الرغم من أن هذه الأعمار كانت تقع في نطاق خصوبة الإناث (15–40 سنة) في القدم. في النطاق العمري للخصوبة، يكون خطر الموت على

الشكل 10. قبرين، هيكل مستلقيًا على ظهره والوجه يتجه جنوبًا، وقبر على جانبه باتجاه الجنوب.

النساء أعلى من الرجال، لأن المخاطر أثناء الحمل والولادة مرتفعة. تم طرح العلاقة بين وفيات الإناث والولادات من قبل، مما يدل على أن بقاء الإناث أحياء خلال سنوات الإنجاب ينخفض بسبب المضاعفات والفشل المتعلقة بالولادة والحمل. ومن ثم، فبعد سن العشرين وحتى سن الأربعين (المقابلة لأعمار الإنجاب)، تكون معدلات وفيات الإناث أعلى من معدلات وفيات الذكور. تحدث معظم وفيات الإناث بين سن 20–30 سنة، الجزء المهيمن في فترة الإنجاب. وبالتالي، فإن معدلات النساء اللاتي يبقين على قيد الحياة بعد سن الخمسين أقل من الذكور.

كانت أعلى نسبة وفاة بين سكان جنداس تتراوح بين الأعمار 30 و 39 عامًا، وهو ما يمكن أن يكون مرتبطًا بتدهور صحة الإنسان. يمكن أن يرتبط خطر الوفاة بين الذكور في سن مبكرة (15–30 سنة) بسبب العنف بين السكان، والحرب، أو الحوادث التي تهدد حياة السكان الريفيين، مثل حوادث عشوائية أو حوادث عمل مميتة (أي، العمل الميداني وقطع الأخشاب).

وفيات الأطفال: كانت الوفيات، إلى حد كبير، الأعلى بين الرضع وصغار الأطفال (0–5 سنوات)؛ أدى هذا إلى ارتفاع نسبة البالغين بعد سن الخامسة، وانخفض معدل الوفيات بشكل ثابت حتى سن 15 عامًا.

بافتراض أن التجمعات السكانية الثابتة، الرضع والأطفال في السنوات الأولى من الحياة (الذين تتراوح أعمارهم بين 0–5 سنوات) كانوا في خطر أكبر، ربما بسبب عوامل خارجية مرتبطة بتطور النظام المناعي والقدرة على الاستجابة للضغوط البيئية. معدل وفيات الأطفال العام وفق نموذج "فايس" للسكان القدامى: معدل وفيات مرتفع للرضع، يتناقص، ولكنه لا يزال مرتفعًا حتى سن خمس سنوات، ومن هذا العمر فصاعدًا، يتناقص تدريجيًا، ويصل إلى الحد الأدنى في الفئة العمرية (10–15 سنه). بعد سن الخامسة، تنخفض معدلات الوفيات بشكل ثابت حتى سن 15 عامًا، لأن الأطفال حتى هذا العمر يكونون أكثر عرضة للإصابة بأمراض الأطفال، ولكن يوجد عندهم نظام مناعي ثابت ومقاوم بشكل متزايد.

وتجدر الإشارة إلى أنه تم العثور على أعلى معدلات الوفيات بين الرضع والأطفال الصغار الذين تتراوح أعمارهم بين 0–5 سنوات بين سكان جنداس، وربما يُعزى ذلك جزئيًا إلى ظروف الحفظ: دُفن العديد من الصغار داخل الجرار. أدى هذا إلى تحسين الحفاظ على العظام، وبالتالي هذا يؤدي الى زيادة معدلات الوفيات لهذه الفئة العمرية بين السكان، مقارنة بمثيلاتها من المجموعات الأخرى، بما في ذلك سكان ماميلا.

تفسير النتائج السكانية لجنداس وماميلا في أواخر الفترة المملوكية وأوائل الفترة العثمانية

أما الاختلافات الديموغرافية الرئيسية بين سكان جنداس وماميلا بين البالغين: فكان معدل الوفاة في ماميلا بين الفئات العمرية من 20 إلى 30 عامًا عالية، وكذلك معدل السكان الأحياء بعد سن 50 عامًا عالية، مقارنة بسكان جنداس. كان العمر المتوقع عند سن 10 سنوات ومتوسط أعمار البالغين متشابهًا في كلتا المجموعتين؛ كانت هذه المعايير أقل تأثرًا بغياب الرضع والأطفال دون سن الخامسة. على الرغم من أن هؤلاء السكان (جنداس وماميلا) لديهم طرق مختلفة في الحياة (ماميلا حضرية مقابل الريفية في جنداس)، كان لديهم نفس متوسط العمر المتوقع ومتوسط أعمار البالغين عند الوفاة. وبالتالي، أثرت أنماط الحياة المختلفة بين هؤلاء السكان على معدلات بقائهم على قيد الحياة بعد سن الخمسين، حيث كان سكان ماميلا جزءًا من سكان المناطق الحضرية في القدس، وكانت مجموعة جنداس عبارة عن سكان قرويين - زراعيين - مما قد يشير إلى أن الأشخاص الذين يسكنون في البيئات الحضرية يعيشون لفترة أطول. قد يكون هذا مرتبطًا بظروف النظافة الصحية أو جودة المواد الغذائية التي تدخل المدينة من مناطق جغرافية مختلفة؛ وبالتالي، فإن سكان الحضر يعانون أقل من نقص الغذاء خلال سنوات غير وفيرة.

الاستنتاجات

هُجرت قرية جنداس في نهاية القرن التاسع عشر. يبدو أن الغلايين التي تم العثور عليها بين القبور وقرميد مرسيليا في بعض مربعات التنقيب تشير إلى أن بعض الأنشطة حدثت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ربما يجب تأريخ القبور البسيطة الموجودة أعلى المقبرة إلى هذه الفترة المتأخرة.

كانت القبور البسيطة المسقوفة بألواح حجرية، شائعة جدًّا خلال جميع الفترات الإسلامية، وتم العثور عليها في العديد من المقابر، بما في ذلك جنداس. إن السمة المميزة التي تشترك فيها المقابر هي تغطية أو سقف القبور بأواني فخارية كاملة. احتوت معظم القبور على فرد واحد، ولكن تم العثور على قبور لشخصين أو أكثر. تم دفن معظم الأطفال/الرضع داخل جرار فخارية.

كان حفظ العظام في القبور جيدًا في كثير من الأحيان، مع وجود بعض الهياكل العظمية في حالات حفظ سيئة. تم جمع العظام المدروسة في الموقع مع بعض العناصر الأنثروبولوجية والأثرية. اشتملت عينة قبور سكان جنداس على 90 فردًا و44 بالغًا و46 طفلًا دون سن 15 عامًا. وكان من بين البالغين 20 ذكرًا و13 أنثى و11 من جنس غير معروف. المثير للاهتمام بشكل خاص هو النسب العالية للرضع والأطفال، ما يقرب من 50٪ من مجموع قبور السكان المدروسين من المقبرة.

في جميع أنحاء الشرق الأدنى الإسلامي المتأخر، هناك اقتراحات قوية بأن الخرافات المحلية والمعتقدات الشعبية والدين الأرثوذكسي لعبت جميعها دورًا مهمًا في طقوس الموت والدفن. يبدو أن العديد من الهدايا أو السلع الجنائزية قد تم اختيارها لخصائصها المتصورة ذات الطابع الوراثي بدلاً من قيمتها المادية، كانت عبارة عن فاَت فضية صغيرة مثقوبة تم العثور عليها جنبًا إلى جنب مع قطع مجوهرات، بما في ذلك الأقراط المزينة بالخرز والزجاج والأساور البرونزية. يبدو أن هذا دليل لا لبس فيه على استخدامها الثانوي كمجوهرات وليس، على سبيل المثال، كحجاب واقي أو لأمور طقسية. أحد القبور، الأقدم، ربما يرجع تاريخه إلى القرن الرابع عشر؛ ومع ذلك، فإن القبور الخمسة المتبقية تعود جميعها إلى الفترة العثمانية المبكرة.

تُظهر الموجودات من مقبرة جنداس بعض التشابه مع الموجودات التي تم العثور عليها في المقبرة في يبنا، لكن الاختلاف في الجرار الفخارية يشير إلى أن مقبرة قرية جنداس تعود إلى أواخر الفترة المملوكية وأوائل الفترة العثمانية.

تم تأريخ مقبرة جنداس، على أساس العملات والأواني الفخارية التي تعود إلى الفترة المملوكية والفترة العثمانية المبكرة (منتصف القرن الثالث عشر - أوائل القرن السادس عشر). مقبرة جنداس، مثل المقابر الأخرى، مؤرخة لنهاية الفترة المملوكية/بداية الفترة العثمانية. يؤدي الكشف عن المقبرة إلى توسيع معرفتنا بالمقابر من هذه الفترات، وأنواع القبور النموذجية وعادات الدفن.

من المثير للاهتمام أن نلاحظ أنه في بعض الأماكن على سطح الأرض، تم العثور على أدوات صوانية تعود إلى العصر الحجري النحاسي وأوائل العصر البرونزي وإلى العصر البرونزي الأوسط المتأخر، والتي كانت على الأرجح تابعة الى مواقع في المحيط القريب.

اللد: الحياة اليومية في أواخر الفترة العثمانية على ضوء نتائج التنقيبات الأثرية في البلدة القديمة

أريولا يكوئيل، سلطة الآثار، دكتور توفيق دعادلة، الجامعة العبرية في القدس، عمري دانتزيچر وشاحار كريسبين، سلطة الآثار
ترجمة الدكتور حمودي خلايلة، سلطة الآثار

المقدمة

تضم مدينة اللد القديمة عدة أحياء سكنية: الحي الشرقي أو الحارة الشرقية، وهي بالفعل المدينة العثمانية التي توسعت إلى الغرب، الحارة الغربي، التي تسارع توسعها من بداية فترة الانتداب البريطاني، ووصل القمة بعد زلزال يوليو عام 1927، حيث وصلت في تلك الفترة إلى الحارة الجنوبية.

في السنوات الأخيرة، تم إجراء عدد من التنقيبات الأثرية في الحارة الشرقية (حي رمات اشكول اليوم)، وخان الحلو والمنطقة المحيطة به، والتي تشكل في الواقع نواة البلدة القديمة. نتائج هذه التنقيبات، سلطت الضوء على الحياة اليومية التي كانت في أواخر الفترة العثمانية وفترة الانتداب البريطاني. سوف نعرض في هذه المقالة الموجودات والمكتشفات المعمارية المهمة من هذه التنقيبات بترتيب زمني من القديم إلى الحديث. كذلك قمنا بتسمية الأقسام المختلفة وفقًا للمباني الرئيسية التي كانت قريبة منها عندما كانت المدينة القديمة قائمة. وهكذا نبدأ من خان الحلو، ونستمر حول ضريح الشيخ محمد الجسر ومن هناك إلى حي شيخ النبي شمعون (ساحة السوق اليوم)، وننهي بالعودة إلى حي الخان وحمام الوقف الموجود جنوبه. تشكل البقايا المعمارية والمكتشفات داخل المباني والمنازل المختلفة أساسًا مثمرًا لفهم الجوانب المختلفة لمنزل نموذجي في اللد خلال الفترة العثمانية (القرنان الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي).

التنقيبات الأثرية في منطقة البلدة القديمة

أجريت أربعة تنقيبات أثرية في السنوات الأخيرة في خان الحلو ومحيطه، والتي كانت تشكل مركز المدينة خلال الفترة العثمانية (الشكل 1).

خان الحلو، منذ عام 2007 جرت عدة مواسم تنقيب في مجمع خان الحلو، برئاسة الدكتور توفيق دعادلة والدكتور يوڤال چادوت، برعاية مدرسة نيلسون چليك للآثار التوراتية، كلية الاتحاد العبرية (الشكل 1: 1).

في البداية تركزت التنقيبات في فناء الخان، بدافع الحرص على سلامة المشاركين، حيث تمت هذه التنقيبات بمشاركة الجمهور، وخصوصًا مشاركة تلاميذ المدينة للتعرف على ماضي مدينتهم (الشكل 2). وقد كشفت التنقيبات في الفناء عن مبنى الخان الحالي الذي يعود إلى الفترة العثمانية، وتحته وبعمق حوالي متر تقريبًا تم الكشف عن بقايا مبانٍ من الفترة المملوكية.

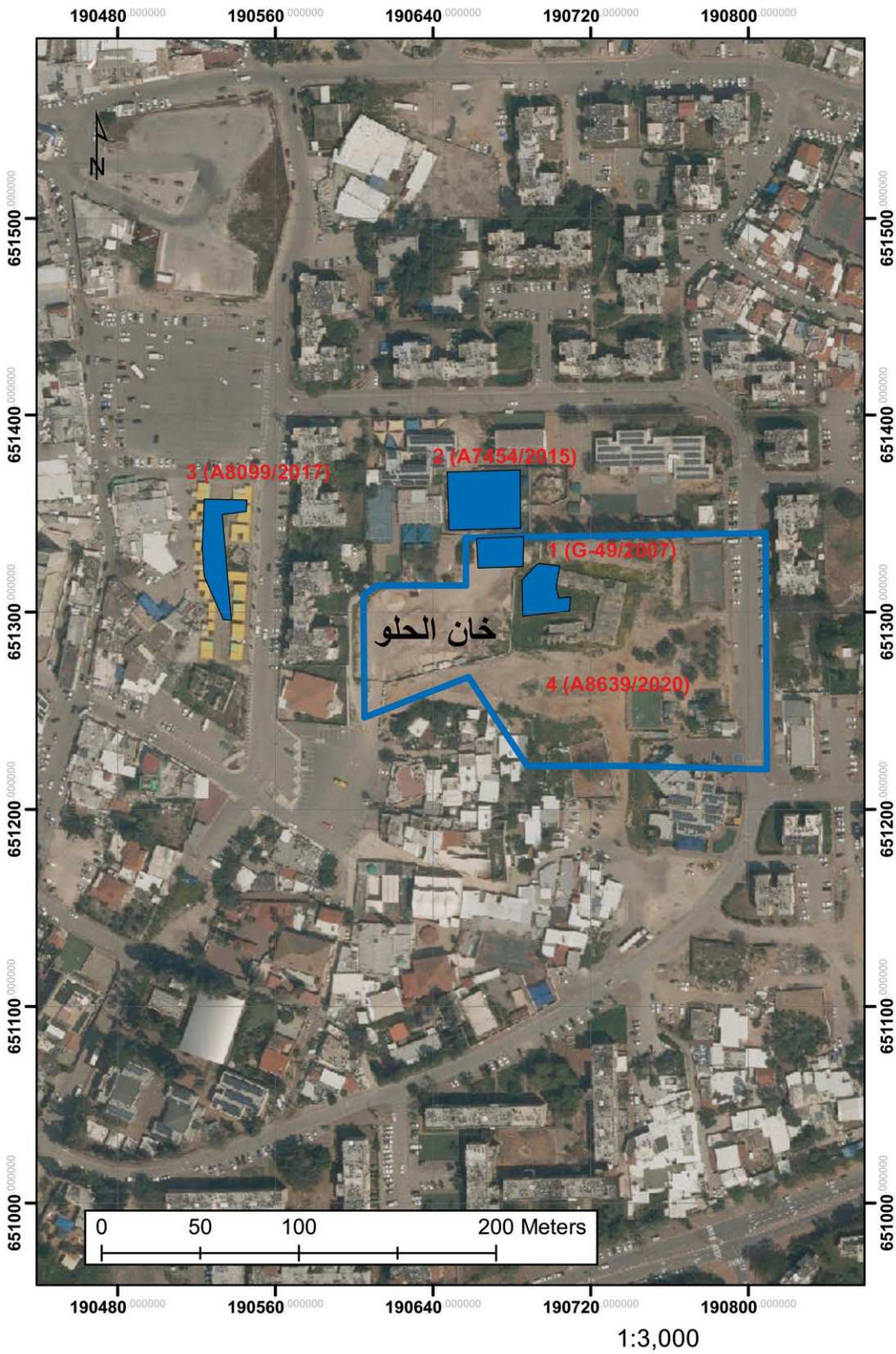

الشكل 1. خريطة أماكن التنقيبات الأثرية بالقرب من خان الحلو (إعداد: أنجلينا داغوت، سلطة الآثار).

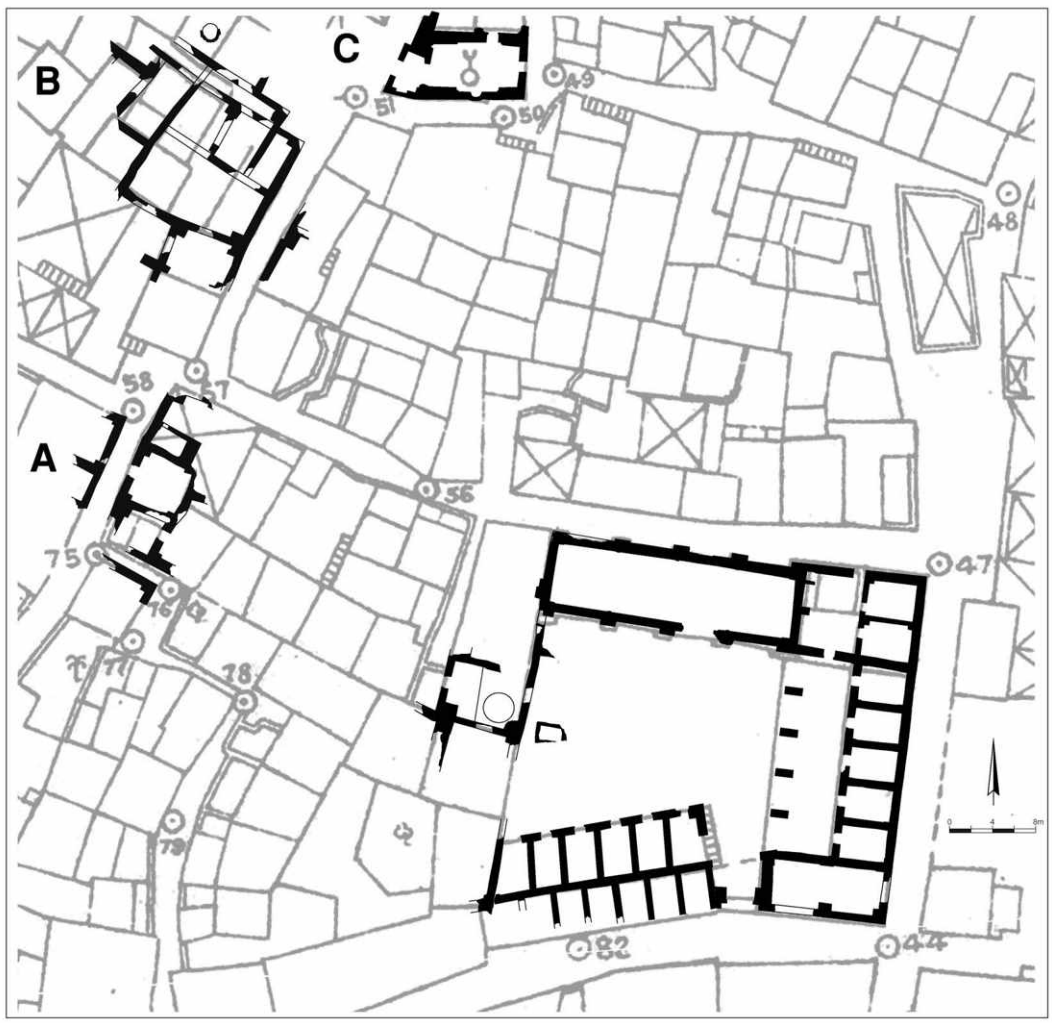

الشكل 2. التنقيبات الأثرية في خان الحلو ومحيطه منذ عام 2007.

بعد فهم الطبقات الأثرية في فناء الخان، توسعت التنقيبات ووصلت إلى جناح الخان الغربي، الذي دُمِّر خلال سنوات الخمسينيات من القرن الماضي، وهناك تم الكشف عن صفّ من الغرف المبنية على محور شمال جنوب، ولم تكشف عتبات مداخلها المواجهة إلى فناء الخان. أدى ذلك إلى استنتاج أولي بأن هذه الغرف المكتشفة لا تنتمي إلى هذا الجناح، بل إنها جزء من مباني المدينة. ولكن هذا الاستنتاج ليس نهائيًا، لأن الكشف عنها كان جزئيًا وليس كاملًا.

تم الكشف عن ثلاث غرف على الأقل، بُنيت فوق أنقاض مبان ومنشآت من الفترة المملوكية. لهذه الغرف جدار مشترك في الجهة الغربية، أقيم، على ما يبدو، خلال الفترة البيزنطية، وأعيد استخدامه خلال الفترات المملوكية والعثمانية.

تشير أرضيات الغرف المصنوعة من الجص على آخر فترة استخدمها، وعلى ما يبدو كانت في سنوات الخمسينيات من القرن الماضي، حيث انهارت ولم يتم تجديدها. كما وتشير طبقات الأرضيات المتعددة أن هذه الغرف تم بناؤها قديمًا، خلال القرن السابع عشر واستمر استخدامها حوالي قرنين من الزمن.

تم الكشف تحت أرضيات الغرف الغربية عن بقايا مصبنة، وفرن تم فيه طهي الصابون (الشكل 3). كان الفرن دائري الشكل، جدرانه مبنية من الحجارة المصقولة، ويشبه بتخطيطه وطرازه الفرن الدائري في مصبنة عائلة حسونة، الذي بقي في الاستعمال حتى بداية القرن العشرين، وكذلك فرن مصبنة عائلة الفار. أصبح واضحًا من خلال نتائج التنقيب الأثري في الطبقة المملوكية، والجناح الجنوبي، وفناء الخان بأن مخطط خان الحلو المعاصر من الفترة العثمانية، وأن الطبقة المعمارية المملوكية المدفونة تحته تضم مبانٍ خاصة.

الشكل 3. المصبنة بجانب الخان وفرن طهي الصابون.

تم العثور في تنقيب آخر، يبعد قرابة 20 مترًا عن خان الحلو، عن بقايا صفّ لثلاث غرف في الجهة الشرقية، وغرفتين في الجهة الغربية، ويفصل بينهما شارع مرصوف بالجص (الشكل 2: A). للغرف الغربية أرضيات مستوية مختلفة: مستويات أرضيات الغرفتين الشماليتين تحت مستوى الشارع، أما أرضية الغرفة الجنوبية فهي في مستوى الشارع ولها عتبة مدمجة. جدير بالذكر أن هناك فرقًا كبيرًا وملحوظًا بين جودة بناء الغرف وتخطيطها. يبدو أن الغرفتين الشماليتين كانتا في الماضي غرفة واحدة، وقسمت لاحقاً إلى غرفتين، وفي المقابل، تم بناء الغرفة الجنوبية مربعة الشكل، ولها ركب (أعمدة مربعة) في زواياها الأربعة، وأساسها متين اندمج مع البلاط الغرفة المزخرف. تشير هذه الركب التي حملت سقفًا مبنيًا من عقد مصلّب. تم رصف أرضية الغرفة مرة أخرى قبل عام 1952، وحدد هذا التاريخ بسبب اكتشاف عملة إسرائيلية تحت البلاط، مما يعزز الأدلة على استمرار استخدام منازل المدينة القديمة حتى بعد عام 1948.

كما ذكرنا، مرَّ بين هذه المباني شارع مرصوف بطبقة من الجص الممزوج بقطع فخار (الشكل 4). وأشارت التنقيبات الأخيرة بأن الشارع خضع لعدة إصلاحات وصيانة تم فيها رفع مستوى أرضيته وبناء أنابيب معدنية بمحاذاته، وتبيّن من اتجاه الأنابيب احتمال وجود شارع أو زقاق آخر في الجهة الغربية.

حي الشيخ محمد الجسر: تم التنقيب عام 2015 في مقطع آخر من شارع، يبعد حوالي 40 مترًا شمال غرب الخان (الشكل 2: B). كان التنقيب بإدارة أريولا ييكويل، من سلطة الآثار، وكشفت فيه عن مجمع مباني يقع في محيط الزاوية الصوفية الخلوتية، وما زالت قائمة حتى اليوم. يقع في حي الشيخ محمد الجسر ضريح الشيخ محمد الجسر (الشكل 2: C)، وفيه قبر الولي محمد الصارم، وعلى اسمه سميت الزاوية بزاوية الصارم التي دفن فيها الشيخ محمد الجسر. تقع منطقة التنقيب غربي الشارع (الشكل 1: 2). هناك تم الكشف عن بقايا بنايتين

الشكل 4. بقايا الشارع الذي تم الكشف عنه خلال أعمال التنقيب عام 2007.

(الشكل 5). المبنى الأول، على محور شمال شرق- جنوب غرب، ويشتمل على فناء مركزي وحوله عشر غرف، ثماني غرف في الطرف الشمال الغربي، وغرفتان في الطرف الجنوبي. أما المبنى الآخر فلم يتم التنقيب عنه. أرضية الفناء المركزي مرصوفة بالجص الوردي، أسست فوق طبقة مرصوفة بحجارة الحقل الصغيرة، وبينها ملاط. كذلك أرضيات بعض الغرف مرصوفة بالجص الوردي، وبعضها مصنوع من الإسمنت، وعثر في طبقة

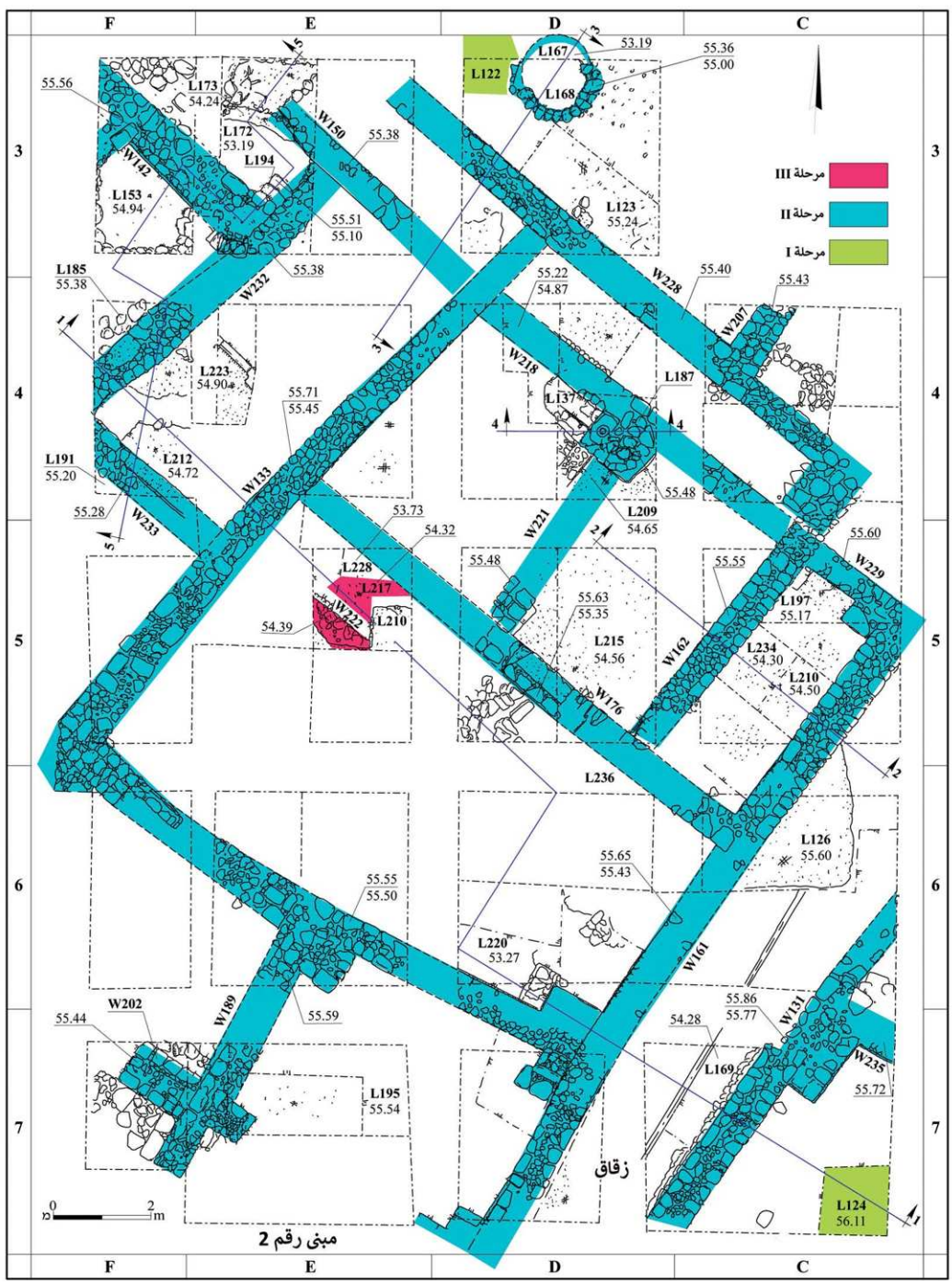

الشكل 5. مخطط بقايا البنايتين غربي الشارع المكتشفة في التنقيب عام 2015.

الإسمنت على بقايا بلاط حديث (سيراميك)، مما يدل على انها كانت مرصوفة بالسراميك الملون. ويشهد عدد طبقات أرضيات الغرف التي رصفت الواحدة فوق الأخرى، على استخدام المبنى لفترة طويلة من الزمن.

تم اكتشاف نظام تصريف مياه الأمطار من سطح إحدى الغرف الواقعة شمال شرق الفناء (الأشكال 6، 7)، بواسطة أنبوب طيني يصل إلى بئر جوفي، حفر في الجزء الشمالي من المبنى، وربما كان خارجه. تم اكتشاف

الشكل 6. شبكة تصريف مياه الأمطار من سطح إحدى الغرف (تصوير: أساف بيرتس، سلطة الأثار).

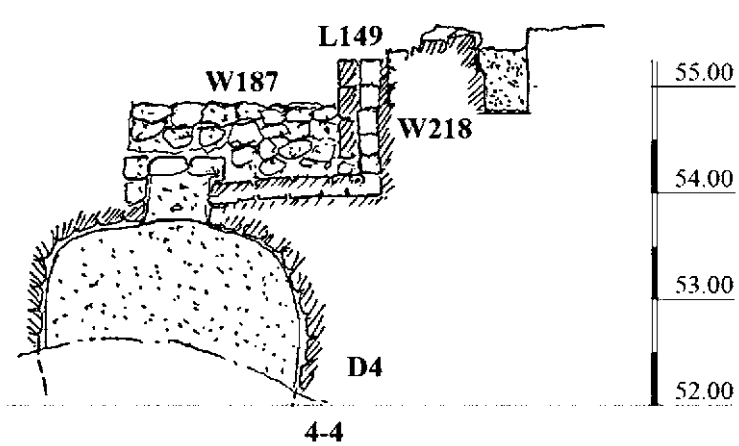

الشكل 7. قاطع لشبكة تصريف مياه الأمطار.

حفرة جوفية مبطّنة بحجارة كلسية متوسطة الحجم (الشكل 8)، يحتمل بأنها استخدمت كخزان للصرف الصحي، وأغلقت بعد ذلك بالتراب الذي احتوى على شقف أواني فخارية، أواني زجاجية، عملات معدنية وعظام حيوانات يعود تاريخها إلى أواخر الفترة العثمانية.

حي النبي شمعون: قام الأثري عمري دانتسيچر من سلطة الآثار، عام 2017 بإجراء تنقيبات إنقاذ على بعد 180 مترًا غرب خان الحلو (أنظر الشكل 1: 2)، وبجوار ضريح النبي شمعون الذي كان سابقًا مسجدًا، وشرقه ضريح تعلوه قبة. تم الكشف خلال هذه التنقيبات عن خمسة مبانٍ (رقم 1 حتى رقم 5)، وجزء من زقاق مرصوف يعود تاريخه إلى أواخر الفترة العثمانية وبداية فترة الانتداب البريطاني (الشكل 9).

المبنى رقم 1، مبني على محور شمال-شرق جنوب-غرب، حفظ من جدرانه مدماك واحد فقط. يدل هذا المدماك أن جدران المبنى كانت مبنية من الحجارة المصقولة من الجهة الخارجة من طراز البناء اليابس، أي دون مادة لاصقة بين المداميك، ومن الجهة الداخلية حجارة الحقل التي غطيت بطبقة من الجص. بجانب المبنى حفرة تصريف المياه العادمة، مبطنة بحجارة الحقل الصغيرة.

أما المبنى رقم 2، فقد أقيم على محور شمال-شرق جنوب-غرب، وبالرغم من الكشف الجزئي له، فقد تبيّن أن جدرانه حفظت لارتفاع ثلاثة مداميك، وبناؤه كان مشابهًا للمبنى الأول بإضافة إلى رُكبه في زاويته الجنوبية الشرقية كأساس لعقد مصلّب.

الشكل 8. حفرة جوفية مبطّنة بحجارة كلسية (تصوير: أساف بيرتس، سلطة الآثار).

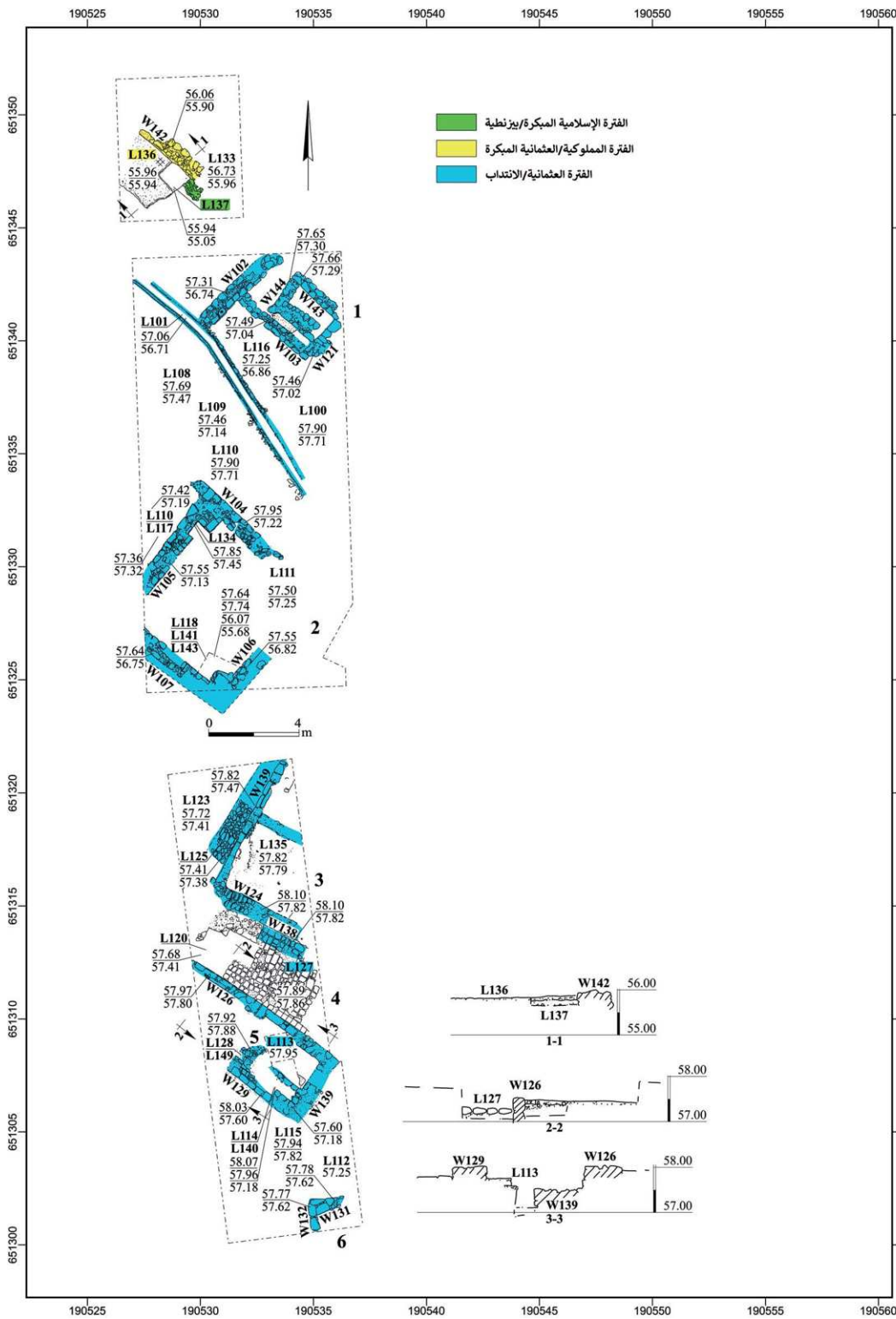

الشكل 9. مخطط البقايا المكتشفة خلال أعمال التنقيب عام 2017.

المبنى رقم 3 أيضًا موجود على محور شمال شرق - جنوب غرب ويحيطه جداران. كان الجدار الأول الذي حفظ لارتفاع مدماكين، مبنيًا من صفّين من الحجارة المصقولة وبينهما حجارة حقل وتراب. أرضية المبنى كانت مصنوعة من الجص أما الأرضية خارج المبنى فكانت مرصوفة بالحصى. للمبنى بقايا لجدار إضافي من الخارج، ومن المحتمل أنه بُني لدعم الجدار الداخلي وصيانته.

تم بناء المبنى رقم 4 أيضًا على محور شمال شرق - جنوب غرب. وقد شُيّدت جدران هذا المبنى من الحجارة المصقولة. بجانب جداره الجنوبي عثر على أرضية مبلطة بالبلاط الأسود والأبيض. أما المبنى رقم 5 فحفظ بشكل جزئي فقط، وتم تشييده على غرار المباني المذكورة أعلاه. والساحة الممتدة بين المبنى 3 والمبنى 5 كانت مرصوفة بألواح حجرية مصقولة بإتقان.

تعود معظم الأواني الفخارية التي اكتشفت خلال أعمال التنقيب إلى الفترة العثمانية، وحُفظ في بعض المباني بلاط من تلك التي كانت بالاستخدام خلال فترة الانتداب، مما يشير إلى استمرارية استخدام بعض المباني العثمانية في فترة الانتداب. هذا ونشير إلى اكتشاف حجر رحى تحت بقايا مبنى رقم 5 (الشكل 10)، هو دليل على بقايا لمعصرة زيتون قديمة في هذه المنطقة.

شمال الخان ومحيط حمام الوقف: في عام 2020 أجرى الأثري شاحار كريسبين من سلطة الآثار، تنقيبات إنقاذ شمال خان الحلو، وبمحيط حمام الوقفي، وفُتحت خلالها خمس مناطق حفر (A – E; الشكل 11)، ووثقت بها أربع طبقات أثرية من الفترات البيزنطية، المملوكية، العثمانية والانتداب البريطاني.

تقع منطقة التنقيب على بعد حوالي 17 مترًا شمال الجناح الشمالي لخان الحلو. تم بها الكشف عن بقايا ست وحدات معمارية يعود تاريخها إلى نهاية الفترة العثمانية (الشكل 12). وتضمنت هذه الوحدات بقايا مبان سكنية مرصوفة بأرضيات من الجص، تحيطها أسرة منخفضة وبعض المباني حوت غرف مستودعات تحت الأرض.

أما منطقتا التنقيب ب و ج فتقعان حوالي مترين جنوب الجناح الجنوبي لخان الحلو، هناك حفرت بقايا لست وحدات معمارية حوت مبانٍ من أواخر الفترة العثمانية والانتداب، وفي بعض النقاط حفظت تحتها طبقات ردم من الفترة المملوكية.

الشكل 10. حجر رحى اكتُشِف في تنقيب عام 2017 (تصوير: يسرائل كورنفلد، سلطة الآثار).

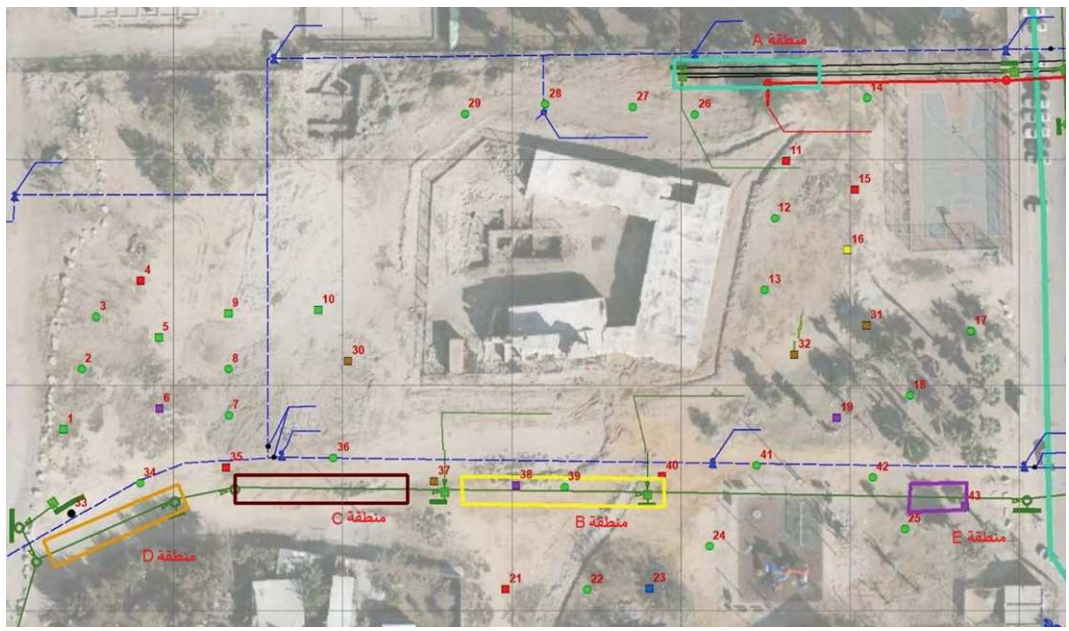

الشكل 11. خريطة أماكن التنقيبات الأثرية عام 2020.

الشكل 12. أنقاض مبنى عثماني في منطقة A (تصوير: أساف بيرتس، سلطة الآثار).

كشفت في الطرف الشرقي للمنطقة (مقابل مدخل الخان) ساحة مرصوفة بألواح حجرية (الشكل 13) تمتد على مساحة 5.75 م2، ولكنها كانت أوسع من ذلك، حيث إنها امتدت إلى الشمال وجنوب المنطقة المحفورة. يتواجد في وسطها بئر مليء بحجارة الحقول وبعض المكتشفات الحديثة، ربما حفر مؤخرًا.

الشكل 13. ساحة مرصوفة بألواح حجرية في المنطقة B (تصوير: أساف بيرتس، سلطة الأثار).

تم العثور في الطرف الغربي للمنطقة، على مبنى له أرضية عميقة، وكشفت بها أواني كاملة تعود إلى أواخر الفترة العثمانية. وأكتشف في الجزء الشمالي قسم من حائط قاطع متاخم بأرضية من الجص، ألصقت بها ما لا يقل عن خمس قواعد للأواني الفخارية حفظ بعضها مادة لونها أخضر (الشكل 14).

تقع المنطقة ج على بعد حوالي 30 م جنوب غرب خان الحلو. وأهم المكتشفات كانت بقايا من مجمع حمامات عثماني (الشكل 15). لقد أقيم في أواخر الفترة المملوكية أو ببداية الفترة العثمانية حمام على أطلال مبنى بيزنطي بني بحجارة مدقوقة. وقد أضيف إليه عدة مداميك مبنية من حجارة بناء مدقوقة، لكن حجمها كان أصغر، وبُطّنت من الداخل بطبقة من الملاط الأحمر. خصص الجزء الشمالي من الحمام لأغراض تشغيلية، لهذا لم يكن المدخل الرئيسي بهذا الاتجاه. بمحاذاته تم الكشف عن منشأتين (3.7 × 10 م) ذات حائط قوسي وآخر مستقيم. ربما كانت هذه المنشآت برك بخار لتزويد البخار الساخن إلى الغرف الدافئة في الجنوب.

تم الكشف عن جهاز آخر يقع بين البركتين، يحتمل بأنه فرن مبني من خليتين دائريتين. الخلية الشمالية أكبر حجمًا مبنية من الحجارة المدقوقة متوسطة الحجم وملاط، وعلى بعضها آثار للحرق. وفي الجدار الشمالي للخلية مدخل قبو تحت الأرض (الشكل 16) سيتم وصفه لاحقًا. الخلية الجنوبية أصغر حجمًا وشكلها مستدير. يتألف الجزء العلوي من مدماك ضيق ومائل إلى الداخل، ويحتمل بأنه المدماك الأسفل لقبة علت هذه الغرفة أو كمدخنة. هنالك قناة واسعة ربطت بين الخليتين.

إلى الشمال من المرافق التي تم تحديدها على أنها برك تبخير وأفران كشف قبو باطني. كان له مدخل من الغرب مر خلال بهو فيه عدد من الحجارة المدرجة أدت إلى الردهة، منها مدخل واسع إلى القبو. كانت أرضية القبو مكونة عن التراب والرماد المتماسك، وكان بالإمكان الوصول منه إلى الخلايا المستديرة والأفران، ومن المحتمل أن يكون القبو قد استخدام لتخزين مواد احتراق لإشعال الأفران. تم العثور في القبو على العديد من المكتشفات الثقافية التي تعود إلى أواخر الفترتين العثمانية والانتداب، مما تشير هذه المكتشفات إلى فترة انتهاء استخدام الحمام، وهي خلال فترة الانتداب البريطاني.

الشكل 14. قواعد جرار في موقعهم في المنطقة B (تصوير: أساف بيرتس، سلطة الأثار).

الشكل 15. بقايا الحمام في المنطقة C (تصوير: أساف بيرتس، سلطة الأثار).

الشكل 16. قبو في الحمام (تصوير: أساف بيرتس، سلطة الأثار).

الشكل 17. بقايا معمارية في منطقة الحفريات D (تصوير: أساف بيرتس، سلطة الأثار).

وقد كشف إلى الجنوب من برك التبخير عن وحدة معمارية تحتوي على غرفتين تشكلان غرف الحمام الدافئة. كانت الغرفة الشرقية الدافئة ضيقة نسبيًا (متران)، ومرصوفة ببلاط من الرخام، بعضها نهب قديمًا. كانت جدران الغرفة مبطنة بالجص الناعم مزين بخطوط عريضة من الطلاء الأحمر الممزوج بالكلس. ويلاحظ عليها بقع من جص لونه مختلف يحتمل بأنه نتيجة الترميمات المتعددة لها. وتواجد بجوار الجدار الشمالي للغرفة بقايا لحوض رخامي بيضوي الشكل، يشبه الحوض الموجود في الغرفة الغربية، والذي سيتم وصفه لاحقًا. تم الكشف تحت أرضية بلاط الرخام عن قناة لأنبوب من الفخار كان يستخدم على ما يبدو، لنقل الهواء الساخن. إتجاه القناة من الشمال إلى الجنوب، ويبدو أنه عند الطرف الجنوبي تبيّن بأن القناة توجهت إلى الغرب باتجاه الغرف الدافئة. كانت القناة مغطاة بألواح حجرية رصفت جيدًّا. ووجدت الغرفة مليئة بانهيارات الحمام الذي كان يحتوي على العديد من الأنابيب الفخارية، هذا يشير إلى أن سقفها كان مبني من الأنابيب الفخارية.

إلى الغرب، تم الكشف عن الطرف الشمالي للغرفة الدافئة الغربية. حجم هذه الغرفة يشابه حجم الغرفة الشرقية الدافئة، غرفة ضيقة نسبيًا (متران) ومرصوفة بالرخام وجدرانها مغطاة بالجص المزين بالطلاء. هنالك حوض من الرخام ثُبّت في كوة بالجدار الجنوبي للغرفة. كان تدفق المياه إلى الحوض من خلال صنبور أو أنبوب منهوب ويوجد في قاع الحوض فتحة تصريف.

تقع المنطقة هـ (الشكل 18) على بعد حوالي 32 م شرق منطقة ب كُشف في الطرف الجنوبي للمنطقة، عن الزاوية الجنوبية الشرقية لمبنى يعود تاريخه إلى الفترة العثمانية المتأخرة، وعن بقايا لجدران وقاعدة لقوس مبني من الحجارة الميدانية والإسمنت غطيت بطبقة سميكة من الجص الناعم. أبرزت أعمال التنقيب في المبنى والانهيارات داخله، اكتشافات تعود إلى الفترات البيزنطية، الإسلامية القديمة، المملوكية، العثمانية ونخص منها عددًا كبيرًا من الأنابيب الفخارية (الشكلين 19–20).

الشكل 18. بقايا معمارية في منطقة الحفريات E (تصوير: أساف بيرتس، سلطة الآثار).

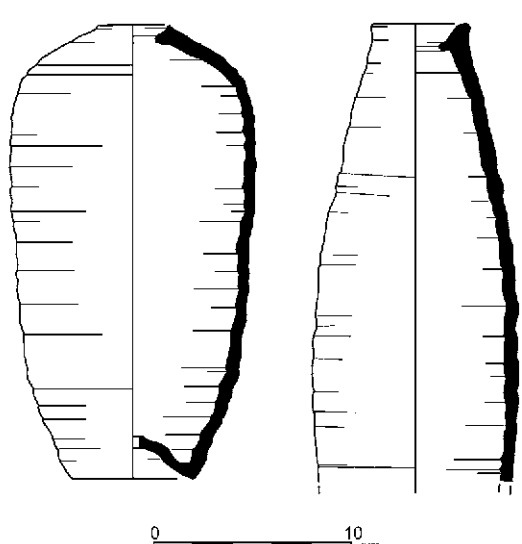

الشكل 19. أنابيب فخارية عثر عليها في اللد.

الشكل 20. مزيج من الأنابيب الفخارية في سطح مبنى قائم في اللد (تصوير: أريولا يكوئيل، سلطة الآثار).

التخطيط المعماري للمنازل

تمثل المباني المكتشفة في التنقيبات الأثرية تخطيطًا معماريًا لمدينة عربية نموذجية للفترة العثمانية المتأخرة في البلاد. كان الفناء في هذه البيوت هو الوحدة المركزية بنيت الغرف حوله. واستمر هذه التخطيط المعماري للمنازل في الاستخدام خلال القرن التاسع عشر الميلادي، عبارة عن بناء الغرف حول فناء مركزي. وكانت المنازل عادة مكونة من طابقين أو ثلاثة طوابق، تسكنها عائلة واحدة موسعة، أو عدة عائلات سكنت بالإيجار. كانت الشقق في مستوى الفناء مظلمة، بدون نوافذ، لأسباب تتعلق بالأمن والخصوصية، كان معظمها كان يستخدم كمستودعات أو متاجر. قادت من الفناء إلى الطابق العلوي سلالم خارجية، هناك تقع "العلّية" وهي غرفة رب الأسرة أو المالك عادةً كانت أكبر وأوسع غرفة في هذا الطابق. نفذ العديد من الفعاليات اليومية على الأسطح، مثل الأعمال المنزلية وإعداد الطعام والنوم في الليالي الحارة.

طرق البناء

كانت أرضيات الغرف مبنية من الجص، الذي كان ينتج عادة بالقرب من المبنى. لكن التغييرات السياسية والاقتصادية، التي حدثت في الامبراطورية العثمانية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، سمحت بإدخال صناعات ومواد بناء جديدة. مثال على ذلك أدخال البلاط. كانت بعض الغرف مبلطة ببلاط خرسيني ملون ومزين بأنماط

هندسية وزهرية. الألوان السائدة هي الأخضر والأصفر والأسود والأحمر (الشكل 21). عثر على الكثير من شظايا هذا النوع من الأرضيات في تراكمات وفي جوانب الهياكل المحفورة، وأحيانًا في موقعها، كما هو الحال في هيكل تم الكشف عنه في التنقيبات التي أجريت عام 2017 (الشكل 22). بدأ إنتاج البلاط الملون في البلاد في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وانتشر استخدامه بسرعة إلى المدن المختلفة. بالإضافة إلى هذه الأنواع من الأرضيات، بدأ أيضًا استخدام الأرضيات الإسمنتية. على سبيل المثال، كشفت أرضية غرفة من مبنى تم اكتشافه في التنقيبات عام 2015 (المبنى رقم 1)، كانت مرصوفة بالإسمنت ويبدو أن رصفها كان في مرحلة لاحقة.

كان الاكتشاف الشائع الذي اكتشف في تراكمات المباني هو شظايا زجاج النوافذ. لقد أحضرت في منتصف القرن التاسع عشر الألواح الزجاجية إلى البلاد من ألمانيا وبريطانيا، وبدأ استخدام النوافذ الزجاجية تدريجيًا في المنازل، خاصة عند الأثرياء أولًا.

مبنى الأُسرَة

جاءت المعلومات حول تركيب العائلة والأسرة في أواخر الفترة العثمانية من المصادر التاريخية، الصور واللوحات، الدراسات الإثنوغرافية والاكتشافات الأثرية. عادة، كانت النساء والأطفال يقومون بالأعمال المنزلية، بينما شارك الرجال في الأعمال الميدانية أو التجارة أو أي عمل آخر يتعلق بإعالة الأسرة. وقد وصف الرحالة، الذين زاروا البلاد خلال تلك السنين الحرف اليدوية ومحتويات المنزل الداخلية. وقد وصفت الآنسة ماري إليزا روجرز، على

الشكل 21. ببلاط خرسيني ملون ومزين بأنماط هندسية (تصوير: كلارا عميت، سلطة الأثار).

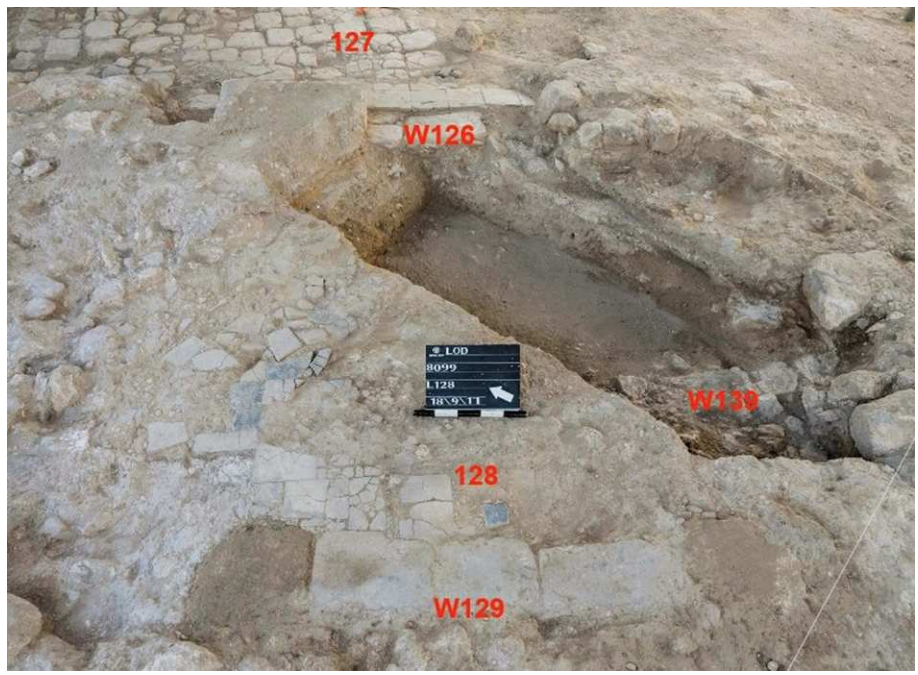

الشكل 22. بلاط في مكانه في مبنى تم الكشف عنه في التنقيبات التي أجريت عام 2017 (تصوير: أساف بيرتس، سلطة الآثار).

سبيل المثال، التي زارت البلاد بين 1855–1859، محتويات غرفة في مدينة بيت لحم: "على رفّ عالي في زاوية الغرفة مرتبة أواني كثيرة منها أواني طبخ الطعام، شرب المياه، جرار، فوانيس وألواح معدنية".

تعتبر المكتشفات الثقافية مثل الخزف والأواني الزجاجية والأواني الحجرية والمعدنية المكتشفة في التنقيبات الأثرية وسيلة مهمة لفهم الأسرة وأقتصاد المنزل. دراسة المكتشفات الثقافية لا تنعكس حول الأسرة التي عاشت في اللد فقط وإنما حول الاقتصاد والتجارة والعلاقات الخارجية والجوانب الثقافية المختلفة في تلك الأيام.

الخزفيات المكتشفة في التنقيبات هي في الأساس ذات طبيعة منزلية. كما تم العثور على أدوات المائدة وأواني **"السرفيس"** من بينها أواني وأطباق خزفية وأباريق للشرب وفناجين قهوة. كما تم العثور على أواني الطبخ مثل القدور والمقالي وأوعية التخزين ذات الجرار بأحجام مختلفة (شكل 23). إلى جانب الأواني المحلية المصنوعة من الطين البني أو الرمادي (أواني تدعى أواني غزة السوداء)، عُثر على كمية كبيرة من أوانٍ مستوردة من دول مختلفة مثل اليونان وتركيا. كما عثر على كمية كبيرة من الأواني الخزفية، وعلى أجزاء من أواني تدخين التبغ: الغليون والشيشة (الشكل 24). بدأ استخدام الأواني الخزفية في البلاد في بداية الفترة الإسلامية، وانتشر بشكل واسع في القرن التاسع عشر الميلادي. كانت معظم الواردات إلى البلاد، في أواخر الفترة العثمانية، من مراكز إنتاج في إنجلترا وفرنسا كما أشارت التنقيبات في اللد على نسبة عالية من الأواني الخزفية المستوردة من هذه الدول. أصبحت الأواني مثل الأطباق وأكواب القهوة شائعة جدًّا، أولًا في المنازل الثرية في المدن، وبشكل تدريجي في كل منزل، حتى في القرى النائية.

تمثل الكميات الكبيرة من الأواني المستوردة الموجودة في التنقيبات بشكل جيد روح الفترة العثمانية المتأخرة، وهي الفترة التي تطورت فيها التجارة بشكل كبير، بسبب تطور وسائل النقل وتطور التقنيات الجديدة التي جاءت بعد الثورة الصناعية.

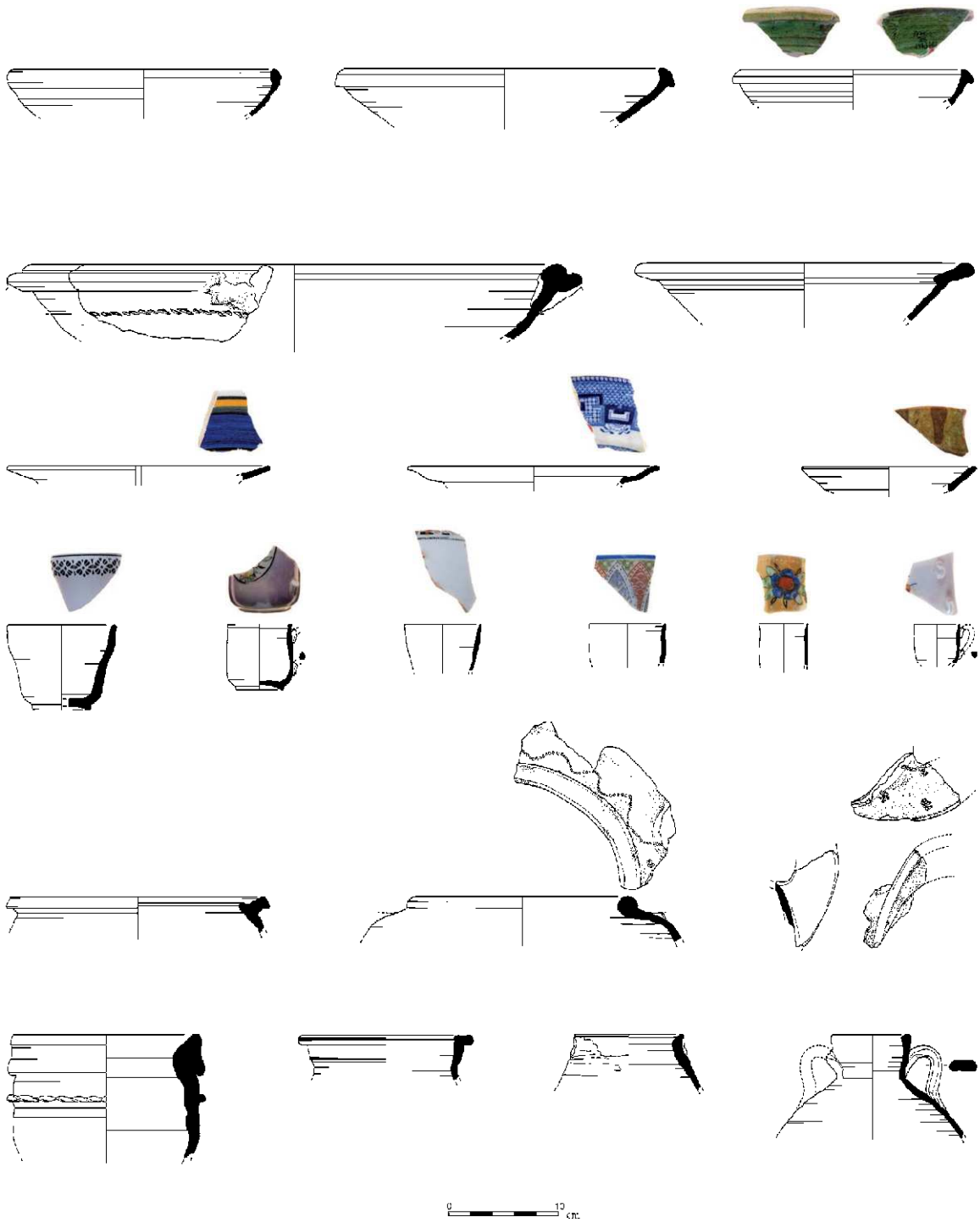

الشكل 23. أواني من أواخر الفترة العثمانية عثر عليها في اللد (تصوير: كلارا عميت، سلطة الأثار).

الشكل 24. رؤوس غلايين وشيشة من أواخر الفترة العثمانية تم العثور عليها في اللد (تصوير: كلارا عميت، سلطة الآثار).

كما انعكس هذا التغيير، الذي حدث في المنازل في القرن التاسع عشر، على المكتشفات الزجاجية والمعدنية. فقد عثرت في التنقيبات الأثرية على قطع زجاجية مختلفة منها زجاجات مشروبات غازية، بعضها كان يستخدم لشرب الصودا. خلال هذا الوقت، تم إنشاء العديد من مصانع المشروبات الغازية والمشروبات التي شاعت سلعها في جميع أنحاء البلاد. فقد عثر في معظم التنقيبات على أواني طبخ وأواني طعام، استخدمت إلى جانب أواني الفخار التقليدية.

تم العثور في التنقيبات على عدد قليل من الأواني الحجرية، معظمها قمم وشظايا لأوعية حجرية. استخدمت هذه الأدوات لطحن الحبوب والتوابل والأطعمة المختلفة. يبدو أنه مع ظهور التقنيات الجديدة في أواخر الفترة العثمانية، تضاءلت طرق معالجة الأغذية التقليدية واستبدلت ي بمنتجات من الصناعات الحديثة.

الاقتصاد والتغذية

تلعب عظام الحيوانات، التي تم جمعها في التنقيبات الأثرية، دورًا مهمًّا في دراسة ورسم العادات الغذائية لسكان تلك الفترة. عثر في تنقيبات المباني المختلفة على عظام الأغنام، الماشية، الدجاج والأسماك. بناءًا على كمية وطرق استغلال العظام، يبدو أن الماشية قد ذبحت واستهلكت في الموقع نفسه. أشارت قياسات عظام الماشية والأغنام في الموقع إلى أنها تمثّل حيوانات ناضجة، كذلك حيوانات العمل مثل الأبقار، وأخرى لمنتجات ثانوية مثل الصوف والحليب. ويدعم انعدام عظام الخيول والحمير في مجمع العظام التفسير الأثري بأن هذه مباني كانت سكنية خلفت بقايا الطعام.

لم تكن اللحوم خلال هذه الفترة جزءًا من الوجبات اليومية. ووصفت ماري روجرز في مذكراتها وجبة إفطارعربية بأنها معتمدة على الخبز ومنتجات الألبان، أما الطبق الرئيسي فتكوّن من طبق واسع من الأرز الساخن ترفقه قطع لحم مقلية. وتابعت روجرز ووصف الأطعمة المتنوعة: عادة ما تكون خضروات ومختلف البقوليات ومنتجات الألبان وهي المركب الأساسي في قائمة الطعام اليومية، لكن مخلفاتها نادرة في السجلات الآثرية.

الاقتصاد

لم نعكس اقتصاد سكان الأبنية التي تم اكتشافها بالقرب من خان الحلو في المخلفات والمكتشفات الأثرية. ولكننا نستنتج بأن سكان اللد اعتاشوا من عدة مجالات، برزت منها التجارة والزراعة والتخصص في صناعة الصابون والزيوت.

كانت الزراعة أحد الفروع الرئيسية للاقتصاد وانعكست هذه باكتشاف أدوات زراعية مختلفة مثل المعاول والمناشير وشظايا السكاكين والمحاريث التقليدية (الشكل 25). أظهرت الخرائط التاريخية، من القرن التاسع عشر الميلادي، بساتين الفواكه وبساتين زيتون كانت منتشرة في الجزء الغربي من مدينة اللد. كما تم توثيق الأعمال

الشكل 25. أدوات عمل زراعية تم العثور عليها في اللد (تصوير: كلارا عميت، سلطة الأثار).

الزراعية في صور تظهر القنوات المستخدمة لري البساتين. وجعلت حقول الزيتون العديدة حول المدينة من صناعة زيت الزيتون والصابون إحدى المرافق الاقتصادية لسكان اللد.

أدت زراعة أشجار الزيتون وإنتاج منتجات مختلفة منها إلى توفير فرص العمل ومصدر رزق للعديد من العائلات. واقيمت في اللد خلال أواخر الفترة العثمانية العديد من معاصر الزيت، بما في ذلك معصرة الزيت الخاصة لعائلة حسونة، والتي لا تزال قائمة حتى اليوم، حيث ينتج فيها زيت الزيتون (أنظر أدناه) وزيت السمسم. وتظهر المنشأة المجاورة لخان الحلو من الغرب مرافق لصناعة زيت الزيتون، وخاصة إنتاج الصابون من الفترة المملوكية وما بعدها.

كانت صناعة الصابون من زيت الزيتون الصناعة الرئيسية الثانية في اقتصاد المدينة. أصبحت صناعة الصابون شائعة جدًا خلال الفترة العثمانية، وتم بيع الصابون الذي أُنتج في ورش مختلفة للصابون في الأسواق المحلية، وصُدِّر أيضًا لجميع أنحاء الامبراطورية العثمانية. وكانت في اللد عشر مصابن على الأقل عملت وأنتجت نوعين من الصابون: صابون زيت الزيتون وصابون زيت السمسم. أما اليوم فقد تبقى منها في اللد مصنعان لعائلتي حسونة والفار (الشكل 26)، كلاهما مهجور.

الشكل 26. الجزء الداخلي من مطحنة الزيت التابعة لعائلة حسون (تصوير: أريولا يكوئيل، سلطة الأثار).

عُرض العديد من منتجات وبضائع الحرف المذكورة أعلاه في سوق حضري أقيم بالقرب من خان الحلو. استمر الخان الذي أُسّس في وقت مبكر من الفترة المملوكية بالعمل خلال الفترة العثمانية أيضًا، حيث تحول إلى معلم مركزي في المظهر العمراني لمدينة اللد ومصدر في نظامها الاقتصادي. في أواخر الفترة العثمانية، فُتح سوق بشكل منتظم ولمدة يومين أسبوعيًا. في اليوم الأول عُرضت فيه المنتجات الزراعية والسلع الاستهلاكية، وفي اليوم الثاني خُصِّص للمتاجرة بالحيوانات.

الثقافة الترفيهية

تعتبر الغلايين، الأراجيل وفناجين القهوة العثمانية من بين أكثر الاكتشافات شيوعًا في المواقع، وأصبحت أدوات إرشادية لهذه الفترة. كذلك الأمر في معظم التنقيبات في اللد، الغلايين، رؤوس الأراجيل وفناجين القهوة هي الشائعة في الطبقات التي يعود تاريخها إلى القرن التاسع عشر الميلادي (الأشكال 23–24).

بدأت ممارسة تدخين التبغ لأول مرة في الامبراطورية العثمانية في القرن السابع عشر الميلادي، وأصبحت على مر السنين شائعة للغاية. تم تدخين التبغ في الغلايين، والتي دُعيت أيضًا "الشبوك"، ويتكون الغليون من ثلاثة أجزاء: وعاء مصنوع من الفخار لحرق التبغ، وقصب مصنوع من الخشب المجوف أو القصب، وفم مصنوع من العظام أو من حجر مالس. كان التبغ يزرع في البلاد ويُستورد أيضًا من الدول المجاورة مثل مصر وتركيا وبلاد فارس. فقد شوهد رجال ونساء يدخنون الغلايين والأراجيل في اللوحات والصور من تلك الفترة. وقد وردت أوصاف هذه العادة في أدب الحجاج والعلماء الذين زاروا البلاد، ووثّقوا حياة السكان المحليين. تحدثت روجرز عن تدخين الأرجيلة بعد كل وجبة وكتب "**شيبوكي**" إنها أنابيب مجهزة بأوعية طينية حمراء، وأنابيب طويلة مصنوعة من الكرز أو الياسمين، قدمت أولًا ثلاث أراجيل إلى السيدات الأكبر سِنًا، وبعد ذلك تداولتهن السيدات الأصغر سنًا بتمريرها إلى بعضهن البعض. وتُواصل روجرز الحديث عن نقل الغلايين والأراجيل بين مختلف الأشخاص الذين كانوا في الغرفة، ولاحظت حتى أن الخادمات اشتركن في التدخين.

بدأت ممارسة تدخين الأرجيلة في منطقتنا في القرن السابع عشر الميلادي. وأصل اسم الأرجيلة من الكلمة الهندوسية "**نريانرخيلة**" التي تعني "**جوز الهند**" وعنت الأدوات التي تستخدم في استهلاك جوز الهند. وتتركب النرجيلة (التي يطلق عليها أيضًا اسم "**الشيشة**" أو "**الهوكا**") من أربع قطع:

1. قارورة زجاجية تُملأ بالماء لتنقية الدخان.
2. أرجيلة ذات أنبوبين، أحدهما لإدخال الدخان في ماء القارورة والآخر لإخراجه.
3. أنبوب طويل ومرن متصل بالفوّهة في كتف الأرجيلة.
4. رأس الأرجيلة من الفخار أو قطعة معدنية رقيقة، يوضع فيه التبغ (المعَسّل).

أما عادة احتساء القهوة فقد نشأت بدايةً في إثيوبيا واليمن خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادي، وخاصة عند الأثرياء منهم. وشاعت بعد ذلك شمالًا إلى جميع مراكز المدن والقرى الإسلامية، ودخلت أوروبا في نهاية القرن السابع عشر الميلادي، وتحولت القهوة من مشروب أرستقراطي إلى مشروب شعبي. جلبت عادة احتساء القهوة معها مجموعة متنوعة من الأدوات لتحضيرها، مثل أدوات التحميص، الطحن، الطبخ والتقديم.

الحمام الذي تم اكتشافه في التنقيبات عام 2020 هو دليل آخر واضح على ثقافة الترفيه في مدينة اللد في أواخر الفترة المملوكية ومصدر الحمام كان من الحمامات الرومانية. وقد تبني الإسلام الحمام وقاموا باجراء تعديلات عليه كي يتلاءم وفروض الطهارة في الإسلام، التي تتطلب النظافة والاستحمام للتطهير قبل الصلاة. فالحمامات أصبحت فيما بعد، أحد المؤسسات النموذجية للمدينة الإسلامية، وخاصةً في جميع المدن العثمانية. عادة ما يتم

بناء مباني الحمام في مراكز المدن القريبة من المساجد والأسواق والخانات، على غرار الحمام الذي تم اكتشافه في اللد. كان الحمام بالإضافة إلى وظيفته المتمثلة في التطهير والنقاء مكانًا اجتماعيًا للاجتماعات الترفيهية التي تضمنت أحيانًا تقديم الطعام والمشروبات، وكان مؤسسة مرتبطة إرتباطًا وثيقًا بمناسبات مختلفة مثل حفلات الزفاف والولادات أو الجنازات. وقد بدأ الاستجمام به بالإقامة في غرفة العرق الدافئة، واستمر بالاستحمام بالماء والصابون وانتهى بالاسترخاء في غرفة باردة.

كانت عادات الترفيه وثقافة استغلال أوقات الفراغ، الموصوفة أعلاه، غير مقصورة على جنس أو فئة معينة بل كانت للجنسين؛ النساء والرجال، الأغنياء والفقراء. قام سكان اللد، على غرار المدن الأخرى في جميع أنحاء الامبراطورية العثمانية، بتدخين التبغ وشرب القهوة وزيارة الحمامات.

ملخص

وفّرت التنقيبات الأثرية، التي أجريت في السنوات الأخيرة بالقرب من خان الحلو، حي رمات اشكول حاليًا، فرصة رائعة لفهم الجوانب المختلفة والحياة اليومية لبيت عادي في مدينة اللد خلال أواخر الفترة العثمانية (القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد). إستعرضت هذه المقالة جوانب مختلفة مثل الهندسة المعمارية، طرق البناء، الأسرة، الغذاء، الاقتصاد، الثقافة والترفيه.

تمثل المباني المكتشفة في التنقيبات هندسة معمارية نموذجية لمباني بلدية عربية من أواخر الفترة العثمانية في البلاد، حيث كان الفناء هو المكوِّن الأساسي للمبنى بنُيت حوله الغرف. شُيّدت سطوح المباني على العقود المصلبة، وأحيانًا بنيت في الوسط قبة. كان البناء من الحجر الجيري المتوسط والكبير واستُخدمت الأنابيب الفخارية لبناء الجدران، ولكن استخدامها الأساسي كان لبناء قباب للمنازل وأسقفة السلالم. لقد تم ادخال طرق بناء ومواد بناء جديدة إلى جانب البناء التقليدي للمنازل، مثل استخدام البلاط، السيراميك الملون، المزخرف بأنماط هندسية ونباتية وكذلك بناء نوافذ زجاجية.

تمثل الاكتشافات التي تم اكتشافها في الهياكل المختلفة، روح الفترة التي تطورت فيها التجارة بشكل كبير، لقد وجدت كميات كبيرة من الأدوات المستوردة، إلى جانب الأدوات التقليدية المحلية. ويبدو أنه مع ظهور التقنيات الجديدة في أواخر الفترة العثمانية، تضاءلت طرق معالجة الغذاء التقليدية واستبدلت بمنتجات صناعية، وأُدخلت أنواع جديدة من الأطعمة والمشروبات، مثل المشروبات الغازية في قائمة غذاء سكان المدينة.

كانت أسس الغذاء في تلك الفترة معتمدة، بشكل أساسي على الخضار والفواكه والبقوليات المختلفة ومنتجات الألبان وقليل من اللحوم لكن بقايا عظام الأغنام والماشية والدواجن والأسماك التي اكتشفت في التنقيبات الاثرية في مدينة اللد، غيّرت هذا المفهوم وأضافت لقائمة الغذاء استغلال مصادر متنوعة للغذاء اليومي.

أعتمد اقتصاد مدينة اللد في الفترة العثمانية على تنوع الحِرَف التي مارسها سكان المدينة، جنبًا إلى جنب مع التجارة والزراعة والتخصص في إنتاج الزيوت وصناعة الصابون. هذه الفروع مكّنت سكان المدينة من ممارسة حياة ثقافية ترفيهية متنوعة انعكست بعضها في الاكتشافات الأثرية بمدينة اللد خلال الفترة العثمانية، والتي تضمنت تدخين التبغ وشرب القهوة وزيارة الحمامات العمومية.

صناعة صابون الزيت في الفترة العثمانية: الوسائل، المواقع والابتكارات

دكتور يوآب أربل، سلطة الآثار

مقدمة

ورد ذكر الصابون المصنوع من البوتاسيوم وزيت الزيتون لأول مرة عام 985 ميلادي. بعض المصادر الإسلامية اللاحقة أبرزت تصدير الصابون إلى مصر، ووجهات إسلامية أخرى من تركيا حتى اليمن. سبب شعبية صابون الزيت يكمن في كونه الزيت النباتي الطاهر من الناحية الدينية، على نقيض الصابون الأوروبي الذي يحتوي على دهن الخنزير من ضمن مكوناته. أصبح صابون زيت الزيتون في ظل الحكم المملوكي والعثماني أحد المنتجات الصناعية الأكثر شعبية في الأراضي المقدسة، حيث بيع في الأسواق المحلية والأجنبية معًا. تركزت صناعة الصابون في البلاد في نابلس والقدس، إلا أن المعامل نشطت في الرملة، اللد، يافا، عكا، غزه والخليل.

البيانات النصّية والأثرية تلقي الضوء على معامل الصابون القديمة خاصة في القدس، بينما المعامل التي نشطت في فترة الانتداب البريطاني بقيت مهجورة في اللد، عكا ويافا. كانت الأجهزة الصناعية متشابهة: أحواض من الطين لخلط مواد السكب، مرجل لغلي الزيت، مخازن للجفت الذي استعمل كمادة لإشعال النار ومخازن تحت الأرض لتخزين زيت الزيتون.

تطورت صناعة الصابون في الفترة العثمانية وفترة الانتداب. لكنها تضررت جدًّا في النصف الأول من القرن العشرين في أعقاب التأثر المشترك للتحديث الصناعي، والظواهر الطبيعية والصراعات العنيفة. المصنعان الباقيان في نابلس، لا زالا يحافظان على الذكرى والوسائل لهذه الصناعة، التي حققت نجاحا في الماضي.

النظافة وصابون زيت الزيتون في فلسطين العثمانية

تنعكس المكانة المهمة لصناعة الصابون في اقتصاد فلسطين في الفترتين المملوكية والعثمانية في الوثائق التاريخية والإدارية من تلك الأيام، من تقارير المسافرين والشهادات الشفوية التي توارثتها الأجيال. كما أن لمصانع الصابون التقليدية (مصبنة) أدلة مادية. يمكن رؤية بقايا بعضها في أماكن مختلفة من البلاد، وتعرف المؤرخون على البعض الآخر في فضاءات المباني القديمة أو نقّب عنها الأثريون. وتأتي الأدلة الملموسة من المعامل القائمة، التي تواصل تقاليد مئات السنين ولا تزال منتوجاتهم تعرض للشراء حتى اليوم.

قد يكون ازدهار صناعة الصابون على مدى قرون مفاجئًا، في ظل كثرة الشكاوى الصارخة في كتابات النقاد والباحثين الأجانب حول سوء حالة النظافة في مدن فلسطين العثمانية وبين سكانها. يصف تشارلز ويلسون منطقة برج داوود في القدس بأنها مليئة "بالقذارة من كل نوع يمكن" وأزقة قرية سيلوان بأنها "ملوثة للغاية، ضيقة جدًّا، غير مستوية وقذرة"، أما بالنسبة للمساكن "من حيث القذارة والكثافة، فإن كثيرًا منها ليس أفضل من مزارع الخنازير"، عن جهود القناصل الأجانب لإقناع حاكم حيفا بتنظيف شوارع المدينة، والتي "لم يكن بعضها أفضل بكثير من قنوات الصرف الصحي وفي حالة تعرّض الصحة للخطر". بينما أرماتا بياروتي، مهندس إيطالي في خدمة والي القدس في منتصف القرن التاسع عشر، فقد شرح مصدر إزعاج الذباب المقلق في فلسطين "أكوام القمامة،

القذارة في الشوارع، التسريب من حفر المياه العادمة وقنوات الصرف الصحي، الأوساخ داخل المنازل، ملابس السكان القذرة والطعام الذي يتناولونه". وصرّح بياروتي في كتاباته أنه فضّل لحم الخنزير، لأن هذا الطعام، المدنّس وفقًا لمعتقدات السكان المحليين، حرره من "رفقة الضيوف المتطلبين، القذرين وغير اللطفاء، الذين يستخدمون أصابعهم بدل الملاعق والسكاكين والشوك. لم يتحسن الوضع حتى في نهاية القرن التاسع عشر. وجاء في رسالة كتبها إلى والده من عام 1898، أن المربي اليهودي حاييم هراري يشكو من "الأولاد والأطفال الذين يتدحرجون في قذارتهم" كما شوهدوا في يافا، أكوام "من نفايات البهائم والناس" مستنقع أخضر وعفونة" بجوار مداخل البيوت، وطرقات متسخة "بقشور أكواز الذرة والخضروات التالفة والفاسدة" إضافة إلى فضلات الجزارين والإفرازات المختلفة.

في بعض الانتقادات والروح التي تم التعبير عنها، يبرز الاغتراب والمسافة الثقافية بين الأوروبيين وسكان بلاد الشام، وربما أيضًا تأثير قرون من التوترات السياسية والاقتصادية والدينية بين العالمين الإسلامي والمسيحي. كان العديد من هؤلاء المسافرين من أبناء الطبقة العليا والمتوسطة، ذوي مناصب مهنية محترمة ورتب ضباط عسكريين، الذين نشأوا وعملوا في بيئات لطيفة وصحّية مقارنة بالمناطق الأكثر فقرًا التي ميّزت المدن الأوروبية الرئيسية في القرن التاسع عشر. في ظل هذه الخلفية، ليس من المستغرب أن يختار النقاد بوعي، أو بغير وعي، التأكيد على الجوانب السلبية التي واجهوها. وفعلًا، إلى جانب الشكاوى من النظافة، تحكي كتاباتهم عن الكسل، الجشع، الغش، الفساد، اضطهاد المرأة، الذوق السيء، الخرافات والبناء المهمل، من بين الظواهر الأخرى غير المفرحة التي شهدوها.

ومع ذلك، لا يوجد سبب للشك في مصداقية الأوصاف العديدة للواقع الصحي القاتم الذي كان سائدًا في ذلك الوقت. عاش سكان البلاد في مناطق جافة وقاحلة، حيث كان الوصول إلى المياه النظيفة محدودًا. بالإضافة إلى أنماط الحياة الشخصية، كانت البنية التحتية متداعية، والشوارع مهملة وملوثة، وانتشرت الأوبئة في المدن. كانت السلطات العثمانية على علم بالوضع، وقد قام بعض الولاة من حين لآخر بمحاولات لتحسينه. لم تؤدِّ هذه الجهود إلى تغيير كاف، في ظل الانتقادات القاسية التي استمرت حتى في أوائل القرن العشرين. ومع ذلك، فإن تلك الأرض، التي لم تسلم النظافة فيها من أوصاف النقاد والزوار الأجانب، فقد ازدهرت أيضًا بصناعة الصابون من زيت الزيتون، وهو منتج جوهره كله تنقية جسم الإنسان وملابسه وبيئته. تم بيع كميات كبيرة منه في أسواق البلاد وتم توجيه جزء كبير من إجمالي الإنتاج للتصدير. يعكس هذا التنافر، مثل غيره، الواقع المتنوع والمعقد لفلسطين في تلك الأيام.

تنبع الأهمية التي يوليها أبناء المنطقة العثمانيون والفلسطينيون للصابون من تنوع وظائفه في الحياة اليومية في المجال البيتي، استخدم الصابون لغسل الملابس وتكريم الضيوف، بينما في المجال العمومي، فإن الحمامات في العالم الكلاسيكي، كانت مصحوبةً بفرك الجلد بالرمل والأدوات الخشنة، وبطلائه بالزيت، وطهّر المستحمّون أجسادهم في الحمّام الإسلامي بالصابون أيضًا. وغسلت العرائس أجسادهنَّ بالصابون عشية زواجهنَّ، وتم غسل الأرضيات الحجرية للمنازل العامة ودور العبادة بالماء والصابون، كذلك قام الفرسان العثمانيون بتنظيف خيولهم بغسل أقدامهم بالماء والصابون وكانت هناك استخدامات أخرى أيضًا.

العديد من النقاد الأوروبيين، بمن فيهم أولئك الذين هاجموا بحدّة، في صفحات أخرى من كتاباتهم، الوضع الصحي السيء في البلاد، لم يتمكنوا من تجاهل صناعة الصابون، وقد ذكرها كثيرون ووصفوها. كان موقفهم تجاه المنتج نفسه متناقضًا. الضابط والباحث الإنجليزي تشارلز وارن الذي ترك الوصف الأكثر تفصيلًا لإنتاج الصابون في القدس، اشتكى من صابون القدس "المختلف تمامًا عن أي صابون صادفته في أوروبا: إنه قاس ويدوم لأيام طويلة. تسبب استخدامه لعدة أيام متتالية بتقشر جلد يدي". حظيت ميزة أخرى للصابون المحلي بتقديره: "يمكن قطع الصابون بسهولة ودقة شديدة، وهو مناسب بشكل خاصة لنماذج العمارة القديمة، لأن تراكم البلورات البيضاء حوله

يشبه تمامًا نتوءات الحزاز التي تغطي المباني القديمة في فلسطين. نحتت فيه عدة نماذج لأبنية مقدسة في لبنان، كانت موضع تقدير كبير. حاولت أن أنحت نماذج مماثلة بالصابون الإنجليزي، لكنني كنت أفشل دائمًا".

كانت محبة السكان المحليين والسكان الآخرين في الامبراطورية العثمانية حيال الصابون العادي أقل تحفظًا. يعتبر الصابون في نظر العديد من سكان البلاد منتجًا غالي القيمة، إن لم يكن في سعره، فبالتأكيد في جوهره. وبدلًا من المبلغ المالي الذي طلبه الشيخ البدوي لضمان سلامة الباحث السويسري يوهان لودفيج بوركهارت في رحلاته في سيناء، قدم له الأخير "حبوب قهوة معبأة في منديل جميل، وبعض المربعات من الصابون وقالبًا من السكر هدية لزوجاته". ماري أليزا روجرز، رحالة بريطانية في منتصف القرن التاسع عشر، تحكي عن محادثة مع مسلمة محلية، حيث أدرجت الصابون ضمن الهدايا الثمينة التي يقدمها الأثرياء للذين يبتغون احترامهم. أكدت لها المرأة، يهديها ذهب، حجارة ثمينة، صندوقًا أحمر مليئًا بالملابس والمناشف، وسائد حريرية، سرير خشبي أحمر، وكثيرًا من الصابون. وفي لقاء آخر لروجرز مع عائلة مسيحية، ورد ذكر الصابون إلى جانب منتجات الحرير والقطن، كما يليق بتقديمه مهرًا للعروس.

أخفقت مبادرة لتسويق الصابون الزيت المصنوع في فلسطين إلى أوروبا، رغم منظره الجميل وجودته العالية. يقولن الزبائن إنه كان لينًا جدًا وسلسًا وسريع الذوبان أكثر من مثيله الصابون المحلي الأوربي. لا نعلم اليوم كم كانت هذه المقارنة مبررة، ولكن الوفاء لمنتج محلي، مصنوع من مواد خام محلية، استند إلى سنوات عديدة من المعرفة والخبرة بصناعة متجذرة بعمق فلسطين.

خلفية تاريخية

إن مواد التنظيف، والتي تشمل رماد النباتات، والدهون الحيوانية، وأنواع البوتاس والماء، لها تاريخ طويل. توجد أوصاف لمثل هذه المواد، والتي لا تزال طبيعتها الدقيقة غير واضحة، وهي قائمة في المصادر البابلية، المصرية، اليونانية والرومانية. الحاخام شلومو يتسحاكي والحاخام ديڤيد بن يوسف قمحي، مفسرو الصلوات اليهودية، ذكروا الصابون الوارد في كتب الصلاة في سياقات مجازية للتطهير والنقاء. وقد استخدمت هذه المنظفات أيضًا في الطب. وقد بدأ استخدامها في غسل الجسم في المراحل اللاحقة من الفترة الرومانية، أيضًا تحت تأثير الثقافات الغاليّة والقِلطية. يعتقد أن كلمة صابون نشأت في مصطلح قلطي ذي نغمة مشابهة.

كانت الأسباب الثقافية والدينية حافزًا تجاريًا رئيسيًا لتطوير الصابون الصلب من مصدر نباتي في الشرق الأدنى. من وجهة نظر المسلمين واليهود، كان للصابون المنتج في أوروبا عيبان رئيسيان، وكلاهما نتيجة استخدام الدهون الحيوانية كمادة خام. كانت الرائحة الكريهة المنبعثة من بعض المنتجات أحد العوائق. كان العيب الأكثر أهمية هو استخدام دهن الخنزير لإنتاج منتج استخدم أيضًا لغسل الفم.

إن الحاجة إلى بديل محلي ملائم أوصل سكان المنطقة إلى زيت الزيتون، الذي يتمتع بسمعة عريقة في حوض البحر المتوسط، بفضل مزاياه في تطهير الجسم وتنقيته وشفائه. اكتشفت أدلة على الإنتاج الصناعي لزيت الزيتون على عكس الصابون بالفعل في بيت ييرح/الصِّنَبرة في أوائل العصر البرونزي الثالث وفي مواقع من العصر الحديدي مثل تل لخيش/الدوير وتل ميكنة في هذه العصور القديمة، ارتبط جدوى إنتاج زيت الزيتون ليس فقط بضرورته للسوق المحلية، ولكن أيضًا بالأرباح التي يمكن جنيها من التصدير، خاصة إلى السوق الواسعة في مصر، التي تفتقر إلى الظروف الطبيعية لزراعة الزيتون. لقد كشفت في ماريشا الهيلينية، حتى الآن ما يقرب من ثلاثين معصرة زيت في المغاور والأقبية تحت الأرض. عمليًا لا يمكن التقدير بصورة مؤكدة صناعة زيت الزيتون دون العلاقة بشبكة التجارة المنطقية، بل وأبعد منها.

أول من ذكر الصابون المصنوع من زيت الزيتون هو الجغرافي والمؤرخ المسلم المقدسي، في عام 985 للميلاد. تشهد النصوص من أرشيف القاهرة أن الصابون الذي تم إنتاجه في فلسطين صدر إلى مصر منذ القرن 11 م. يذكر

تولوكفسكي في كتاباته أنه إلى جانب الأواني الزجاجية والفخارية العالية الجودة، يوجد صابون زيت الزيتون أيضًا من بين المنتجات المصنعة في يافا والمصدرة إلى أوروبا في الفترة الصليبية، كانت وجهات تصدير هذا المنتج الأكثر أهمية في العالم الإسلامي، وظل سوق الاستيراد الرئيسي في مصر. تأثر تطور صناعة الصابون، خاصة في القدس ونابلس، بشكل إيجابي باحتلال المماليك للبلاد، وبأنها أصبحت جزءًا من امبراطورية تتمركز في مصر. نقش في مبنى ديني للصلاة والضيافة في القدس (الخانقاه الدوادارية)، يذكر المصبنة في مدينة نابلس في عام نحو 1300م. كتب المؤرخ الدمشقي عن إنتاج الصابون من زيت الزيتون في نابلس وعن التصدير إلى مصر، سوريا وجزر البحر المتوسط. كتب ابن بطوطة أيضًا في القرن الرابع عشر عن إنتاج الصابون في نابلس، وهي مدينة تقع في قلب منطقة غنية بكروم الزيتون، أصبحت مع الوقت مركز صناعة الصابون في فلسطين.

إن انتشار صناعة الصابون في القدس في القرن السادس عشر يثبت أن الانتقال إلى الحكم العثماني عام 1517 لم يضر بهذه الصناعة، بل ربما عززها، وتم تصدير الصابون أيضًا إلى أوروبا في ذلك الوقت، رغم إمكانية الوصول إلى المنتجات الصناعية المحلية، كان الطلب محدودًا مقارنة بأسواق العالم الإسلامي. وصفت مصادر من القرن السابع عشر السفن المصرية الراسية في يافا بشكل شبه يومي لتفريغ شحنات الأرز والسكر وتحميل شحنات الصابون، الزيت والزبيب إلى الأسواق في بلدها الأصلي. ووفقا لما كتبه القنصل الفرنسي في صيدا، عام 1688، كانت سفينة إنجليزية واحدة فقط ترسو مرة في السنة في يافا لتحميل عدة مئات من أكياس الصابون ولفائف القطن المصنوع محليًا.

خلال القرن الثامن عشر، وخاصة القرن التاسع عشر، كان الصابون من زيت الزيتون، إلى جانب القطن والهدايا التذكارية الدينية، التصدير الصناعي الرئيسي من فلسطين. إنه واحد من عدة مصادر التي تؤكد الشحنات الكثيرة من القطن والصابون المصنوع من **"زيت الزيتون والرماد"** التي أرسلت من ميناء يافا. إن الاحتلال المصري بين السنوات 1831 و1840 زاد من نسبة إنتاج الصابون وتسويقه رغم عدم الاستقرار الذي ميّز تلك الفترة، والتي بلغت ذروتها بتمرّد الفلاحين ومشاركة نابلس بقسط كبير فيه. وبصرف النظر عن مصر، تم تسويق صابون فلسطين إلى كافة المنطقة الإسلامية، وامتد نطاق التجارة من تركيا إلى السودان واليمن، رغم وجود مصانع صابون قريبة من تركيا، مثل جزيرة ليسبوس التي كانت آنذاك جزءًا من الامبراطورية العثمانية. صورة هذا الواقع ستتغير فقط في سنوات الاضمحلال للحكم العثماني في فلسطين.

عملية إنتاج الصابون

كان الزيت المخصص لصناعة الصابون عادةً ذا جودة منخفضة، أو منتجًا بعد تكريره ثانيًا أو ثالثًا من المرحلة الرئيسية التي تنتج زيتًا صالحًا للأكل، أو حتى تم عصره من سحق نواة الزيتون. للحفاظ على دفئه ونقائه، يخزين هذا الزيت في أوعية أو حفر مطلية بالجص وقد وضعت في المصنع أو بجواره. يوجد في المصابن التقليدية اليوم، التي تعمل حاليًا في نابلس، ما بين ثلاث إلى سبع حفر في الأقبية، مع قدرة استيعاب من 5 إلى 30 طنًا. اعتادوا في القدس في القرن السادس عشر تخزين زيت زيتون عالي الجودة معدّ للطعام والاستخدامات الأخرى في حفر المصبنة أيضًا.

تم استخلاص مكونات صبّ الزيت للصابون من نباتات السالسولا الصودا، التي تشمل البوتاس. يسمى النبات **"قالي"** أو **"قيلي"** بالعربية. 15 نوعًا من هذا النبات معروف في البلاد. إنه يزهر في أشهر الصيف وهو مهدد الآن بالانقراض هنا، وفي بلدان أخرى. تم توفير معظم المواد من البدو من عبر الأردن، الذين كانوا يقطفون النباتات ويحرقونها في كتل من الرماد، ويبيعونها مباشرة أو عن طريق وسطاء لصانعي الصابون، وكذلك في المواقع غير الصحراوية على الجانب الغربي من الأردن، يمكن العثور على تركيزات معينة من هذه النباتات، التي يقطفها القرويون المحليون ويعالجونها ويبيعونها. قطاع غزة كان مصدر للنباتات عالية الجودة، ويذكر روجرز تركيزات

نباتات القالي التي كانت تستخدم في صناعة الصابون في منطقة عكا، وكذلك في مرج ابن عامر يمكن العثور على مجموعات قليلة من النباتات اليوم أيضًا.

تم استخدام طريقتين لطحن كتل من رماد القالي. كانت هناك معامل حيث يتم سحق المادة في حوض حجري أو إسمنتي باستخدام مطارق خشب يدوية. في أماكن أخرى، كمصانع القرن التاسع عشر في القدس، تم استخدام آلة طحن دائرية مماثلة لتلك المستخدمة في درس الزيتون. يبدو أنه في المعاصر التي احتوت على المصابن، كما في اللد، قد استخدم ذات الجهاز للغرضين في أوقات مختلفة من السنة. خلطوا المسحوق مع الكلس والماء بكميات محسوبة في ست حاويات مطلية بالجص (كانت أطوالها العادية 0.70 × 1.00 م وعمقها حوالي 20 سم) حتى تشكل المعجون. كما عثر على خزانات مطلية أكبر، والتي ربما استخدمت لتخزين المياه والكلس، في عدد من المصابن، بجوار مرافق الأحواض. كان من السهل الحصول على الكلس. تم إنتاج هذه المادة بكميات كبيرة في أنحاء البلاد، منذ الفترة الرومانية. واليوم يمكننا العثور على العديد من أفران الكلس المطفأة، ومعظمها من الفترة العثمانية، وتم الكشف عن الكثير منها في الحفريات الأثرية. تم تركيب خزانات الخلط في سلسلتين، متواجهتين، وفي وسطهما ممر للعمال. تمت إضافة الملح من شواطيء البحر الميت إلى الخليط. وجرى خلط المواد بمراقبة خبراء رافقوا بقية مراحل الإنتاج. ومنذ القرن السادس عشر، انتظم العديد من الخبراء في نقابات مهنية دافعت عن مصالحهم وأشرفت على مستوى عملهم. كانت أجرة الخبراء في حالات متعددة، جزءًا من المنتوج، الأمر الذي ضمن التزامهم حيال جودة المنتج النهائي. وكانت هذه أيضًا طريقة الدفع لعمال الإنتاج، الذين لم يتلقَّ الكثير منهم أجر، ولكنهم يكسبون عيشهم من أرباح المبيعات في الأسواق من حصة الصابون المخصصة لقاء عملهم.

في نهاية مرفق الخزان كان هناك مرجل طبخ كبير، مصنوع من النحاس، موضوع على حوض مبني من الحجارة ومغطى بالكلس أو الجص. تحت الحوض كان موقد يمكن الوصول إليه من خلال ممر تحت الأرض أو درج ضيق متصل بمخزن الجفت، وهي نفايات نواة الزيتون، والتي كانت تستخدم كمادة حرق. كانت كمية الجفت الكافية لعملية طهي واحدة، حوالي ثلاثة أطنان ونصف. يوضع مرجل الطهي عادة في الطابق الأرضي، رغم أن بعض المصابن تقوم بعملية الطهي في الطابق الثاني. قبل الطهي، كانوا يشطفون الجزء الداخلي من المرجل عدة مرات. وحينها تختلط مواد تخثر الصابون داخل المرجل بكمية كبيرة من زيت الزيتون، وكانت نسبة المكونات الرئيسية في المرجل حوالي خمسة أطنان من الزيت مقابل نحو 860 كغم من الكلس. وتتراوح تقديرات كمية رماد النبات من حوالي طن ونصف إلى ثلاثة أطنان. ينبع الغموض من بداية استخدام الصودا الكاوية. قرب نهاية القرن التاسع عشر، حدث تطور أضعف الذكريات حيال بعض التفاصيل المتعلقة بالمواد التقليدية. تم غلي الخليط وتبريده بالتناوب حتى أربع مرات في اليوم. يظهر في الصور التاريخية، وتلك التي التقطت في المصابن التقليدية التي لا تزال نشطة في نابلس، شوهد عامل يقف بجانب المرجل ويخلط مواد الطبخ باستخدام عصا خشبية طويلة (الشكل 1). في نهاية كل مرحلة تبريد، يتم فتح سدادة خشبية في قاع المرجل للسماح للماء والمخلفات المغمورة بالتصريف باتجاه حفرة أو حوض بجانبها. كانوا يضيفون الماء الذي يتم تصريفه من المرجل إلى المادة الموجودة في أحواض الخلط لجولة أخرى من الطهي. تستغرق هذه العملية حوالي أسبوعين. حدثت حالات ارتكب فيها العمال خطأ واضطروا إلى إعادة الخليط إلى غليان آخر، بعد أن لم يتماسك بشكل صحيح في الخطوة التالية. من أجل تقليل حالات كهذه قدر الإمكان كانوا يتخذون قرارًا مشتركًا إنهاء الغلي مع مراقب الطهي وصاحب المصبنة، وخبير خاص يتم استدعاؤه للبت في حالات الخلاف.

كانوا ينقلون الخليط المحضر إلى قاعة أخرى، حيث يصب ليجف على أرضية حجرية مغطاة بطبقة من الكلس. تُظهر مقاطع الفيديو والصور من المصبنة التقليدية لعائلة طوقان في نابلس، وتظهر عمالًا يتسلقون إلى موقع المرجل حاملين أوعية من الصفيح على أكتافهم، في انتظار ملء الأوعية من رجل يقف مع مغرفة خشبية بجوار المرجل ويعودون في طريقهم ليصعدوا الدرج إلى قاعة التجفيف. تم استخدام البراميل في مصبنة القدس كأوعية

الشكل 1. أحواض خلط مكونات التخثر ومرجل الصابون في مصبنة يافا (تصوير: فرانك سلطان، 1923).

من حاويات أسطوانية احتوت في الأصل على حلويات من دمشق وتم شراؤها من أصحاب الحاويات. لذلك أطلق على الخليط اسم **"الصابون الأخضر"** بسبب لون الزيتون الذي لا يزال محفوظًا. كان ارتفاع الإطار الخشبي الذي يحفظ المزيج بداخله ما بين 3–5 سم حسب السماكة المرغوبة لقطع الصابون. استمر تخثر طبقة الصابون إلى درجة من الصعوبة سمحت بالدوس عليها ومعالجتها، استمر ذلك من عدة أيام إلى أسبوعين. بعد التخثر، يتم وضع علامات على طبقة الصابون بالأسلاك وتقطع بالسكاكين في مكعبات صابون مفردة. يتم ختم كل منها باسم أو رمز المصنع أو مالكه، باستخدام المطارق الخشبية ذات الأختام النحاسية في طرفها (الشكل 2).

يُختم الصابون في مصبنة طوقان عمال بالغون، بينما المصابن المقدسية من القرن التاسع عشر كان هذا، في كثير من الحالات، من عمل الأولاد. كانوا يكدّسون مكعبات الصابون لتجفيفها نهائيًا فترتفع كالأبراج المخروطية، حتى يبلغ ارتفاعها ارتفاع الشخص وحتى أعلى. إن ترك فراغات بين القطع يهدف إلى تسريع وإنجاح العملية التي تستمر حتى شهرين. ثم يغلفون كل قطعة بورقة مطبوع عليها تفاصيل الشركة الإنتاج، ويعبئونها للتسويق. على عكس الصناعات الزراعية الأخرى، مثل الدقيق والزيت، حيث ينقل المزارعون بعض المنتجات إلى الصانعين كوسيلة للدفع مقابل الخدمة التي يقدمونها، يقوم أصحاب المصابن بشراء المواد الخام وإنتاج الصابون وتسويقه عن طريق وكلاء في البلاد أو من بلاد أخرى.

كانت صناعة الصابون في القدس نشطة لمدة ثمانية أشهر في السنة، بين يناير وأغسطس/كانون ثاني- آب، اعتمادًا على فترة قطف الزيتون ومرحلة درسه لإنتاج زيت الزيتون. عمل في كل مصبنة ما معدله 10 عمال. تقلصت المتطلبات من العمال إلى الصحة الجيدة والقدرة الجسمانية المعقولة، بلا داعي لأي شهادة تعليم، ما عدا

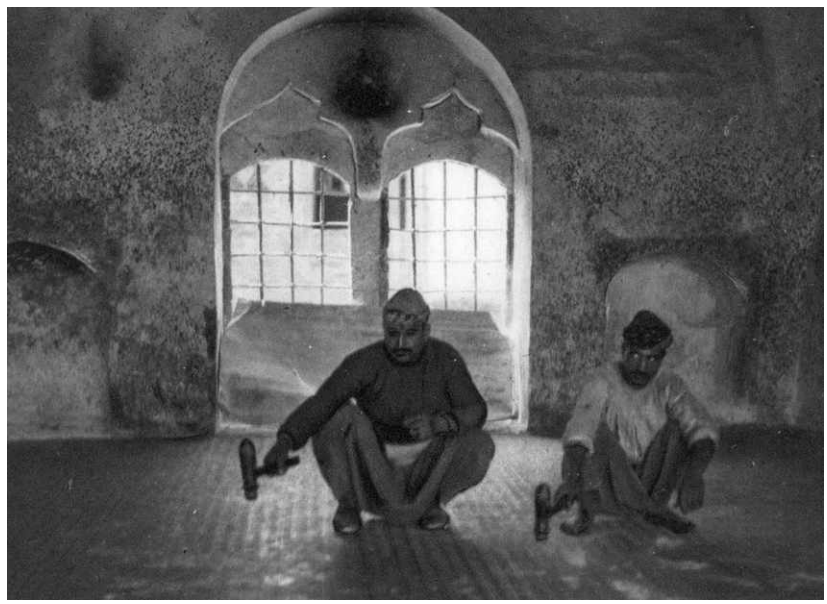

الشكل 2. ختم مكعبات الصابون في مصبنة دامياني في يافا (تصوير: فرانك سلطان، 1923).

فترة التأهيل والإعداد، وبعدها فقط بدأوا يحصلون على راتب، ولكي يمتهنوا ويتقاضوا زيادة في الراتب، يطلب منهم العمل حوالي ثلاث سنوات.

مراكز إنتاج الصابون

حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كانت نابلس والقدس مراكز الإنتاج الرئيسية لصابون زيت الزيتون في فلسطين. وفي نهاية الفترة العثمانية، أحرزت صناعة الصابون في نابلس السبق وتقدمت على القدس التي تراجعت صناعتها للغاية. وراجت مكانة الصابون النابلسي في أنحاء الشرق الأوسط، وأصبحت تضاهي مكانة البرتقال اليافاوي في أوروبا. ازداد عدد المصابن في نابلس من تسع مصابن في عشرينيات من القرن التاسع عشر إلى 15 في الستينات من ذلك القرن في عام 1882، وهو رقم حافظت عليه نابلس حتى أوائل القرن العشرين. أبهرت الصناعة أيضًا الزوار الأوروبيين، بمن فيهم زاتسين وروجرز التي تصف "**الصابون الرمادي والأبيض**" الذي يصنع "رغوة جيدة ..." "وقد أنتج بكميات كبيرة وبيع في أنحاء فلسطين. رغم تعدد أصناف الصناعة بالإضافة إلى مكانة صابون نابلس يمكن التعلم أيضًا من التمييز بين نوعين من الصابون: المنتج الأرخص والأخشن، المسمى **"بلدي"**، والذي يحتوي على مواد خام رديئة وأحيانًا دهون حيوانية. ووفقا لاسمه فقد استخدمه القرويون، وهم أنتجوه في قراهم وبوسائل منزلية. بينما صُنع الصابون "**النابلسي**" الذي يفضله سكان المدن ذوو الذوق الرفيع، ويُنتج من زيت الزيتون النقي والرماد والكلس النظيف.

من الصعب المبالغة في أهمية صناعة الصابون لاقتصاد نابلس في القرن التاسع عشر. إلى جانب فروع القطن، الجلود، الصوف والزيت، كان إنتاج الصابون وتجارته في ذلك الوقت أحد مصادر الدخل الرئيسية في المدينة. كانت لهذا الفرع من الصناعة أهمية وآثار سياسية. وحافظ رجال السلطة المحليون على مدى أجيال على مكانة المدينة كإقليم يتمتع بحكم ذاتي، الذين نجحوا في تحدي الحكومات المركزية، بادروا وموّلوا عمليات هجومية، وأحيانًا عنيفة، لحماية مصالحهم في ميناء يافا، ميناء التصدير الرئيسي للصابون. استمر إنتاج الصابون في كونه

صناعة تشغيل وإنتاج رئيسية في نابلس خلال فترة الانتداب أيضًا. كانت تعمل فيها في ذلك الوقت أربع وعشرون مصبنة، وظفت حوالي 20% من القوى العاملة في المنطقة وأنتجت أكثر من 60٪ من إجمالي قيمة إنتاج الصابون في فلسطين.

عدا عن نابلس، أثناء الفترة العثمانية وفترة الانتداب، عملت مصابن في يافا، اللد، الرملة، غزة، الخليل، عكا، وعلى نطاق صغير ربما أيضًا في مدن أخرى. وثيقة إدارية تؤكد أن أحد منتجي الصابون من القدس اشترى مصبنة مهجورة في الرملة عام 1535 وهو يسعى لتوسيع أعماله. ويبدو أن الرملة استمرت بإنتاج الصابون في القرون التالية أيضًا. ويليام ويتمان، الذي زار البلاد في أوائل القرن التاسع عشر، رأى في الرملة أنقاض مصنع للصابون كان يعمل في المدينة قبل غزو نابليون، ومع ذلك، في مرحلة لاحقة، تم نقل جزء كبير من محاصيل الزيتون لمصانع الصابون في يافا، وتركز الإنتاج في الرملة على الاستهلاك المحلي.

بالتزامن مع النقل البحري، تم نقل مئات الأطنان من الصابون في قوافل الجمال عن طريق البحر/ڤيا ماريس القديمة. كانت غزة من المدن المهمة على هذا الطريق، بوابة سيناء إلى مصر. لم يكتف سكان غزة على مر السنين، بأرباح محطة العبور. ففي بداية القرن التاسع عشر، شهد بوركهارت أن البدو من منطقة الغور الذين سافروا إلى غزة لبيع رماد نبتة القالي، التي قطفوها في منطقة سكناهم. إن التجارة بهذه المادة الضرورية لصناعة الصابون تدل على صناعة نشطة للصابون في هذه المدينة في تلك الفترة. وفي ثمانينيات ذلك القرن عملت فيها ثلاث مصابن على الأقل.

تشير سجلات الضرائب العثمانية من منتصف القرن السادس عشر إلى صناعة الخليل الأقل شهرة، وهي المحاطة بكروم الزيتون، والتي تشير إلى مصبنة مهجورة كجزء من ممتلكات مؤسسات الوقف الإسلامي في المدينة. صناعة الصابون هناك ذكرها أيضًا الباحث الألماني أولريش زيتْزِن، الذي زارها في العقد الأول من القرن التاسع عشر. استمر تقليد إنتاج الصابون في الخليل في العصر الحديث. من بين الأعمال المذكورة في دليلين دوليين من السنوات، 1961 و1985 - أدرج معمل صابون يسمى المصانع الزراعية والزيوت، م.ض. يقع في شارع "الزبد" في الخليل. كتاب مدرسي من 1970، مخصص للمدينة، ويستعرض بالتفصيل الصناعات القائمة فيها، يذكر مصنع تعليب الفاكهة الذي يتضمن "أيضًا مرفقًا لعصر الزيتون وينتج حوالي مئة طن من الصابون سنويًا".

على الرغم من وفرة كروم الزيتون في الجليل، لم تكن هناك معامل للصابون من زيت الزيتون، وكان السكان المحليون يستهلكون نوعًا من الصابون الخشن الذي أعدته نساء القرى. تشير الأدلة من عام 1900 إلى وجود طريقة فريدة من نوعها لعصر الزيت من الزيتون منخفض الجودة في قرية في الجليل الأعلى، ولكن نظرًا لعدم ذكر معمل، فمن المحتمل أن الزيت يباع لغرض صنع الصابون المنزلي. في عام 1874، أنشيء مصنع صابون حديث في حيفا. يتم تصدير بعض منتجاته إلى الأسواق البعيدة، بما في ذلك الأمريكية، ولكن في الجليل يظل توزيعه محدودًا مقارنة بالصابون الريفي. يؤكد السكان المحليون في عكا وجود مصبنتين على الأقل كانتا تعملان في الأزقة بالقرب من الشاطيء - شارع الهچانا اليوم. عملت واحدة بمحاذاة فندق **"عكاتيكا"**، في المكان حوض مبني، يبلغ قطره حوالي ثلاثة أمتار وعمقه حوالي 1.30 متر، والذي من المحتمل أنه استخدم كمرجل للطهي والمنشآت الصناعية الأخرى، بما في ذلك قاعدة لمرفق عصر بطريقة اللولب. من المحتمل أن تتعرض أحواض الخلط لمواد السكب، والمثبتة دائمًا على مستوى أدنى من الأرضية، ستنكشف بإزالة التراب والأوساخ المتراكمة فيها. من الممكن أن تكون هذه المصبنة، على غرار مصابن اللد، جزءًا من معصرة زيت كانت تعمل حتى النكبة عام 1948. تحديد الموقع الثاني، والذي يقع في المنطقة الواقعة تحت كنيسة القديس أندراوس، أمر مريب لأنه بصرف النظر عن السطح المرتفع الذي ربما كان أساسًا لحوض الطهي، لا يوجد دليل مادي على إنتاج الصابون في الموقع. في الخمسينيات من القرن العشرين، كان الصابون يصنع في مصبنة في مجمع خان العمدان، تابعة لعائلة دلال. أغلقت هذه المصبنة منذ سنوات عديدة، ولا توجد حاليًا مصابن تقليدية نشطة في هذه المدينة.

المصابن في القدس

الوثائق القانونية الإسلامية، التي يعود تاريخ أقدمها إلى القرن السادس عشر، تشهد على ازدهار صناعة الصابون في القدس خلال الفترة العثمانية المبكرة. استمرت هذه الصناعة، وفي الواقع هذا أحياء صناعة مماثلة كانت قد تضاءلت إلى حد ما في أواخر الفترة المملوكية. المادة الخام الرئيسية كانت زيت الزيتون، من فائض الإنتاج في نابلس وقرى شمال المدينة. رغم الضرائب الباهظة التي تفرضها السلطات العثمانية على سوق زيت الزيتون ومنتجاته، بما في ذلك الصابون، فقد جمع كبار المنتجين ثروة كبيرة ونسج بعضهم علاقات وثيقة مع السلطات الحكومية والدينية.

ما لا يقل عن ثمانية عشر معملًا معروفًا قي ذات القرن للحصول على مسح عام تفصيلي للمصابن، موقعها، مالكوها وعلاقاتهم، كان يتركز معظمها قرب بوابات المدينة، في أحيائها الشمالية والجنوبية الغربية (اليوم باب العمود وباب صهيون) باستخدام المناطق الخالية داخل الأسوار وخارجها للتخلص من مخلفات الإنتاج. سهّل الموقع المحيطي نقل المواد الخام وقلص الضرر البيئي للصناعة التي خلقت الدخان الكثيف وكمية كبيرة من النفايات. رغم ذلك، مع مرور الوقت، تحوّل هذا إلى مشكلة حتى داخل المدينة نفسها. يروي الدبلوماسي البريطاني جيمس فين نقاشًا دار بين العلماء في عهده حول "أكوام كبيرة من الرماد الأزرق - الرمادي ولا ينبت عليها أي عشب"، والتي تراكمت خارج باب العمود. ووفقًا له، فإن التفسير الشائع هو أن هذه الأكوام، التي تحتوي أيضًا على البوتاس، هي مخلفات صنع الصابون من الماضي، رغم أن بقايا العظام الموجودة في المادة جعلت الباحثين الأوروبيين، يرجحون بروح العصر، الاحتمال أنها كانت كذلك. أكوام من رماد الذبائح القديمة. في هذه الحالة، برأيي، إن التفسير الشعبي أفضل من التفسير العلمي. يستدل من الأوصاف المتعلقة بالمواد، أنها نشأت على الأرجح في نفايات صناعة الصابون في القرون السابقة للحكم العثماني في القدس، كما ورد في مصادر من تلك الأيام.

مصبنة كاتيانا: تم تحديد مصبنتين من أوائل الفترة العثمانية في طريق خان الزيت. يعبر هذا الطريق التجاري القديم في المدينة من الشمال إلى الجنوب، من الباحة الداخلية لباب العمود حتى يلتقي بسوق العطارين. يحافظ الطريق، في الواقع، على الكاردو الغربي من الفترة الرومانية الذي يشطر إيليا كابيتولينا، واستمر استخدامه، مع تغييرات مختلفة، كطريق تجاري رئيسي في القدس، منذ شقة الأصلي حتى يومنا هذا. عثر على مصبنة واحدة غير محفورة، في منزل عائلة كاتيانا، في المنزل رقم 37. يشتمل المجمع على صالة كبيرة (30 × 17 م)، وفيها 20 دعامة للقناطر (رُكَب). ويؤدي الدرج إلى قاعة أخرى في الطابق السفلي، وفي الأرضية فتحتان مربعتان لحفرتين يغطيهما الجص، ما يستخدم في المصابن لتخزين زيت الزيتون، وهناك آثار لسبع حفر أخرى ومدخنتين (80 × 80 سم) في وسط الجدار الشرقي تعبران الطابقين عموديًا إلى المساحة الموجودة أسفل أرضية الطابق السفلي. تم هناك تشغيل مرجلين. نظرًا لأنه يعمل في المصبنة عادةً مرجل واحد، فإن الازدواجية غير العادية تشير إلى نشاط إنتاج مكثف. يتم في مساحات الطابق العلوي، فرش الصابون الذائب قبل تخثره وتقطيعه. إن موقع المصبنة في مبنى قديم، في حين تشير المصادر التاريخية إلى هذه المنطقة كمركز لمعامل الصابون في أوائل الفترة العثمانية، وبداية نشاطها كان في القرن السادس عشر. تصف الأدلة الشفوية استمرار إنتاج الصابون في هذه المصبنة أيضًا في القرن التاسع عشر، ويبدو أنها أغلقت بزوال صناعة الصابون المقدسية، في نهاية الفترة العثمانية.

مصبنة آل كلوتي: تقع هذه المصبنة القديمة في متجر تملكه عائلة آل كلوتي بالقرب من المرحلة السابعة في **"طريق الآلام"**. إنه المنشأة الوحيدة من نوعها في البلاد التي كشف عنها في نطاق التنقيبات الأثرية ونشر نتائجها الدكتور توفيق دعادلة. جرى التنقيب في قاعة مستطيلة أبعادها 18.50 × 4.60 م، تم خلاله تحديد أربع طبقات. يعود تاريخ

طبقتين إلى العصر الحديدي (القرون 6–8 قبل الميلاد) وطبقة الى الفترة الرومانية-البيزنطية، وتمثل الطبقة اللاحقة المتجر الذي كان يعمل هناك من نهاية الفترة العثمانية، بعد رفع الأرضية إلى مستوى الشارع الحالي.

كشف في القاعة بقايا ثماني منشآت، بما في ذلك منشأتان دائريتان، بدون جص على جدرانهما وست منشآت أصغر حجمًا ومغطاة بالجص. وفقًا لعملية إعادة الحفريات، كان هناك مخطط مربع لثلاث منشآت مغطاة بالجص. الثلاث الأخرى، المبنية بجانب بعضها البعض ومستندة إلى جدار واحد، كانت مستطيلة الشكل ومتماثلة في الأبعاد نحو (0.90 × 0.40 م)، وربما حفظت منشآت إضافية من نفس السلسلة شمال حدود التنقيبات.

تم الكشف عن المنشأتين المستديرتين إلى الشرق من المنشآت المغطاة بالجص. الجنوبية منهما - قسمان مبنيان فوق بعضهما ما يماثل الساعة الرملية. يبدو أنه فصل القسمين رفٌ شكّل سقف الجزء السفلي وأرضية الجزء العلوي. لم يحفظ الرف. يميل الجزء السفلي بالبناء إلى الداخل، ويقل قطره كلما ارتفعت جوانبه. في جزئه الشرقي فتحة مبنية من الحجارة المنحوتة، وتظهر على قعرها وعلى حجارة الجوانب آثار حريق. يعكس الترتيب في الجزء العلوي المثبت مباشرة فوق السفلي، بحيث يتسع قطره كلما زادت الجدران ارتفاعًا (قطرها محفوظ حتى 2.30 مترًا). يشير مخطط هذه المنشأة وعلامات الاحتراق في الأسفل إلى وجود فرن أو مرجل صناعي. في الجزء السفلي كانت غرفة الاحتراق تتغذى من خلال فتحة في الجدار الشرقي، والجزء العلوي يحتوي على سوائل ساخنة. لم يعثر في المنشأة الدائرية المجاورة لها من الجهة الشمالية (بقطر 1.80 م) على فتحات أو تقسيمات داخلية. حسب اقتراح الباحث الدكتور دعادلة، استخدم المرفق لحفظ حرارة السائل المطبوخ في المنشأة الجنوبية. وفقًا لمخطط المبنى ومرافقه، واستنادًا إلى التشابه الكبير مع معامل الصابون اللاحقة، والتي لا شك فيما يتعلق بتعريفها، يمكن الاتفاق مع رأي الباحث أنه عملت مصبنة هنا من قبل، حيث استخدمت المنشآت المغطاة بالجبس لخلط المواد الصلبة والمستديرة لطهي الصابون وحفظ حرارته. ووفقًا لاستعادة الباحث فإن المبنى الذي وضعت المصبنة فيه يظهر في وصف المرافق وفقًا لوصف مجير الدين من النصف الثاني من القرن الخامس عشر. إذن أمامنا مصبنة تأسست في الفترة المملوكية واستمرت في الإنتاج حتى بعد استيلاء العثمانيين على القدس عام 1517.

استمرت صناعة صابون زيت الزيتون في القدس بالازدهار حتى في المراحل اللاحقة من الفترة العثمانية. رأى تشارلز وارين أنها **"الصناعة الوحيدة التي يمكن للمدينة أن تفتخر بها"**. في الاستطلاع الذي أجراه، أدرج سبع مصابن نشطة في المدينة في الثمانينيات. خمس - بملكية مسلمين واثنتان - بملكية مسيحيين، أحداهما لبروتستانتي. عمل في صناعة الصابون في أيام وارن 76 شخصًا، خمسون منهم مسلمون والباقون مسيحيون، كما كان بضمنهم ثمانية أشخاص يكسبون رزقهم من البيع. بالإضافة إلى إنتاج الصابون العادي والشعبي والمربح، دخل بعض أصحاب المصابن في القدس أيضًا في قطاع السياحة والحج، الذي تطور بشكل كبير خلال القرن التاسع عشر. أنتجت أربع مصابن كبيرة في المدينة صابونًا ملونًا ومعطّرًا، نُقِشت عليه صور لكنائس معروفة في الأرض المقدسة، هذا الصابون مخصص بشكل أساسي لسوق الهدايا التذكارية.

في نهاية القرن التاسع عشر، بدأت صناعة الصابون في القدس بالهبوط. ويقول المقدسيون، كما ذكر وارين، إن التراجع في صناعة الصابون المحلية، مقارنة بازدهارها في نابلس، كانت بسبب اجتياحات الجراد المدمرة لمناطق زراعة الزيتون حول القدس، مما قلص المنتوج بشكل كبير. وأضرّ بالمحاصيل وأتلف جودته. لكن زوال صناعة الصابون في القدس، التي أبقت المدينة بدون مصابن نشطة، لا ينبغي أن يذكر بحد ذاته بهذا السياق، لكنه جزء من تدهور صناعة الصابون بشكل عام في فلسطين، في نهاية الفترة العثمانية وفترة الانتداب.

المصابن في اللد

بدأ إنتاج الصابون من زيت الزيتون في اللد في موعد لا يتجاوز القرن السادس عشر، وحتى ذلك الحين تم تصدير بعض المنتجات إلى مصر. الباحث الفرنسي ڤيكتور چرين، الذي زار البلاد عدة مرات في النصف الثاني من القرن

التاسع عشر، يتحدث عن حوالي مئة شخص يعملون في صناعة الصابون في مدينة اللد، وتشير التقديرات إلى أنه كان مطلوبًا لتشغيل كل موقع ما يصل إلى عشرة أشخاص فقط، وعملت في اللد حوالي عشر مصابن، واستمرت صناعة الصابون هناك في فترة الانتداب. وفي عام 1937، وصف بنحاس كوهين وديڤيد بنبنشتي اللد بأنها "بلدة عربية تكتنفها كروم الزيتون الكثيرة، وغنية بمعاصر الزيتون ويعمل سكانها أيضًا في صناعة الصابون". لم يتبق في اللد حاليًا أي مصبنة نشطة، لكننا نعرف مصبنتين مهجورتين تعودان إلى عائلتَي حسونة والفار (الشكل 3)، وليس كمصابن عديدة مستقلة، بل اندمجت مصابن حسونة والفار بمعاصر الزيتون لإنتاج الزيت، التي كانت بملكية العائلتين. المعاصر والمصابن في اللد مقامة في مبانٍ حجرية كبيرة في البلدة القديمة.

مصبنة حسونة: تعتبر معصرة الزيت التابعة لعائلة حسونة المثال الوحيد من نوعه في فلسطين للحفاظ على معمل معقد من هذا النوع مع منشآته. تم تركيب المعصرة في مبنى تبلغ أبعاده 25 × 20 م، وقد بنيت جدرانه من

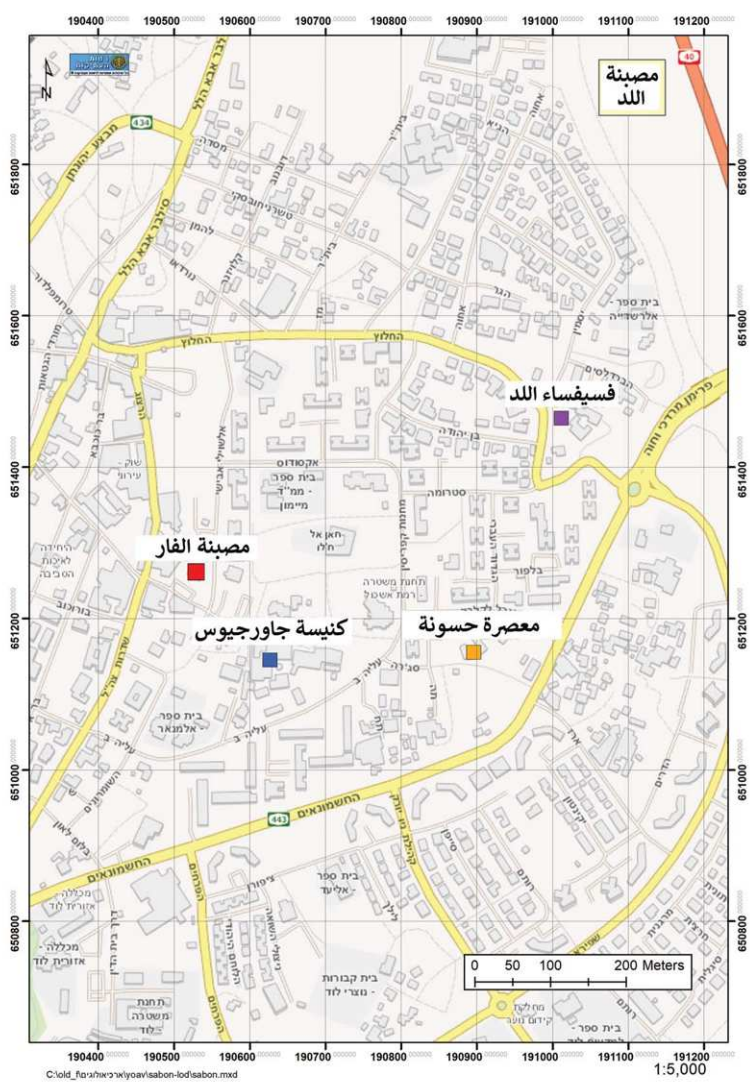

الشكل 3. موقع مصابن حسونة والفار، اللد (إعداد: أنجلينا داغوت، سلطة الآثار).

حجارة البناء المنحوتة، وبينها حجارة الحقل الغشيمة والطين (الشكل 4). المبنى مسقوف بأقبية متقاطعة تعتمد على أعمدة صلبة. يحتوي المجمع على صالتين (10 × 10 م) وثلاث عشرة غرفة ومساحة واحدة على الأقل تحت الأرض للتخزين. المبنى سبق المصنع، ولكن الوقت المحدد لبنائه غير واضح. أفترض أن المعصرة أدخلت إلى مبنى قائم في أواخر القرن التاسع عشر، على غرار معمل عائلة طوقان في نابلس. في المقابل، يؤرخ أيَّلون بداية نشاطه إلى عشرينيات القرن الماضي. أتاحت ثلاثة إلى أربعة مداخل منفصلة نشاطًا موازيًا في منشآت إنتاج زيت الزيتون وزيت السمسم والمصبنة القائمة في زاوية الجناح الشرقي (الشكل 5). كانت معصرة الزيت نشطة حتى عام 1948، لكن المصبنة لم تعد تستخدم قبل عقدين من الزمن، بسبب الأضرار التي لحقت بالمجمع في زلزال عام 1927.

أنتجت عائلة حسون الزيوت في معامل أصغر، حتى قبل اقتناء المبنى. أتاح شراؤه تركيز النشاط في موقع واحد، بمساعدة محرك حديث لجزء ملحوظ من العمل. هذا يجعل العملية أكثر نجاعة ويوفر نفقات الإنتاج والنقل. وهكذا، على سبيل المثال، كان من الممكن نقل زيت الزيتون والجفت المخصص لصناعة الصابون من منشآت معصرة الزيت مباشرة إلى المصبنة، دون مغادرة المبنى. وتجدر الإشارة إلى أن ظاهرة **"توحيد المصانع"** معروفة في فلسطين في الفترة العثمانية، كما عُرفت الأبنية التي عملت فيها المعاصر جنبًا إلى جنب مع مطاحن الدقيق.

خلال زيارة للموقع التي قام بها آلون شافيط وغاي روزنز مع أبي رجب حسونة، الذي شهد في شبابه نشاط المعصرة، أشار حسونة إلى موقع حوض الطهي (قطر 3.15 م) والمساحات المستخدمة في مراحل أخرى في عملية

الشكل 4. الواجهة الشمالية الشرقية لمعصرة حسونة ومدخل المصبنة (تصوير: الكاتب، 2018).

الشكل 5. بقايا الأحواض لمزج مواد التخثر ومرجل لطهي الصابون في مصبنة حسونة (تصوير: رام شواف، سلطة الآثار، 2017).

إنتاج الصابون. قال، إن مدّ الصابون الأولي للتصلب والختم، وكذلك للتجفيف النهائي في الأبراج المخروطية، حدثت في نفس المكان الذي استخدم للتخزين في أيام أخرى. أوضح طبيعة منشأة الصهاريج، وهي أقل وضوحًا شمال حوض الطهي. وبحسب الشهادة المذكورة، فقد تم استخدام المنشأة "**للعناية بالتدفئة لغرض تسخين السائل**". مع ذلك تظهر هذه المنشآت في المصابن في تلك الفترة في ذات الموضع بالنسبة لمرجل الغلي وبتخطيط متشابه، وبموجب كل ما نعرفه، بما في ذلك شهود عيان موثوق بهم ودقيقون، تم استخدامها في صنع مواد تخثر الصابون قبل نقلها إلى المراجل. يوجد في مصابن حسونة نفق مخصص لغرفة الاحتراق الواقعة أسفل مرجل الطهي، بينما بنيت منشأة الصهاريج دون أي اتصال بغرفة الاحتراق.

يجب أن نتذكر أن المصبنة كانت جزءًا ثانويًا من مصنع أكبر وأكثر تعقيدًا لنوعين من الزيوت، واستخدم المخلفات من الصناعة الرئيسية. من المحتمل إذن أن أبا رجب، الرجل المتقدم في السن، الذي طُلبت منه الشهادة عن شيء رآه في شبابه، لم يتذكر بدقة جوانب معينة من عمل المصبنة. البديل الآخر، وإن كان ملحًّا، هو أنه في هذه المصبنة، تم استخدام منشأة الصهاريج بشكل فريد حتى في الأنشطة التي لم يتم توثيقها في حالات أخرى.

مصبنة الفار: معمل آخر للصابون في اللد، دون أن تتوفر معلومات تاريخية عنه، تابع لعائلة الفار. فمساحاته، المغطاة إلى حد كبير بالنفايات والتراب والحطام، يقف الآن بالقرب من سوق البلدية، في قلب المدينة القديمة (الشكل 6). المبنى من طابقين مشابه لمعصرة حسونة بتقنية بنائه ومواد البناء المستخدمة. التقاليد المحلية تعود

الشكل 6. معصرة ومصبنة الفار، اللد (تصوير: الكاتب، 2018).

بالتاريخ إلى نهاية القرن الثامن عشر، أو مطلع القرن التاسع عشر، وهذا التاريخ يتوافق وطرازه المعماري، فقد أضيفت إليه خلال فترة نشاطه عناصر مختلفة، يعود آخرها إلى فترة الانتداب. كما في حالة مصبنة حسونة، وهنا أيضًا تم دمج المصبنة في معصرة الزيت، ومن الممكن إضافة مجمع إنتاج الصابون بكامله في مرحلة لاحقة. بقي حوض الطبخ (قطرة 3.00 م) (المرجل المعدني نفسه) محفوظًا في الجناح الشرقي للمبنى. نادرًا ما يحفظ المرجل المعدني، بالرغم من الثقوب العديدة فيه (الشكل 7)، يبلغ قطر المرجل الداخلي 1.75 مترًا والقطر الخارجي 1.90 مترًا، وهو مقياس يتضمن أيضًا شفته الضيقة المتصلة بشريط معدني منفصل. لا يمكن قياس عمقه الدقيق بسبب تراكم النفايات. بلغ العمق القابل للقياس 1.15 م. من قطع حافة شفة المرجل والبراغي والصواميل المدمجة فيه، يبدو أنه تم تركيبه أثناء فترة الانتداب، ربما كبديل لمرجل سابق. إلى جانب المرجل كان هناك درج حجري (بقيت منه خمس درجات) متصلة بحجيرة تحت الأرض يعمل فيها فرن التسخين. مدخنة الفرن (يبلغ قطرها 0.75 مترًا) بقي منها حتى ارتفاع سطح المبنى. اثنان فقط من صهاريج الخلط كانت أبعادهما 0.80 × 0.80 م ولا يمكن قياس عمقهما.

يوجد في زاوية إحدى الغرف في الطابق الأرضي حوض مكشوف مغطى بالجص (قطره: 1.15 م، عمقه حوالي 1.30 م) لا يُعرف استخدامه بالضبط. قد تكون هذه حفرة لتخزين الزيت. يبرز داخل الانهيارات في الغرفة حجَرا رحى مستديران (قطر 1.40 م و1.20 م) ربما استخدما في هرس الزيتون في المعصرة، رغم أنه كما ذكرنا في بعض المعامل، فقد طحنوا أيضًا رماد الخضروات لتخثر الصابون.

الشكل 7. مصبنة الفار: مرجل الطهي الباقي في موقعه (تصوير: الكاتب، 2018).

خلال زيارتي إلى اللد لغرض هذه الدراسة، تنبّهت من جهة للمحافظة المذهلة لمنشآت الإنتاج في معصرة حسونة وبدرجة أقل في معمل الفار، ومن جهة أخرى فإن حالة المباني المتداعية كثيبة. تبذل هذه الأيام جهود وموارد عديدة لتطوير السوق في المدينة، جنبًا إلى مركز الفسيفساء الرومانية. كل ما بقي هو الأمل في العثور على الترتيبات القانونية والميزانيات المطلوبة لترميم المعاصر والمصابن داخلها، وحفظها وعرضها للجمهور، قبل أن تضيع تمامًا.

مصابن في يافا

في عام 1268 م، غزا المماليك يافا الصليبية ودمروها، وتم تهجيرها تمامًا حتى منتصف القرن الرابع عشر. تجدد الاستيطان في المدينة فقط في منتصف القرن السابع عشر، إبان الفترة العثمانية. حتى في الفترة التي بقيت فيها المدينة في حالة خراب ودمار، استمر النشاط في الميناء القديم، لخدمة المدن الداخلية الأقرب والأبعد، من الرملة واللد إلى نابلس والقدس. ومن بين البضائع المصدرة عبر الميناء كان صابون زيت الزيتون. حافظت يافا على الأولوية التاريخية كميناء تصدير للصابون لقربها من مراكز الإنتاج في الساحل والجبل، رغم المخاطر العديدة للميناء والمعتقدات الشعبية التي حذرت من إفساد الصابون عند ملامسته لهواء البحر.

تطورت في الوقت نفسه في يافا صناعة الصابون الخاصة بها. فقد بدأت الصناعة، أو تجددت، في النصف الأول من القرن الثامن عشر، وقد ورد ذكر بعض المنتجين في مصادر تلك الفترة. يقول كورتن: "إن الشاطئ مقابل المدينة كان مكتظًّا على الدوام برزم الصابون بانتظار تحميلها في السفن المنطلقة إلى بلاد الصادرات". شبه المؤكد أن بعضًا من هذه البضائع قد أنتج هنا. إن إنتاج الصابون الفاخر من ضمن المهن التي نشطت في يافا في مطلع القرن التاسع عشر، عملت في المدينة خمسة معامل للصابون، كان أحدها لعائلة يهودية. في وقت لاحق من ذلك القرن، ازدهرت صناعة الصابون في يافا أكثر من أي صناعة تقليدية أخرى. يمكن الرجوع إلى الوثائق القانونية والإدارية عن بيع وشراء الصابون من تلك الفترة، وفي الربع الأخير من القرن كان أحد شوارع المدينة يسمى شارع "**المصبنة**"، على غرار الشوارع الأخرى التي سميت على اسم الحرف البارزة فيها. يكتب كيرك عن

"المدينة التي كانت قبل حوالي قرن من الزمان، وفيها بعض المداخل والحمّامات وبعض أعمال المصابن ... ستبقى هكذا حتى آخر الزمان". يجب أن يكون للمؤلف سبب وجيه لاختيار صناعة الصابون، من بين جميع الحرف الأخرى، عندما يتعلق الأمر بتمييز البلدة القديمة التي لا تتغير، مقابل الأحياء النامية في الضواحي. استمرت هذه الصناعة في تحقيق أرباح كبيرة على الرغم من التصنيع الحديث في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إذ أنشئت في نطاقه مصانع لمجموعة واسعة من المنتجات التي لم يتم تصنيعها من قبل هناك. في تلك الفترة، استمرت يافا في العمل كميناء تصدير للصابون المصنوع في مدن أخرى، حتى أن بعض الصابون الأجنبي كانوا يعرضونه في أسواق المدينة، في منافسة مع الصابون المحلي. على الرغم من التغييرات التي طرأت على أسواق تصدير الصابون في مطلع القرن العشرين، استمرت صناعة الصابون في يافا قائمة خلال فترة الانتداب، حيث بلغت 23٪ من القيمة الإجمالية لإنتاج الصابون في فلسطين (وثيقة جمارك من 1930 – تحصي ستة معامل صابون في **"البلدة القديمة"**، معظمها مصالح عائلية، وقد أغلقت جميع هذه المصالح في نهاية فترة الانتداب وأثناء النكبة. بقايا اثنين منها معروف لنا اليوم (الشكل 8).

الشكل 8. موقع مصبنة دامياني ومركز أوري غيلر، يافا (إعداد: أنجلينا داغوت، سلطة الآثار).

مصبنة دامياني: وصل جيوفاني دامياني إلى يافا من البندقية في النصف الأول من القرن الثامن عشر كمترجم للكهنة الذين حجّوا إلى الأرض المقدسة، وسرعان ما أصبح تاجرًا ناجحًا. بدأ معه تاريخ العائلة المسيحية الثرية في المدينة الساحلية، منذ حوالي مائتي عام. كان أبناؤها من ملاكي الأراضي البارزين وبعضهم خدم بمنصب قناصل لدول أجنبية. كان حنا ابن جيوفاني صاحب بساتين وفندق مشهور، كما كان صاحب معمل صابون. أما حنا دمياني آخر، فقد عاش في يافا بعد مئة وخمسين عامًا، كان مالكًا للمصبنة الوحيدة في المدينة، والتي كنا نعرف بقاياها حتى الكشف عن المعمل في مركز أوري غيلر في الأشهر الأخيرة. أقيم المعمل في المبنى الحجري الكبير المكون من طابقين، والذي استمر من القرن الثامن عشر وحتى نهاية القرن التاسع عشر كمبنى سرايا حكومي رئيسي في يافا - السرايا العتيقة (الشكل 9). انتقل النشاط الرئيسي للحكومة العثمانية في 1897 إلى مبنى جديد على الطراز الكلاسيكي الجديد في

الشكل 9. بقايا من الأحواض الخلط لمكونات التخثر ومرجل طهي الصابون في مصبنة دامياني (تصوير: الكاتب، 2018).

الطرف الشمالي الشرقي من الساحة المتطورة، والتي سميت فيما بعد "**ساحة الساعة**". يبدو أن المجمع القديم بقي بملكية السلطة حتى الاحتلال البريطاني في 1917، وربما استمر في خدمتها للتخزين والأنشطة الثانوية الأخرى.

في لقاء مع الصحفي البريطاني روبرت فيسك في بيروت، وصف ديفيد، نجل حنا دامياني، تاريخ العائلة في البلاد وفي يافا، وتذكر جيدًا المصبنة التي كانت تعمل في السرايا الحكومية السابقة. قال، إن والده اشترى العقار من بلدية يافا بعد الحرب العالمية الأولى من أجل تشغيله كمصبنة. أدى الابتزاز والعنف الذي مارسه قادة الثورة العربية في يافا عام 1936 ضد الوجهاء العرب إلى انتقال حنا دمياني، كالعديد من أبناء طبقته، مؤقتًا إلى لبنان. استمر طاقم عمل المصبنة في الإنتاج حتى في غياب صاحبه الذي عاد من منفاه بعد سيطرة القوات البريطانية على المدينة وفرض النظام فيها. في 25 أبريل 1948، عشية سيطرة القوات اليهودية على يافا، فرّت عائلة دامياني من يافا مرة أخرى إلى بيروت، وتركت المنازل والأعمال، بما في ذلك المصبنة. توفي حنا دمياني عام 1952. حاول ابنه الاستمرار بتقاليد الأسرة بإقامة مصبنة جديدة، افتتحها في الأردن في أوائل الخمسينات من القرن الماضي، ولكن النجاح لم يكن حليفه.

تشارك قاعة مصبنة حنا دمياني ومنشآتها المهجورة الآن في الطابق الأرضي من المبنى حيث المسرح العربي اليهودي ونادي الحمّام الشهير، والذي تم إنشاؤه، كما يوحي اسمه، غرف الحمّام الذي خدم الحاكم، عائلته وضيوفه. أغلق النادي مؤخرًا، لكن قاعات المسرح مصانة ونشطة. مصير المصبنة ترك أقل أثر عليها. المساحة المسقوفة بقناطر باهرة تبدو مهملة، مليئة بالنفايات والخردة وتستخدم كمسكن للخفافيش المثيرة للاهتمام في حد ذاتها. تم خلط المواد الصلبة وطهي الصابون في هذا المكان (الشكل 10). القاعة مغلقة أمام الزوار، رغم أن

الشكل 10. واجهة مصبنة دامياني في مبنى السرايا التركية السابق، يافا (تصوير: الكاتب، 2016).

المارة في الشارع القريب يمكنهم مشاهدتها من خلال بوابة مغلقة، وقراءة التفاصيل الأساسية عنها على لافتة توضيحية بجانبها. إضافة إلى ذلك، حفظ حوض مرجل الطهي بدون المرجل نفسه ومنشأة أوعية خلط المواد الصلبة. وبقيت عدة غرف على طول الجدران، والتي ربما كانت تستخدم كمستودعات أو مكاتب. نظرًا لعدم وجود فحص معماري منهجي، لا يمكن تحديد ما إذا كانت الغرف، أو بعضها، قد بنيت كجزء من مجمع السرايا أو تم إنشاؤها، في مرحلة المصبنة، في تقسيم فرعي للقاعة الأصلية. كما يتضح من لقطات فوتوغرافية تاريخية، تم تخثر الصابون وتقطيعه وختمه وتجفيفه أخيرًا على سطح المبنى. القاعة المقببة الكبيرة والمثيرة للإعجاب في الطابق الأول، والتي كانت تضم يومًا متحف البلدية للآثار وتضم الآن معارض فنية متنقلة ومجموعة أثرية صغيرة، لا تظهر في الصور، وطبيعة استخدامها، في مرحلة المصبنة، غير معروفة.

في أوائل عشرينات القرن الماضي، زار المصور الهولندي فرانك شولت فلسطين، ونشر بعد رحلته مجموعة كبيرة من الصور في باريس، والتي تضمنت أيضًا يافا ومحيطها. الصور رقم 122–125 في المجموعة تصف مراحل إنتاج الصابون. التقطت الصورة الأولى عند مدخل مصبنة حنا دمياني الذي كتب اسمه فوقه بنقش عربي بارز. تُظهر الصورة الثانية مساحة داخلية مقببة بقناطر، في وسطها مرجل الطهي وبعض الحاويات لخلط المواد الصلبة. تُظهر الصورة عمال الإنتاج، حيث يستخدم رجل ممسك بالمغرفة لخلط الزيت ومواد التخثير في المرجل (أنظر الشكل 1) الصورة الثالثة تظهر عاملين يختمان شعار المصنع على قطع الصابون بالمطارق بعد تقطيعها (أنظر الشكل 2). الصورة الأخيرة تظهر أبراج قطع الصابون مرتبة للتجفيف النهائي على سطح المبنى. وهذه الصور هي الدليل المرئي الوحيد المعروف لنا عن إنتاج الصابون في يافا.

لا شك في تحديد مدخل المصنع الذي بقي بالكامل حتى يومنا هذا، رغم أن الممر نفسه قد ألغي وتلاشى النقش منذ فترة. مواقع الصور الفوتوغرافية التي توثق ختم قطعة الصابون وأقماع التجفيف محددة بوضوح في باحة سطح المبنى وفي إحدى الغرف المحاذية له من الشرق. من ناحية أخرى، تبرز في الصورة التي تظهر قاعة طهي الصابون، العناصر المعمارية غير القائمة في صالة الطهي في مصبنة دامياني. ربما أجريت تغييرات كبيرة على المبنى خلال العقدين الماضيين، بين زيارة المصور والرحيل عن المعمل، ولكن لا يوجد دليل على مثل هذه التغييرات. ويبدو أن هذه الصورة التقطت في مصبنة أخرى تعمل أيضًا في يافا، ولا يُعرف مكانها. ربما كانت هذه مصبنة بملكية لأفراد من عائلة دباس، وهي عائلة يافاوية ثرية ذات أملاك واسعة وتعمل على مقربة من مصبنة دامياني، وبجوار الموقع الذي كان ينشط فيه **"نادي الخليفة"** على مدى العقود القليلة الماضية.

مصبنة مركز أوري چيلر: في عام 2018 ظهرت في يافا مصبنة لإنتاج صابون زيت الزيتون لم تكن معروفة حتى الآن. وكشفت المصبنة في مساحة كبيرة في الطابق الأرضي في مبنى مشيّد بالحجارة، في شارع مزال آريه 7، جنوب البلدة القديمة. يظهر المبنى في عدد من الخرائط والصور التاريخية، وأقدمها - من عام 1870. ومع ذلك، استنادًا إلى أسلوبها، ربما يرجع تاريخها إلى القرن الثامن عشر، حيث أعيد بناء المدينة بعد قرون من الإهمال. خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، خضع المبنى لعدة تغييرات معمارية. ويبدو أن المصبنة أدمجت فيه خلال إحدى مراحل استخدامه الفرعية واستمر العمل حتى عام 1948. والدليل على وجود المصنع في فترة الانتداب هو استخدام الجص الإسمنتي في بعض المرافق. انتشر استخدام الإسمنت في فترة الانتداب، بينما في الفترة العثمانية استمر الاستخدام القديم للجص المصنوع من الكلس.

هوية أصحاب المصبنة غير واضحة. بافتراض أن هذا المصنع هو واحد من ستة مصانع مثبتة في وثيقة 1930، وباقتطاع مصابن حنا دمياني وعائلة دباس الذين كانوا يقطنون في منطقة واحدة من المدينة، بقي معمل محمد شمس الدين ذباح. الإخوة السيد وبشارة أبو الحاف وابنه. يمكن الافتراض أن المعمل في مركز أوري چيلر كان ملكًا لواحد من هؤلاء المنتجين الثلاثة.

القاعة التي تقع فيها مرافق الإنتاج مغطاة بأقبية حجرية متقاطعة تستند على ستة أعمدة ضخمة. مخطط القاعة - نوع من شبه منحرف غير كامل، بمقاييس 17.00 × 19.10 × 18.60 × 18.90 م. يبلغ ارتفاع القاعة من الأرضية إلى قمة القناطر حوالي 4.50 م. استخدم عدد من المالكين المكان لعقود من الزمن، منذ توقف الإنتاج في المصبنة، للتخزين وفي بعض الأحيان تُرك فارغًا. في عام 2016، اشترى القاعة السيد أوري چيلر لغرض إنشاء مركز زوار، حيث سيتم عرض العناصر المتعلقة بعقود من النشاط غير العادي في البلاد والخارج. وفقًا لما يقتضيه القانون، فيما يتعلق بالمواقع الأثرية المعلنة، نسق السيد چيلر العمل لإنشاء مركز الزوار مع سلطة الآثار، والتي وضعت مفتشين من قبلها حسب الحاجة. أثناء العمل على إزالة النفايات المتراكمة في القاعة، كشفت مجموعة من المنشآت (الشكل 11) بالقرب من الجدار الجانبي الشرقي، والتي تضمنت أربعة مكونات رئيسية ذات علاقة مؤكدة بصناعة الصابون:

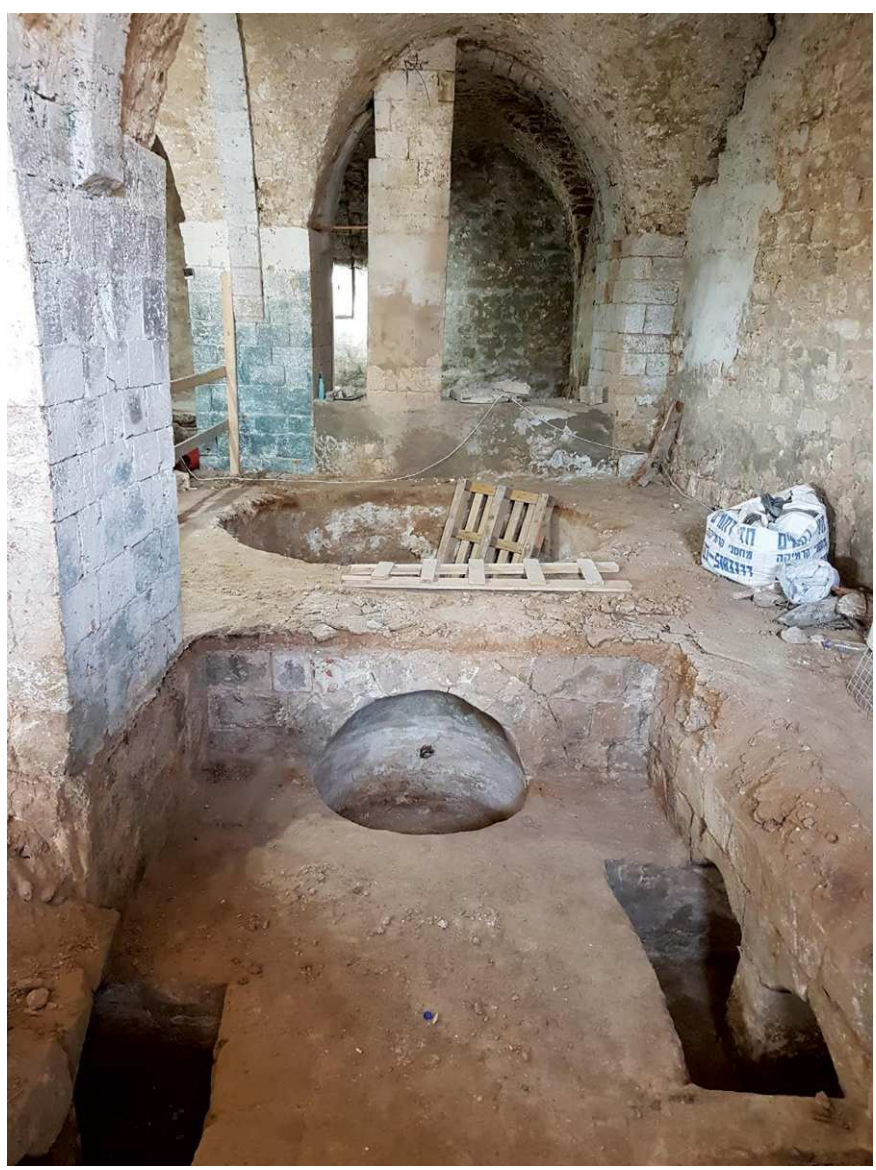

الشكل 11. بقايا أحواض خلط المواد المخثرة ومرجل طهي الصابون في مصبنة مركز أوري غيلر (تصوير: الكاتب، 2018).

1. حوض دائري مبني من الحجر وبقطر واسع يوضع فيه مرجل الطبخ.
2. حاويتان يغطيهما الجص لتخزين وخلط مواد التخثر المجاورة جنوب حوض المرجل.
3. خزانان من الجص، عميقان نسبيًا، مبنيان جنوب خزانات مواد التخثر. يمكن التقدير أنه في هذه الخزانات، تم تركيز الماء والكلس، الضروريين لإعداد العجينة المتخثرة.
4. تجويف تحت الأرض شمال حوض المرجل، حيث تم تخزين كميات كبيرة من الجفت ومواد الاشتغال، كما يتضح من ممر قصير بين التجويف وغرفة الاحتراق أسفل الحوض. السقف المقبب لهذا الفضاء منهار.

هذه المكونات هي نموذجية لمصانع الصابون في أواخر الفترة العثمانية وفترة الانتداب، وبعضها مماثل في مصابن دامياني وحسونة والفار.

أثناء تنظيف مرافق المصبنة، تم اكتشاف عدد من العناصر، ربما كان بعضها مرتبطًا بنشاط المصبنة. ومن بين المكتشفات حذاء ثقيل وعالي النعل يتكون تجويفه من سعف النخيل. لم تكن الأحذية ذات النعل العالي غريبة على المشهد في فلسطين إبان الفترة العثمانية، وقد أعدت لإبعاد أقدام المنتعل عن القذارة التي ميزت شوارع مدنها. عمال صناعة الصابون يفضلون هم أيضًا تقليل التلامس بين أقدامهم والمخلفات الزيتية التي تراكمت على الأرضيات قدر الإمكان. قد يكون هذا النوع من الأحذية نادر، مصنوعًا خصيصًا للعمل في المعاصر والمصابن.

تم العثور على مصفاة معدنية دائرية في قاع حوض الطهي. من موقع الاكتشاف وقطر المصفاة المتوافقة مع مقطع متصدّع حول فتحة الأنبوب الذي يصرف الماء من مراحل الطهي في المرجل إلى مرفق الخزانات، يمكن التقدير أنه وُضع أصلًا، لهدف تنقية المياه من النفايات الصلبة. كما عثر على جرة فخارية كاملة بلون رمادي، المميز لمنتجات المعامل في غزة، وغليون تدخين من الفخار، وكلاهما قطع شائعة في مجموعات الفخار من الفترة العثمانية المتأخرة بقيت باستخدام محدود حتى خلال فترة الانتداب.

غربي مرافق الطهي وخلط المواد كانت الأجزاء الأخرى من القاعة، حيث لم تكن هناك مرافق أو تقسيم داخلي. من المحتمل أن تكون طبقة من الصابون قد سُكبت على أرضية الصالة في نهاية طهيها، قبيل تخثرها الأولي، وتقطيعها إلى قطع وختم شعار المصنع عليها. وربما هنا تكدست قطع الصابون بعد التقطيع والختم، قبل التجفيف النهائي والتعبئة. ومع ذلك، هناك أيضًا احتمال أن تكون هذه الأعمال قد تمت في قاعات أخرى في المبنى أو على سطح المبنى أو في محيطه.

في عام 2016، عثر على مساحتين تحت الجزء الرئيسي للقاعة مسقوفتين بأقبية أسطوانية. ارتفاع الفراغات - أكثر من ثلاثة أمتار. طول الحيز الشمالي، وهو الأصغر بينهما، 3.60 م وعرضه 2.60 م. وأبعاد الفراغ الجنوبي - 5.90 و3.45 م. جدران الفراغين مبطنة بالحجر الجيري المنحوت. هذا النوع من الصخور غير متوفر في المنطقة الساحلية، ويتم إحضاره من منطقة أخرى، ويتناسب أسلوب البناء وحجم وشكل الأحجار مع الطراز العثماني المتأخر في يافا. لم يكن اتصال بين الفراغين وأتيح الوصول إليهما بواسطة السلالم التي دُليت عبر فتحات مربعة إلى أرضية القاعة في الطابق الأرضي. كانت المساحات كبيرة من حفر الصرف الصحي في ذلك الوقت، وهي معروفة من عدة مواقع في يافا. كانت جدرانها وأرضيتها تفتقر إلى طبقة من الجص اللازم لخزانات المياه. لذا، يبدو أن المساحات كانت تستخدم للتخزين، ربما لحزم رماد النباتات، وطلبات الكلس وخاصة أوعية زيت الزيتون المعد لإنتاج الصابون. ووفقًا للأدلة الشفهية، فقد استخدمت المساحات لتخزين المنتجات الغذائية، حتى بعد الرحيل من المصبنة.

غربي مركز أوري چيلر، (شارع الحوت 2)، يوجد مبنى كبير آخر من نفس الطراز. توجد في هذا المبنى صالة عرض ذات أربعة مستويات، بملكية الفنانة إيلانا چور، وغربي الصالة كنيس صغير لجالية القادمين من ليبيا، والتي تأسست عام 1949. ويرتبط هذا المبنى بالصناعة اليافاوية صابون زيت الزيتون.

ملخص

في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، اتسعت صادرات الصابون من فلسطين إلى أبعاد غير مسبوقة. ولتلبية الطلب، استهلكت صناعة الصابون المحلية كميات كبيرة من زيت الزيتون بحيث أصبح من الضروري استيراد الزيت للطعام من سوريا. يقول هيوايستون: إن المعامل - على عكس المصانع الكبيرة - "تميل إلى الهبوط بشكل فردي، ومن الصعب توقع أو تحديد إغلاقها مسبقًا حتى تقع فيه". ولكن على عكس المعامل الفردية في إنجلترا في القرن التاسع عشر، والتي تناول فيها الباحث في مقالته، كانت مصابن فلسطين، حتى لو كانت صغيرة نسبيًا وموزعة بين عديد من المالكين، جزءًا من صناعة شاملة. عوامل خارجية أضرّت بمصابن اللد ويافا قوّضت هي الأخرى بنابلس والقدس. تم تحديد هذه العوامل أيضًا في وقت حدوثها، وهي أكثر وضوحًا بمنظور تاريخي. بعد الحرب العالمية الأولى وأثناء الانتداب البريطاني على فلسطين، ازداد إنتاج الصابون في مصر بشكل كبير من زيت بذور القطن، وهو أحد المحاصيل الرئيسية في تلك البلاد. من أجل دعم الزراعة والصناعة المصرية وخفض سعر المنتج الشعبي، الذي ينتج الآن من مادة خام محلية شائعة ومتاحة، فرضت السلطات المصرية ضرائب كبيرة على الصابون المستورد. كانت مصر ولا تزال وجهة التصدير الرئيسية لصابون فلسطين، وكان تأثير انخفاض الطلب هناك، إلى جانب الضرائب الجديدة، محسوسًا جيدًا. وانحرفت التأثيرات حتى عن التجارة المباشرة بين البلدين. من بين الصادرات المصرية إلى أوروبا، في أوائل القرن التاسع عشر، أدرج ويتمان الأرز، البن، الأصباغ، الأدوية، الحرير والفواكه المجففة، وكذلك الزيت والصابون. على افتراض أن الصابون، الذي اشتراه التجار المصريون من فلسطين، لم يعرض للبيع في أسواق القاهرة والإسكندرية، ولكن تم تداوله في الشبكات العالمية التي تطورت على مدار القرن. كما أضر التراجع الحاد في الطلب المصري على صابون زيت الزيتون من البلاد بهذه التجارة المستمرة.

من العوامل الأخرى التي أثرت سلبًا على الصابون التقليدي في فلسطين، كان إنشاء مصانع الصابون الحديثة، بما في ذلك خط إنتاج الصابون القائم على التقنيات الجديدة، والتي أدمجت في مصنع **"شيمن"** في حيفا، وهو مصنع تأسس عام 1922. أنجعت المكابس الهيدرولية ومحركات الديزل الإنتاج بشكل كبير في هذه المصانع وزادت إنتاجها. وتجدر الإشارة إلى أن مصنع شيمن أمضى عقدين من المحاولات اليهودية الأقل نجاحًا في هذه الصناعة. بدأت هذه المحاولات في مطلع القرن العشرين، مع إنشاء مصانع الصابون، التي لم تدم طويلاً في بن شيمن وموتْسا. واستمر مع إنشاء مصنع الزيت والصابون في حيفا على يد شركة **"عَتيد"** عام 1906. أغلق هذا المصنع عام 1910، رغم استمرار إنتاج الصابون على نطاق ضيق هناك بعد سنوات قليلة، وتجدر الإشارة إلى شهادة أبو رجب حسونة، المذكور أعلاه، وبموجب ذلك استشار المبادرون في مصنع بن شيمن أفراد عائلته قبل إنشاء المصنع، ويبدو أنهم ساعدوهم ايضا في عملية التأسيس، وكانت نتيجة التعاون سنوات من العلاقات الطيبة بين الطرفين، اليهود ذوي العلاقة وأفراد الأسرة.

اليوم، تلاشت صناعة صابون زيت الزيتون تقريبًا من المشهد في البلاد. من بين عشرات المصابن التي كانت تعمل في البلاد خلال الفترة العثمانية والانتداب، بقيت اثنتان فقط تعملان اليوم: مصبنة طوقان ومصبنة عاشور، وكلتاهما في نابلس. تستمر هذه المصبنة في إنتاج الصابون بالطرق التقليدية، مع الحفاظ على التقاليد ذات الألف سنة من هذه الصناعة في المدينة. هذا لا يعني أن صناعة الصابون في نابلس تحتضر. إذ يُعرض صابون زيت الزيتون التقليدي للبيع في الأسواق العربية، وأسواق السلطة الفلسطينية. يتم استبدال المصابن التقليدية في نابلس بمصانع جديدة تبيع منتجاتها للسوق المحلية والسواح الذين يزورون المدينة، وبعضها ينتج أنواعًا مختلفة من الصابون، بما فيها الصابون السائل.

مدينة اللد صباح الجمعة 26 حزيران 1936

دكتور توفيق دعادلة، الجامعة العبرية في القدس

في يوم الجمعة، 26 يونيو 1936، استقل طيار إنجليزي طائرة، على الأرجح في مطار اللد، الذي تم إنشاؤه خلال فترة الانتداب البريطاني للبلاد، والتقط صورة جوية لمدينة اللد. في إحدى الصور التي التقطت في نفس الرحلة، توقفت الساعة عند الساعة 9:20، صورة بالأسود والأبيض، مدينة محاطة بالحقول، مكتظة المباني ومربوطة بشبكة طرق (الشكل 1). في هذه الصورة، يمكنك في الواقع رؤية مدينتين: إحداهما محاطة بنسيج كثيف، والأخرى مفتوحة وتمتد في جميع الاتجاهات. الأولى أُطلق عليها فيما بعد **"الحارة الشرقية"**، والثانية الممتدة على الجانب الغربي **"الحارة الغربية"**. تم بناء هذا الحي الأخير وفق مخطط لشوارع متقاطعة وأحياء منظمة،

الشكل 1. تصوير جوي لمدينة اللد عام 1936 (أرشيف سلطة الآثار).

منازلها الخاصة مجاورة للحدائق. على الرغم من تطور نواة المدينة في الغرب والجنوب، الذي ابتدأ قبل دخول البريطانيين إلى المدينة، إلا أن تطورها اكتسب زخمًا في أيامهم.

يبدو شكل مخطط المدينة القديمة كمثلث مكتظ في المباني، تمرّ بينها خطوط رفيعة يمكن رؤيتها بصعوبة على هذا الارتفاع الذي التقطت منه الصورة. في أجزاء من صورة المدينة يمكنك رؤية الأحياء المحاطة بالشوارع من حولها. يبدو أن هناك أيضًا شارعان أو ثلاثة شوارع رئيسية. أحد الشوارع يشطر المدينة من الشمال إلى الجنوب ويصل حتى منطقة المسجد في الجنوب. يمر شارع آخر أمام الخان المنتصب في وسط المدينة. من المحتمل أن يكون سوق المدينة المركزي في هذا الشارع.

يمكن أيضًا أن نرى في الصورة، أن المدينة القديمة كانت محاطة بشارع دائري، باستثناء الغرب. ويسمى الجزء الشمالي من الشارع في الخريطة **"طريق الحمزة"**، نسبة إلى حقول الحمزة وخزان مياه يقع شمال الشارع، ويسمى أيضًا **"بئر الحمزة"**. ومن الغرب يتصل الشارع الدائري بثلاثة شوارع شطرت المدينة من الشمال إلى الجنوب، وبينها أحياء سكنية مقسمة إلى مستطيلات. على طول الضلع الطويل من كل مستطيل، هناك منازل تشكّل غلاف المستطيل بينما تتكون المنطقة الداخلية من حدائق المنازل. هذه المنازل تابعة إلى توسيع المدينة الذي كان في ظل حكم الانتداب. في إحدى نقاط التماس بين البلدة القديمة وبين قسمها الجديد في الغرب، هناك دوار فيه ينتصب مبنى البريد والبلدية. يظهر في الصورة دوار آخر عند تقاطع الشارع الدائري بجانبه الشمالي مع شارعين من بين ثلاثة الشوارع الغربية الجديدة. يمتد هذا الدوار أمام مسجد دهمش، الذي بناه خليل دهمش، أحد أثرياء المدينة، الذي قرر بناء مسجد لأبناء المدينة من أمواله الخاصة، بالإضافة إلى المساجد التي كانت قائمة في البلدة القديمة.

داخل هذين النسيجين، المدينة القديمة والمدينة الجديدة، كانت هناك حياة نشيطة حول الأسواق، مرافق الترفيه، الأراضي الزراعية، مصانع المنتجات الزراعية وغيرها. يمكن للمرء أن يتعلم القليل عن هذه الحياة من خلال دراسة عدد من الصور الجوية والصور العادية، ومن مخطط المدينة الذي تم وضعه عام 1929، وبقيت عليه علامات عدد من المباني. يمكن للمرء أيضًا أن يتعلم من الكتب العديدة التي تم نشرها في العقد الماضي، ودوّنت فيها شهادات لسكان المدينة الذين ولدوا وعاشوا هناك حتى ترحيلهم في يوليو 1948. تم جمع معظم الشهادات في كتاب مصطفى محمد الفار الذي نشر عام 2009 **"دولة اللد"**. يحتوي الكتاب على معلومات عن العائلات التي عاشت في المدينة، الشوارع، شركات النقل، المصانع والمحلات التجارية، النوادي والمدارس وغيرها من جوانب الحياة الاجتماعية. تتعلق معظم المعلومات الواردة في الكتاب بالمدينة الجديدة. في حين تم الكشف مؤخرًا عن معلومات متعلقة بالبلدة القديمة من وثائق المحكمة الشرعية، سجل محكمة اللد، التي كانت قائمة في المدينة، ويوثق هذا السجل أنشطة المحكمة بين العامين 1875 و1876.

تصف الأشياء المعروضة هنا صورة أولية من المعلومات التي تراكمت لدينا خلال السنوات التي بدأنا فيها بالتنقيب الجماهيري في مدينة اللد. على مر السنين، والى جانب التنقيبات، بدأنا في مسح ميداني لمباني المدينة، وزيارة الأرشيف بحثًا عن معلومات عن المدينة. هذه المعلومات، بالإضافة لنتائج التنقيبات، تلقي الضوء على ماضي مدينة صاخبة ومفعمة بالحيوية، وفي الفقرات التالية اخترنا وصف خطوطها العامة إلى جنب عدد من المباني التي كانت قائمة فيها.

المدينة القديمة

تم تدوين أسماء الشيوخ بجوار المباني التي دفنوا فيها على خريطة المدينة التي تم إنتاجها عام 1929 (الشكل 2). تضمنت بعض هذه المباني، بجوار الضريح، أيضًا زاوية، أي مبنى تجمع فيه الصوفون للصلاة. كانت هذه المقابر جزءًا من الأماكن المقدسة، التي زارها سكان المدينة كجزء من شعائر دينية شعبية، وما زالت قائمة حتى

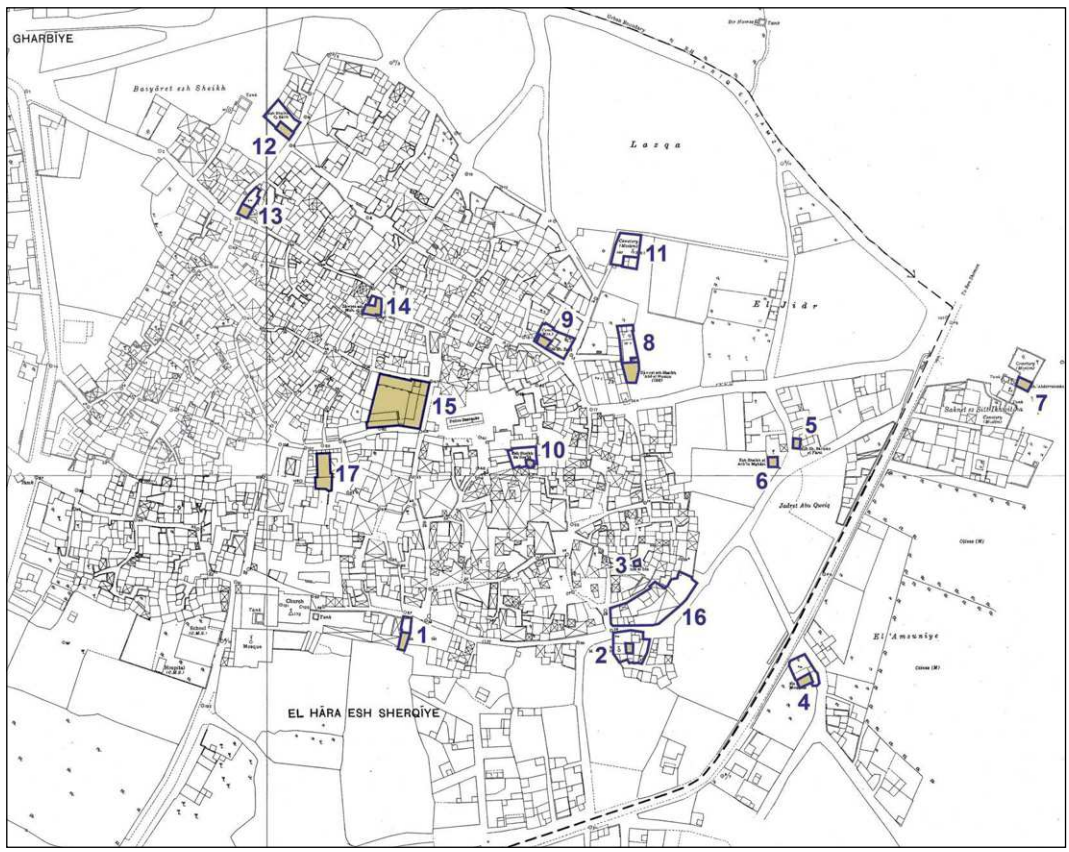

الشكل 2. خريطة اللد عام 1929 وعليها ارقام المباني المركزية.

يومنا هذا. قام توفيق كنعان، الطبيب وعالم الأنثروبولوجيا الذي عمل خلال الانتداب، بتحرير أحد أقدم الأعمال المتعلقة بالطقوس والأضرحة في البلاد، واصفًا ما حدث حولها وبداخلها. إذا تمكنا من الذهاب في جولة وراء خطوات القديسين في المدينة، فسنبدأ من دوار الكنيسة والمسجد، وسنتقدم شرقًا ونحيط المدينة بعكس اتجاه عقارب الساعة. الأضرحة التي كنا سنتوقف عندها هي: ضريح الشيخ عويدات الأنصاري (الشكل 2: 1)، ضريح محمد فالح (الشكل 2: 2)، لا يزال قائمًا جنوب مصبنة حسونة، الشيخ أم الهدى (الشكل 2: 3)، ضريح النبي مِقداد (الشكل 2: 4)، داخل منطقة زراعية تسمى العمسونية، له واجهة مفتوحة الى الطريق المؤدية إلى مستوطنة بن شيمن، شمال النبي مقداد وبعد عبور حقل يسمى جدرة أبو كويك نصل إلى زوج من الأضرحة سُمّيت باسم سلمان الفارسي (الشكل 2: 5)، الذي يعشق أبناء الطريقة الصوفية النقشبندية، وله العديد من الأضرحة في جميع أنحاء الامبراطورية الإسلامية، وضريح شيخ الأربعين معازي (الشكل 2: 6). إذا عدنا مرة أخرى إلى الطريق الرئيسي الذي يوصل إلى مستوطنة بن شيمن ونتابع شرقًا نصل إلى ضريح الشيخ عبد الرحمن (الشكل 2: 7)؛ نعود إلى قلب المدينة ونصل الى زاوية الشيخ عبد المومن (الشكل 2: 8)، ليس بعيدًا غربًا من هناك يوجد ضريح الشيخ زكي (الشكل 2: 9)، إذا انحرفنا جنوباً عن الدائرة المحيطة ودخلنا قلب المدينة، نصل إلى ضريح سعد وسعيد (الشكل 2: 10) ولهما أضرحة أخرى في جميع أنحاء البلاد، مثل ذلك الذي يقع شمال باب العمود في القدس. نعود وفق اتجاه عقارب الساعة، شمالًا للضريحين نجد ضريح الشيخ نجم الدين (الشكل 2: 11) وبجانبه مقبرة صغيرة. إلى الغرب

وفي قلب المدينة ينتصب ضريح الشيخ محمد الجسر (الشكل 2: 14)، في الطرف الغربي من المدينة المزدحمة ينتصب ضريح الشيخ صالح (الشكل 2: 12) هناك من يقول إنه ينتمي لعائلة النقيب التي تسكن في المدينة حتى يومنا هذا. ليس بعيدًا، وإلى الجنوب الغربي، ينتصب مقام أخرى للشيخ فزع (الشكل 2: 13) وهو الأخير في سلسلة من ثلاثة عشر أضرحة شيوخ على الأقل يمكن زيارتها في اللد في تلك الجولة الخيالية. ولكن مع القائمة الطويلة التي أمامنا، ربما لم تنته الجولة. تضم قائمة ممتلكات الوقف في مدينة اللد، المدونة عام 1872، ضرحين لشخصين آخريين: الشيخ حسين العلمي والشيخ شمعون، اللذين لم يرد ذكرهما في خريطة المدينة البريطانية.

ليس من المستغرب أنه في بلدة صغيرة مثل اللد كان هناك الكثير من الأضرحة، حيث أن مبناها التذكاري الرئيسي هو كنيسة القديس جاورجيوس أو الخضر، كما يسميها سكان البلدة والمنطقة المحيطة بها. الأسطورة التي أصبحت عقيدة، كما يقول الخضر، كان واحد من سكان المدينة الطيبين، الذي وجد حتفه كقديس في الفترة الرومانية، بعد أن دعا إلى دين يسوع بن مريم قبل قبول المسيحية كدين الامبراطورية. تقول الأسطورة إن الخضر أنقذ فتيات المدينة من التمساح الهائل الذي عاش في النهر بالقرب من المدينة. كان هذا التمساح يطالب كل عام بأجمل عذراء مقابل عدم التسبب في فيضان النهر وإغراق المدينة. وفّر أهل المدينة ما شاء حتى دس الخضر رمحه وافتدى بنات المدينة من مخالبه. منذ ذلك الحين، يزورون الضريح أهل المدينة، وكذلك أبناء قرى بعيدة، ويصلون من أجل الخضر ويطلبون بركته لأنفسهم. كانت الصلاة والحج من الأمور المعتادة، ولا تزال تقبع في قلوب سكان المدينة المسلمين، حيث إن إضاءة شمعة في ضريحه تجلب لهم الفضائل أيضًا. وهكذا في مدينة سُمّيت في الفترة الصليبية "**القديس جورج**"، ليس من الغريب وجود العديد من الأضرحة المقدسة التي يمكن أحيانًا طلب بركة منها.

تضمنت بعض هذه الأضرحة مسجدًا كان يستخدم أحيانًا كمكان لتجمع الصوفيين. كان الصوفيون ينتمون إلى طريقة معينة يرأسها شيخ ورث الطريقة وتدرب على الصلاة الصحيحة والمباشرة إلى الله وفق التقاليد المعروفة، ويرجع نسبه إلى ذرية النبي محمد، صلى الله عليه وسلم. بالإضافة إلى الصلوات العادية التي يؤديها كل مؤمن مسلم يوميًا، يتوجه إليها المريدون الصوفيون أيضًا في حلقات ذكر، صلوات وتلاوة اسم الله بنغمات معينة. يسعى الصوفي الحقيقي جاهد للتخلص من الملذات الجسدية اعتقادًا منه بأنها تتعارض مع الإصغاء الخالص إلى الله. تكشف برامج ومصادر أخرى أن الصوفيين كانوا جزءًا أساسيًا من نسيج حياة اللد التاريخية.

السؤال المثير للاهتمام هو كيف جرت الحياة في الطرق التي ربطت بين مباني الأنسجة الحضرية، وأضرحة الشيوخ هم حالة اختبار ممتازة لذلك - حيث تعلمنا عن الروابط بين قبور الشيوخ والنسيج الحضري، ولكنها أيضًا تربط اللد بالمنطقة الإسلامية المحيطة. أحد هذه الأضرحة هو ضريح شيخ صوفي يُدعى الشيخ محمد الجسر الذي كان أيضًا بمثابة زاوية أو خلوة تجمع فيها الصوفيين. ولد الشيخ محمد الجسر (1792–1845) في عائلة أصلها من مدينة دمياط المصرية، وكان شيخاً للطريقة الخلوتية الصوفية في مدينة طرابلس اللبنانية وفي سائر بلاد الشام. تتلمذ الشيخ محمد في طرابلس على يد الشيخ الصوفي المعروف عبد الله النقشبندي الدبا. بعد تخرجه من طرابلس نزل إلى القاهرة للدراسة في الأزهر. بالتوافق مع دراسته، انتمى الشيخ إلى الطريقة الصوفية الخلوتية، وتتلمذ على يد الشيخ أحمد الصاوي (1761–1825) الذي كان شيخ الطريقة الخلوتية-البكرية في مصر ومعلمًا محترمًا في جامعة الأزهر. بتوجيه من الشيخ أحمد الصاوي، اجتاز الشيخ الجسر الأقسام السبعة (المقامات)، وهي المحطات التي حسب الطريقة الخلوتية يجب أن يمر بها المتتلمذ بطريقة باطنية ليصل الى التوحد مع الله.

إنتقل الشيخ محمد من مصر إلى قرية بيت دَجَن (بيت دجان حاليًا)، وسكن في خلوة صغيرة بالقرب من مسجد القرية، وفيها درّس وأرشد الصوفيين. كما علمنا أن الشيخ محمد الجسر كان أحيانًا يشارك صديقه الشيخ محمد الرفاعي، ويخرجان لزيارة مريديهم وجمعاتهم التابعين إلى الطريقة الخلوتية في جميع أنحاء لبنان، فلسطين ومصر. خلال هذه الجولات نشروا أسس الطريقة وأعدوا مشايخ للطريقة الخلوتية في المدن والقرى. التقوا

الشيوخ مع جماعاتهم في زوايا شبيهة بتلك الموجودة في بيت دجن، أو ربما في مسجد، وهناك احتمال أن يكونوا قد التقوا بهم في أحد مقامات الشيوخ القريبة. هذا ما حدث في اللد حيث ضريح الشيخ محمد الجسر القائم في إحدى الزوايا.

يظهر في الصورة الجوية مقام على الطريق الرئيسي الذي يشطر المدينة القديمة من الجنوب، منطقة دوار الكنيسة والمسجد الذي يتقاطع مع سوق المدينة الذي يشطر المدينة من الشرق إلى الغرب ويمر أمام خان الحلو، وتستمر شمالًا خارج المباني السكنية الكثيفة (الشكل 2: 14). في النصف الشمالي من الطريق وعلى جانبه الشرقي، ينتصب هناك مجمع قبور محاط بالشوارع من جميع الجهات. احتوى المجمع على مقام، مسجد، غرفة صغيرة، سلالم تؤدي إلى السطح وفناء.

فلنعد الآن إلى الشيخ محمد الجسر وآخر أيامه في مدينة اللد كما نقله ابنه حسين في قوله:

"أرجع إلى ما قال إخواننا وأعمامنا عما فعله الشيخ [محمد] في اللد. قالوا إنه في اليوم الذي غادر فيه اللد إلى القدس، قال الشيخ لإخواننا "لن يأكل أي واحد منكم وجبة الإفطار على حسابه، سوف أطعمكم". أرسل ليشتري من السوق الخبز، الجبن والخيار ومدهم كوجبة في ليوان الزاوية الشرقي المذكورة بقدرة الله سيقبر فيها. أقام مأدبة طويلة تشبه القبر، ودعا ضيوفه لتناول الفطور، وعلق كشكوله [وعاء صوفي] فوق رؤوسهم وقال للشيخ حسين الدجاني "هنا سيدي علقنا الكشكول" ... وسمعته يقول أيضًا أتلوا الفاتحة على روح محمد ... بعد الزيارة إلى القدس، إلى ضريح سيدنا الخليل [الحرم الإبراهيمي] وضريح النبي موسى، عاد إلى اللد مريضًا ودفن في نفس المكان الذي مد المأدبة فيها".

الزاوية التي دفن فيها الشيخ محمد أطلق عليها "**زاوية الصارم**"، وفيها ضريح الشيخ الناجي الذي كان وليًا (رجلًا مقدسًا) في المدينة. أي أن ضريح شيخ واحد، الناجي، يعمل كزاوية يجتمع فيها الصوفيون، ويقيمون فيها وجبة أخيرة تكريمًا لشيخهم محمد الجسر، وفي النهاية قبروه فيها، ومنذ ذلك الحين تحمل الزاوية اسمه "**زاوية الشيخ محمد الجسر**". ولكن بهذه لم تكتمل القصة. في يوم وفاة الشيخ محمد، طلب أن يعملوا حلقة ذكر، وفي نهايتها ختمها بالشهادة، وبعد ذلك سلّم روحه إلى الله. شهادة على حلقة الذكر، والتي ربما تشبه تلك التي وقعت في اليوم الأخير للشيخ، قدم الطبيب آريه ليون ماجرو، الذي عالج المرضى في مدينة اللد بين الأعوام 1919–1920 وشهد على بعض عاداتهم، وكتب:

ذات يوم جاء عبد الله وقال لي هامسًا: "اليوم لدينا حلقة ذكر"! لم أفهم بالضبط ما تعنيه الكلمة، ولكن عندما دُعيت للانضمام إليه قبلت الدعوة على الفور. قادني إلى مسجد صغير ليس بعيدًا عن منزلي. فيه صلّت جماعة معروفة من المؤمنين.

امتلأت القاعة بسرعة بالمشاركين. كانت المقاعد بجانب الجدران وكان المركز فارغًا. أضاء ضوء خافت من مصباح زيت الغرفة. صوت رقيق لعجوز انتشر في فضاء المسجد. قدم المشاركون، الشباب وقفوا في دائرة، وبيد كل واحد بيد جاره، وقاموا بحركة إيقاعية. ثم تفرقوا وعادوا إلى حركتهم السابقة. في البداية تلوا الآيات بصوت هامس ثم بصوت عالٍ. ببطء ارتفعت أصواتهم وزادوا في القراءة وكلما ارتفعت أصواتهم أصبحت الكلمات ضبابية، وسمعوا أنفاسًا ثقيلة فقط. إحمرت عيون الشباب. زادت حركاتهم ودخلوا في حالة من الحماس الشديد. لبضع دقائق بدأ جميع المشاركين في تكرار الحركات السريعة كرجل واحد مصحوبة بأنين الحلق العميق. بعد ربع ساعة، أبطأ المشاركون حركاتهم وخفضوا أصواتهم. انتقلوا ببطء إلى حركات خفيفة، ومسكوا بأيدي بعضهم البعض مرة أخرى، ووقفوا في مكانهم شاحبين ومتعبين. فجأة، سُمع مرة أخرى صوت العجوز الرقيق، وهو يقرأ آيات القرآن. رويدًا رويدًا تلا صلاته والآيات القرآنية، وبعد بضع دقائق توقف عن ترديدها. هكذا أختُتم "**حفل الذكر**".

هنا سمح لنا الدكتور ماجرو بالاستماع إلى أصداء الأصوات في أحد هذه المباني، التي كانت داخل المدينة المزدحمة. وكذلك الخروج من الغرفة إلى الفضاء المفتوح، دون لمس قبور مختلف شيوخ المدينة، كلمات حسن بن محمد الجسر، الذي يروي ما حدث خلال جنازة والده. بعد وفاة الشيخ محمد، صلوا من أجل روحه وانطلقوا في موكب جنازة نحو القبر الذي تم حفره مسبقًا. لكن بقوة المعجزة، تم تحويل موكب الجنائزي عن الطريق المباشر المؤدي إلى القبر. كجزء من الكرامات الخارقة للشيخ، بينما كنا في عداد الأموات، قاد حاملو التابوت إلى قبور مختلف الشيوخ الذين كانوا في المدينة كطريق للزيارة، ثم واصلوا طريقهم نحو الرملة. عندما رأى أهالي الرملة اقتراب موكب الجنازة، فرحوا لأن الشيخ أراد أن يُدفن في منطقتهم، لكن أهالي اللد لم يوافقوا، وبدأ نزاع بينهم. وبعد جدال تم الاتفاق على ترك الخيار للشيخ: إذا مر ببئر الزئبق (الشكل 3)، الواقعة على الطريق بين الرملة واللد، يدفن في الرملة. وأخيرًا وبعد خروجه من اللد ووصوله إلى حدود الرملة، وافق المغفور له شيخ الجسر لتوسلات صديقه العزيز الشيخ حسين الدجاني، ووجه موكب الجنازة إلى زاوية الصارم في اللد، ودفن هناك.

يمكن تعلّم عن الغيرة الشديدة والجدل حول أضرحة القديسين بين أهالي اللد والرملة من القصة الشهيرة على أصل النبي صالح. كان مقام النبي صالح، بجوار الجامع الأبيض في الرملة، وكانت عادة فلاحي الجنوب والمركز زيارته كل ربيع، قبل بدء موسم الحصاد. يعرض موشيه ستافسكي في كتابه **"القرية العربية"** جوهر القصة التي يسميها أسطورة الحلم:

"عظيم كان حسد مدينة اللد على جارتها الرملة، لأنها تشرفت بإيواء ضريح النبي صالح داخل حدودها. في إحدى المرات جاء أهل اللد إلى أحد الشيوخ الذي اشتهر بكونه صاحب كرامات، وطلبوا منه نصيحة حول كيفية نقل الضريح المقدس مع البرج من منطقة الرملة إلى منطقة اللد".

الشكل 3. بئر الزئبق.

استمع الشيخ الحكيم إلى طلبهم، وقرر في قلبه أن يخدعهم ويعاقبهم على خطيئة غيرتهم. أعطاهم حبلًا من صوف يتقلّص بالندى ويتمدد من حرارة الشمس، وقال: عندكم حبل سحري. إربطوه بالبرج واسحبوه نحو اللد. إسحبوا ولا تنظروا خلفكم، وقبل حلول النهار سيتم نقل البرج، وكل شيء أسفله إلى حدود مدينتكم.

في الفجر، وبينما كان سكان الرملة ما زالوا نائمين، جاء شباب من اللد، ولفوا الحبل حول البرج وشرعوا في شده بكل قوتهم، ووجوههم تتجه نحو اللد. ولما ابتعدوا مسافة طويلة من الرملة، اندلعت صيحات الفرح: شدّ الحبل شد قربت الرملة إلى اللد: شيطان الحبلة يد قرب الرملة. "سمع أهل اللد وخرجوا لاستقبالهم – ولكم ليس هنا برج ولا ضريح ... ومنذ ذلك الحين أضحت تلك الدعوة مثلًا، وعندما أراد شخص ما أن يعلن عن غباء أهل اللد، يقول: "**شيطان الحبل شد وقرب الرملة إلى اليد**".

ليس فقط ضريح النبي صالح انتصب في الرملة، بل كان هناك ما لا يقل عن ثلاثة عشر قبور شيوخ أخرى. بقي بعض هذه القبور حتى يومنا هذا وتشمل مباني أخرى إلى جانب القبور، بما في ذلك مسجد صغير وزاوية، أحدها زاوية الشيخ البسطامي. الشيخ أبو يزيد البسطامي الذي عاش في القرن التاسع في مدينة بسطام الإيرانية، وضع الحُبّ الإلهي في مركز التصوف، وعلى اسمه هناك زوايا عديدة في مدن العالم الإسلامي، وفي البلاد إلى جانب الرملة، فازت القدس أيضًا بالزاوية البسطامية. حظ الرملة، على عكس اللد، ومعظم القبور التي كانت قائمة هناك تم مسحها خلال فترة الانتداب البريطاني، ومنها نتعلم عن مواقعها في الرملة.

هكذا ضريح أبو العون الغازي داخل مسجد قائم يقع على الطريق الذي يربط يافا بالقدس (الشكل 4). باستثناء المسجد، يحتوي المجمع على حديقة وفيها قبور، سبيل في سور المجمع يواجه الطريق الرئيسي، وفوق المسجد توجد مئذنة صغيرة. على شاهد قبر أبو العون نقش: "مربي المريدين قدوة الممالك القطب الكبير العارف بالله تعالى... شيخ شيوخ السادة القادرية بالثغور الفلسطينية والمملكة الإسلامية". ألقاب أبو العون، الذي دفن عام 1504م، هي أوصاف لشيخ صوفي يتبعه مريدون، يتبعون الطريقة القادرية، وكان أيضًا شيخ شيوخ الطريقة "**القطب**".

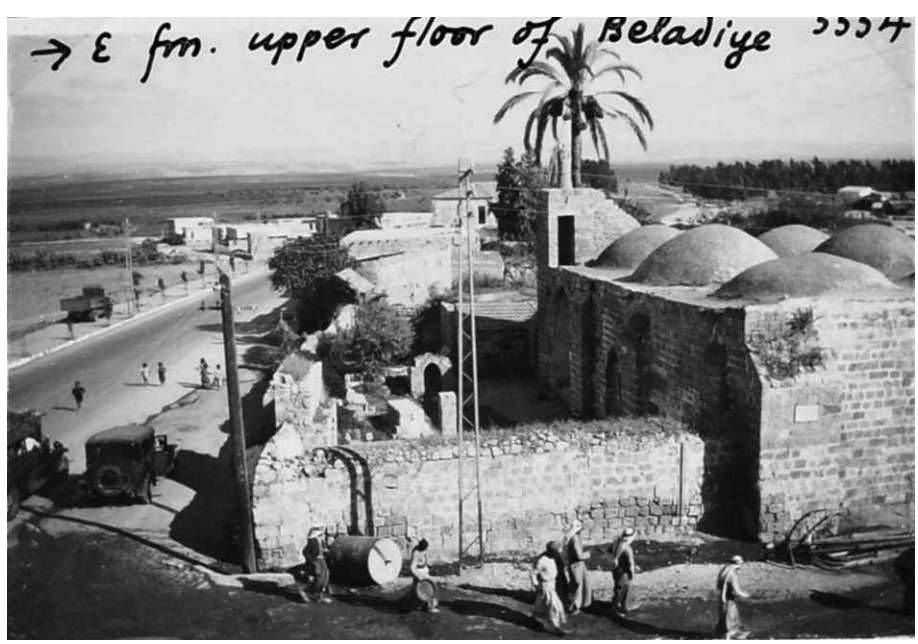

الشكل 4. قبر أبو العون في الرملة.

مجمع أصغر كان موجودًا أيضًا في الرملة هو ضريح الشيخ ريحان، الذي يضم بجانب الضريح المفتوح إلى فناء مسجد مستطيل، وغرفة صغيرة في زاوية المجمع (الشكل 5). يبدو أن معظم الأضرحة في اللد تشبه مجمع ضريح الشيخ ريحان أكثر من ضريح أبو العون، مما يعني أنها كانت صغيرة نسبيًا، مقارنة بتلك الموجودة في عاصمة لواء الرملة، حيث تشير البقايا إلى وجود المزيد من المباني تم تكريسها منذ العصر المملوكي. تضمنت هذه المباني أيضًا في بعض الأحيان مآذن مزخرفة وواجهات مرصعة بالأبلق، وحتى قبابها الرئيسية كانت مغطاة بالجص (الستوكو) الذي أدى إلى إنشاء مقرنصات مثل تلك الموجودة في مجمع ضريح أبو الفضل أو مجمع الشيخ رسلان.

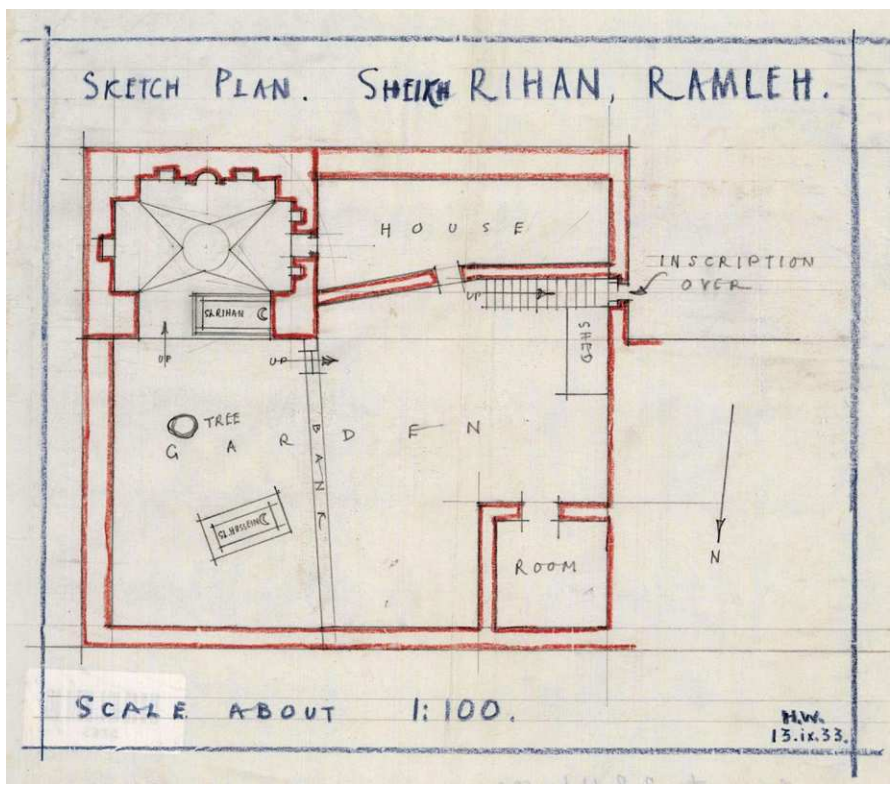

الشكل 5. مقام الشيخ ريحان في الرملة.

انتشار الأضرحة في الرملة وفي اللد في جميع أنحاء المدينتين، ومن الممكن أنها تبعت أحياء المدينة، بحيث يكون لكل حي قديس لها. أحد الأحياء الذي تميز بالتصوير الجوي للُد، هو حي تطور حول ضريح يُدعى أم الهدى (الشكل 6). في شرق المدينة، خارج المركز المكتظ بالأسواق، يمكنك العثور على حي مغلق على ضريح ينتصب في وسطه. يبدو أنه في وسط الحي لم يكن هناك مبنى، ولكن فقط عدد من الأشجار بجوار شاهد قبر. الشيء المثير للاهتمام هو طبيعة ترتيب مباني أو منازل الحي على شكل حلقة تحيط بالضريح. يمكن فصل أربع كتل تكوّن دائرة مركزها شاهد قبر وشجرة أو نخلة في ساحة مفتوحة تشكل دوارًا في وسط الحي. بالإضافة إلى الدائرة الأولى الأقرب إلى الضريح، كانت هناك دائرة أخرى، أو جزء من دائرة في المستوى الثاني والخارجي جزئيًا فصل بين الدوار وبين الحقول الممتدة من الشرق. أدى زقاق متعرج إلى الدوار، ويبدو أن الحي كان مغلقًا على نفسه، والمباني فيه كانت بمثابة جدار محيط به من الخارج، وفي نفس الوقت مقابله كانت محاطة بالأزقة. يجب الإشارة إلى أن الإغلاق النسبي للحي يشهد أن الحي هو وحدة منفصلة عن المدينة، وربما سكنه أفراد مجموعة واحدة أو عائلة واحدة. أما بالنسبة لتطوير الحي، فيمكن أن نتعلم من خلال مبنى لا يزال قائمًا في الموقع، وهو مبنى يقع في الدائرة الخارجية الثانية. هذا المبنى الذي يُعرف اليوم بمصبنة عائلة حسون، يتبع في مخططه الخط الدائري للحي، ومن هنا يمكننا الجزم أن بناءه تم عندما كانت الحلقة الأولى من المباني قائمة بالفعل في الموقع. يمكننا تمييز عدة مراحل بناء في المبنى، المرحلة القديمة ملائمة لمبان المحيط الدائري (الشكل 2: 16).

يتكون مجمع المصبنة من مبنى جدرانه من الحجر الجيري الأبيض، يختلف عن الأجنحة الأخرى. يتكون هذا المبنى بشكل أساسي من مصنع لإنتاج طحينة السمسم. تم بناء جزأين من المبنى بشكل يتوافق مع الشكل الحي دائري التقريب ومن ثم تم تكييفهما مع محيطه العام (الشكل 7). نظرًا لأن هذا الجزء هو أحد الأجزاء الأقدم داخل المصنع، فقد تم تصميم الحي أيضًا في مرحلة مبكرة، ولكن بصرف النظر عن التاريخ النسبي، ليس لدينا دليل على تاريخ محتمل لبناء الحي أو جزء منه.

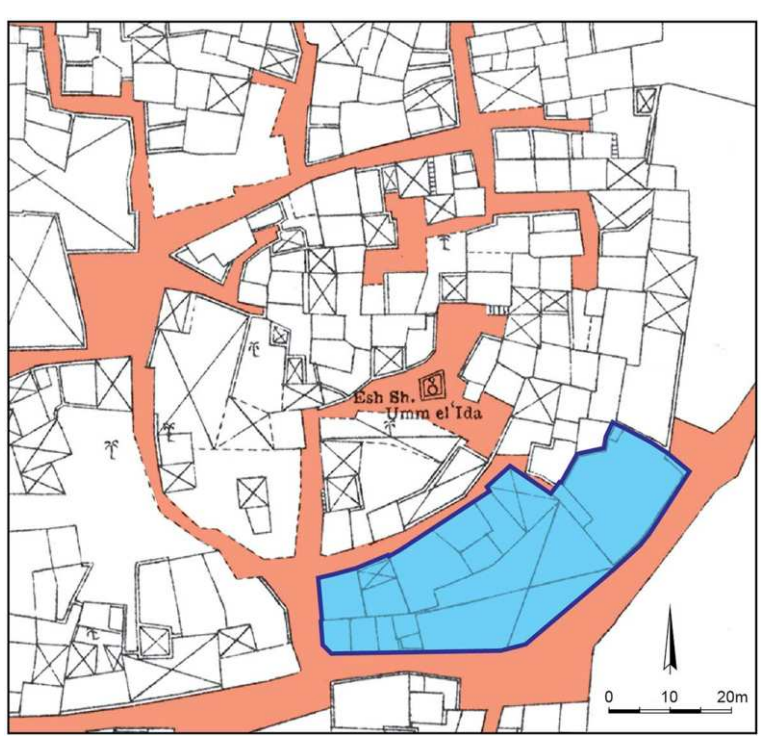

الشكل 6. خريطة حي أم الهدى ومصبنة حسونة في المربع الازرق.

الشكل 7. خريطة مصبنة حسونة.

شجرة أو أشجار مقدسة كانت في وسط الحي. تعتبر الأشجار المقدسة ظاهرة مألوفة في مختلف الأديان، وأيضًا في الإسلام أو الطقوس الشعبية. أنواع الأشجار عديدة، منها أشجار الجميز والبلوط، ولكن في اللد، الأشجار التي تظهر في الصورة هي أشجار النخيل. يوجد في مقام الأربعين مغازي نخلة، وفي الحديقة المجاورة لزاوية الشيخ عبد المؤمن شجرة نخيل. نتعلم المزيد عن الأشجار والمقامات من مذكرات عمر الصالح البرغوتي من قرية دير غسانة الذي يكتب عن المقامات التي كانت في قريته، ومنها تلك التي كانت أشجارًا قريبة منها، مثل، مقام الرفاعي الذي كانت بقربه شجرة كبيرة يستريح المارة تحتها.

إستطاع أهالي الحي، الذي نشأ حول أم الهدى، أن ينذروا النذور للولي المحلي، درعهم الروحي والمادي. يمكن أن يتركوا عنده محاصيلهم، ولم يجرؤ أحد على حمل حبة من الإنتاج لأن عين الولي المقدس تحرسها، وإلا فإن تلك العين ستؤدي إلى تدمير منزل من يحملها. هكذا يصف ستبسكي الحراسة تحت رعاية المقامات:

"يحتل المقام المقدس مكانة مهمة في حياة الفلاح العربي، ويستخدم أحيانًا كمقيّد وصارع اللصوص وقُطّاع الطرق. يُقسمون باسمه ويؤمنون به، وقصص من روايات مختلفة منتشرة في القرى عن **"انتقام"** الأولياء الصالحين من أولئك الذين يهينون اسمهم وشرفهم، ويقسمون باسمهم كذبًا، وينذرون النذور باسمهم ولا يوفون بنذرهم، يمسون الضريح بسوء، أو شجرة تنمو في المقام وكل ما حوله. من جفت يده، ومن ترك بيته، ومن مات حماره موتًا مفاجئًا، ولهذا يضع البعض أشياءً بالقرب من قبر الولي ويؤكدون أن لا أحد يجرؤ على لمسها".

الحَمّام

بدأت براعم التدخلات في جميع أنحاء المدينة بالازدهار مع نهاية فترة الانتداب، عندما ابتدأت عملية تغيير وجه المدن القديمة في البلاد، مثل بيسان، طبريا، نابلس، يافا واللد. تم ذكر هذه المدن وغيرها في رسالة بعث بها

مدير دائرة الآثار التابعة لحكومة الانتداب في البلاد، هاملتون، طلب فيها من مفتشيه أوري، مخولي، برامكي، وحسيني إجراء مسح للمدن في المناطق التي عملوا فيها. استجابةً لطلب هاملتون، أرسل أوري المسؤول عن اللد خطابًا يصف فيه العديد من المباني في المدينة التي تقع تحت مشاريع التطوير، حيث كان لدى بلدية اللد تخطيط لشق شبكة شوارع في المدينة التي ستمر أيضًا المدينة القديمة، دون الأخذ بالحسبان المباني القائمة على مسار المشروع. دار أحد النقاشات الصاخبة حول شارع سيمر أمام المسجد والكنيسة، حيث طلبت البلدية هدم دير الروم الأرثوذكس الواقع شمال الكنيسة.

يصف أوري بعض المباني الرائعة حسب رأيه، وبعضها منازل فخمة، مثل منزل عائلة درويش الذي يضم في الطابق الأول مصنعًا للصابون، ومنزل عائلة الفار، ذو القبة الفريدة المزينة حسب وصفه بمقرصنات. بجانب المباني الخاصة، يصف أوري الحمام في بضعة أسطر:

"الحمام- لم تتم زيارته من الداخل. واجهته مبنية من الحجارة المشذبة. الفراغات بين المداميك مغلقة بكسر حجارة وجص. على السطح، برج صغير مثمن أو فتحة للضوء. كل جهة تحتوي على قنطرة مغلقة".

جنوب السوق الذي يقسم المدينة القديمة من الشرق إلى الغرب، مارًا أمام خان الحلو (الذي كان قائمًا في وسط المدينة)، كان هناك حمام (الشكل 2: 17). في نفس المنطقة من المدينة يمكن أن نرى في الصورة الجوية مبنى فيه عدة قباب صغيرة وغرفة كبيرة مستطيلة مع قبة في مركزها. يجب أن نشير إلى أن ترتيب الغرفة المستطيلة، قبتان صغيرتان شمالها واثنتان أخريان بعيدًا إلى الشمال، تشير إلى وظيفة المبنى كحمام. بشكل طبيعي، تحتوي الحمامات على غرف مختلفة تسود فيها درجات حرارة مختلفة. بدايةً، يدخل المستحم إلى غرفة الملابس، حيث يخلع ملابسه اليومية ويتلقى المناشف. كانت هذه الغرفة، في الغالب، الأكبر في الحمام والأبعد من الفرن، وبالتالي فهي الأبرد. وهكذا أصبح الدخول التدريجي إلى حرارة الحمام ممكنًا. يمكن أن تكون الغرفة المستطيلة ذات القبة في مركزها، التي وصفها أوري، غرفة الملابس. من الممكن أيضًا أن تكون القبة الموجودة في مركزها هي التي وصفها أوري كبرج أو كفتحة إضاءة فيها قناطر على الجوانب. هذه الفتحة هي أيضًا نموذجية للحمامات. القبتين التاليتين بالترتيب التسلسلي بعد غرفة الملابس، قبتي غرفتان المياه الفاترة. من الممكن أن يكون شمالهما، في المساحة بينهما وبين زوج القباب التالي، غرفة إضافية مغطاة بعقد مصلب أو قبة منخفضة. يمكن أن تكون هذه الغرفة الوسطى والقبتان شمالها ممكن أن يكونوا الغرف الحارة في الحمام. وعادة تكون هذه الغرف ملاصقة للأفران.

عادة ما يكون للحمامات مدخلان، أحدهما المدخل الرئيسي إلى الحمام، يؤدي إلى الغرفة الرئيسية، غرفة الملابس، والمدخل الثاني في الجزء الخلفي من الحمام، ويستخدم للخدمة وكمدخل بشكل أساسي في منطقة الأفران. عادة ما يكون المدخلان متباعدين، يقعان على جوانب مختلفة من المبنى. اعتمادًا على موقع الحمام داخل النسيج الحضري، قد يكون مدخله من الغرب، عبر شارع مغطى بالمظلات، شارع يوجد فيه متاجر. في المقابل، كان الوصول إلى مدخل الخدمة عبر زقاق صغير من جنوب السوق الواقع شمال الحمام.

لا يزال الحمام في ذاكرة لاجئي المدينة، الذين يصفون غرفة الملابس الرئيسية وفي مركزها نافورة. أدت هذه الغرفة إلى أربع غرف داخلية أخرى. كانت أرضية الحمام مرصوفة بالرخام. بجوار الحمام يوجد بئر ساقية (أنتيليا) يديرها جمل أو بغل. ويقال أيضًا إنه يوجد في الحمام ممر تحت الأرض يؤدي إلى منزل قديم. في وثيقة، من عام 1872، يبدو أنه تم تأجير الحمام للسادة عيد ومحمد العتال، اللذين دفعا ضرائبه. يبدو أن الحمام انتقل إلى عائلة حامو، في وقت ما، وبقي في يده حتى خرابه.

في سجل المحكمة الشرعية، التي أقيمت في مدينة اللد، ورد ذكر الحمام في العديد بين الوثائق. ذكر في السياق الذي تم فيه وصف المباني التي كانت في جواره. في يوم الجمعة 5 نوفمبر 1875، اشترى الشيخ عوض ابن الحاج إبراهيم بسط، والدته فاتنة ابنة الحاج عبد الرحمن الوقح، منزل وثلاثة متاجر في سوق اللد، وكانت ساحة الحمام

تحدهم من الجنوب، ومن شرق الطريق الذي ينفتح إليها باب المنزل والمحلات التجارية، ومن شمال متاجر السيد رؤوف التاجي، ومن غرب الحمام متاجر السيد صالح التاجي.

ورد ذكر آخر للحمام في جلسة استماع للمحكمة الشرعية عُقدت يوم الجمعة 5 تشرين الثاني 1875. اشترى خلالها السيد عبد الرحيم الكاي من السيدة آمنة بنت محمد التاجي، والتي اشترت من شقيقها السيد عبد الرؤوف التاجي، ثلاثة متاجر مجاورة لسوق البازار في اللد، يحدها من الجنوب متجر الشيخ عوض بسط، من الشرق الطريق التي فتحت فيها البوابات، من الشمال متجر الحاج محمود الفار، ومن الغرب فرن الحمام. بالإضافة إلى ذلك، قام بشراء المحلين المجاورين في سوق البازار، يحدها من الجنوب فناء القهوة (المقهى)، من الشمال متجر الحاج محمود الفار ومن الغرب الطريق، حيث فتحات المتاجر.

من هاتين الشهادتين يمكن إعادة بناء بيئة الحمام الذي كان محاطًا بالمنازل، المتاجر ومقهى واحد على الأقل. إذا وضعنا الحمام في وسط المخطط، ومررنا حوله بعكس اتجاه عقارب الساعة، نحصل على الوضع التالي: شرق الحمام فناء يسمى "**فناء الحمام**"، شماله هناك منزل وثلاثة متاجر للسيد عوض بسط. شمالها ثلاثة متاجر للسيد عبد الرؤوف التاجي اشتراها عبد الرحمن الكاي التاجي. إلى الشمال منهم متجر الحاج محمود الفار، غرب المتجر كان فرن الحمام، وإلى الجنوب منه متجر صالح التاجي. في مكان ما يجب أيضًا أن نجد مساحة لإقامة المقهى الذي يقع فناؤه بالقرب من متجر الحاج محمود الفار (الشكل 8).

الطبيب من عائلة ماجرو زار حلقة الذكر، ترك انطباعه عن إحدى الأمسيات في مقهى كان أيضًا في المدينة القديمة. من المحتمل أن يكون هذا هو نفس المقهى القائم بالقرب من الحمام. في وصف تلك الأمسية كتب ماجرو:

"[...] قال لي محمد الحلاق وابتسامة على وجهه: "اليوم سترون الكراكوز. لم يمض وقت طويل قبل أن يظهر الرجل من خلف ستارة قماش. كان سمع صوت صفرة رقيقة. ارتفعت دميتان فوق الستارة وبدأتا تتمايلان. الدمى لا تعيش في سلام، تشاجرت الواحدة مع الثانية. وكانت إحدى الدمى ترتدي زي الجندي التركي "أون-باشا" وطربوش على رأسها. والدمية الأخرى كانت زنجي صغير. كان الجندي التركي غاضبًا من الزنجي وبدأ بضربه. تعرض الزنجي للضرب بصبر شديد وبكى. ولكن في النهاية تعافى الزنجي وهزم خصمه. أخرج الزنجي من يده عصا وبدأ بضرب "أون باشا" بضربات قاتلة. تحمّس الحشد وبدأوا يهتفون للزنجي، وعندما أصيب رأس الجندي بجروح بالغة، انفجر الحشد الغاضب بالتصفيق والتشجيع. كان الجميع سعداء بانتصار الزنجي على الجندي".

المدينة الحديثة

الشارعان الرئيسيان في المدينة الحديثة هما الشارعان اللذان يحدان المدينة القديمة من الغرب: أحدهما شارع الملك فيصل والآخر شارع صلاح الدين (أنظر الشكل 1). بدأ شارع الملك فيصل في الجزء الشمالي من مبنى خان شيدته عائلة كرزون، واستمر بجانب السوق البلدي ومبنى البلدية واتجه جنوبا حتى التقى بالشارع الرئيسي المؤدي إلى الرملة. في نهاية الشارع في الجهة الشرقية اندمج مع الشارع المؤدي إلى بن شيمن والذي أطلق عليه اسم شارع الحي الشرقي. كان هذا الشارع، ولا يزال، عريضًا يحتوي على مسارين مع فسحة واسعة فيها أشجار دائمة الخضرة تفصل بينهما. على طول الشارع أرصفة مبلطة. على محور شارع فيصل كانت، وما يزال من الممكن رؤية، بقايا دوّارين رئيسيين: أحدهما عند نقطة الاتصال بين الشارع الذي يخرج من المدينة القديمة إلى الغرب وشارع فيصل. هنا عند نقطة الالتقاء بين المدينة المزدحمة والمخطط الواسع للمدينة الجديدة، أقيمت بناية البلدية، وأمامها تم تطوير دوار وضمّ مقاهٍ ومتاجر مختلفة، بما في ذلك مقهى حمزة حميدو، صيدلية نوري قريش، أمام بناية البلدية، أول صيدلية افتتحت في المدينة؛ صيدلية يملكها السيد فهمي النحاس كانت أيضًا

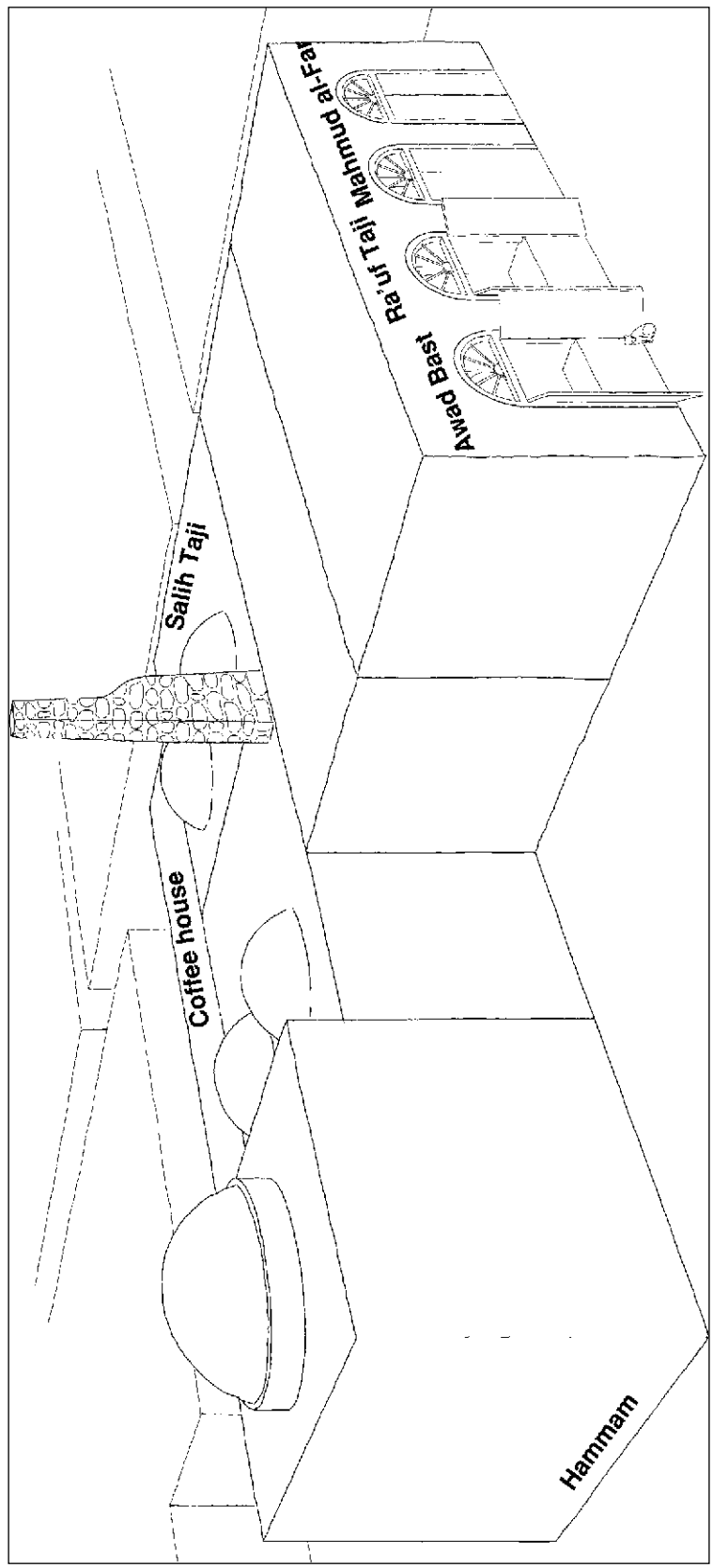

الشكل 8. رسم تصويري لمنطقة الحمام.

بجانب بناية البلدية. اليوم، يتم استخدام مبنى البلدية ومكتب البريد أيضًا للتجارة، وما زالت بنايات عديدة من فترة الانتداب قائمة في الدوار.

الدوار الثاني، تطور في الطرف الشمالي من شارع فيصل، حيث تقع اليوم محطة الحافلات المركزية في المدينة. هناك خان كرزون، وبجانبه نادي الثقافة والرياضة البلدي الذي تأسس عام 1942 من قبل عدد من المثقفين من المدينة، ومنهم إبراهيم إسماعيل هارون، علي حافظ الفار، عودة الحبش وصليبا ساسا. النادي الذي كان مقره في مبنى باطا المقابل لخان كرزون، يضم مكتبة أدارها مصطفى محمد الفار، وتابعة له مجموعة من الكشافة بقيادة حسين حسن الهنيدي. وعلى نفس المحور تم افتتاح عيادة عام 1945 لأحد أطباء المدينة، الدكتور مصطفى الزحلان. اختار الدكتور الزحلان إقامة عيادته في بناية تعود ملكيتها للسيد أحمد الحاج ياسين. وكانت عيادة أخرى في نفس الشارع في بناية روبين الهندي مقابل بيت القمقامية. استضافت هذه العيادة وفد الهلال الأحمر المصري خلال عام 1948، وانضم إلى الفريق الذي عمل في العيادة تحت إشراف الدكتور سامي خوري. على هذا المحور وليس بعيدًا عن بناية البلدية، كان هناك أيضًا مصبغة يملكها السيد جبريل صبح. في شارع فيصل كان هناك مصنع كازوز يملكه مهتدي وسحويل.

شطر شارع صلاح الدين المدينة من الشمال إلى الجنوب، ووصل إلى المطار، ومر في شمال المدينة فوق جسر الظاهر بيبرس (الذي يعرف أيضًا بجسر جنداس)، وامتد جنوبًا حتى وصل إلى الشارع المؤدي إلى الرملة، وهناك التقى مع شارع الملك فيصل. ويطلق على هذا الشارع اسم شارع صلاح الدين، نسبة إلى القائد الأيوبي الذي حرر بلاد المسلمين من الصليبيين. في هذا الشارع كانت مدرسة خاصة تسمى "**المدرسة الصلاحية**"، وأمامها عيادة متخصصة لمضاعفات الحمل، الولادة وأمراض العيون. في نفس الشارع، كانت عيادة في غرفة فوق مسجد دهمش، جلس فيها الدكتور سعيد يوسف الحاج. ليس بعيدًا من هناك، على محور شارع صلاح الدين، كانت عيادة عيون يعمل فيها الطبيب إبراهيم الجبجي من مدينة الرملة. كما كان على هذا المحور مصبغة لعائلة الصالحي، ومقهى "**كوشا**" وبجانبه محددة هارون. أيضًا في الجزء الشمالي من شارع صلاح الدين، بالقرب من بئر ماء مركزي يسمى بئر الوسطى، كان مسلخ وسوق ماشية يعمل أسبوعيًا بين ظهر يوم الأحد وبين مساء يوم الإثنين. توافد التجار والمتسوقون على السوق من البلدات والقرى التي تحيط بالمدينة، والتي كان يخدمها عدد قليل من الخانات، باستثناء الخان الذي لا يزال قائمًا في وسط المدينة القديمة، خان الحلو. كان أحد هذه الخانات ملاصقًا من الجنوب لسوق الماشية، وكان يسمى "**خان السبت**".

كجزء من نفس حلقة الشوارع المحيطة بالبلدة القديمة، كان هناك أيضًا الشارع الذي شطرَ المدينة من الشرق، شارع الحي الشرقي، شارع الحشمونئيم اليوم. إلى الجنوب من هذا الشارع كان بيدر المدينة، وبعد ذلك تم بناء مدرستين في هذه المنطقة، واحدة للبنين والأخرى للبنات.

يمكن رؤية البيدر في الصورة الجوية، والتعرف عليه بسهولة، بسبب الدوائر المتبقية بعد عملية الدرس الدائري. أحضر مزارعو المدينة ناتجهم إلى البيدر، وقاموا بتكديسه في أكوام صغيرة تسمى أغمار (مفردها غمر)، ونشروه في دوائر ودرسوهاباستخدام لوح الدراس. كان في أسفل لوح الدراس أسنان حديدية ثابتة أو حجارة صوّان، ربطه المزارع بحزام بالدابة، ويقف عليه ليراقب عملية الدرس، ويبدأ بالدوران فوقها. بعد الدرس، كانت هناك عملية التذرية بالمذراة، يتم فيها رفع القش المدروس في الهواء ليتم فصل الحبوب عن سواها من قش وغيره.

كما ذكرنا، أقيمت في منطقة البيدر مدرسة للبنين، المدرسة الأميرية للبنين، وتطل على الطريق التي تشطر المدينة باتجاه مستوطنة بن شيمن. تم بناء هذه المدرسة في نهاية الحكم العثماني، وكان فيها خمسة صفوف. خلال فترة الانتداب، تم توسيع المدرسة وأصبحت مدرسة ثانوية. من بين مواضيع التعليم في المدرسة كان موضوع الزراعة خُصّص له على بضع الدونمات بالقرب من المدرسة. كما كانت في المدرسة ورشة للفن والرسم والحرف اليدوية، أشرف عليها المعلم داود زلطيمو الذي قام بتعليم إسماعيل شموط من أشهر الرسامين الفلسطينيين. كما

تضمن مجمع المدرسة منازل سكنية للطلاب القادمين من القرى القريبة من المدينة. تم إنشاء منازل التلاميذ في عام 1922. بجوار مدرسة الأولاد كانت أيضًا مدرسة ابتدائية للبنات، والتي أصبحت فيما بعد مصنع سجائر دوبك.

تمكن المصور الذي ارتفع في السحاب ذلك الصباح من عام 1936 من التقاط صورة لمدينة في مراحل توسعها خارج النواة القديمة باتجاه الحقول التي تحيط بها. هذه مدينة مرت الحرب العالمية الأولى، وما زال سكانها يلمون جراحهم وهم يعتادون على الحكم البريطاني الذي حل محل الحكم العثماني، وفي عام 1927 ضربها زلزال، وترك بصماته على التصوير الفوتوغرافي بعد عقد من حدوثه. من ارتفاع الطائرة العالي، من الصعب رؤية الأشخاص على الأرض، ولكن يمكن أن نشير إلى الشوارع الرئيسية، الدوارات والمباني الرئيسية. إلى جانب هذا الرأي العام، من الممكن، غالبًا ليس باختيار متعمد، التركيز على بعض المباني التي ترك الشخص الموجود في الشارع دليلًا عليها، أو تم الكشف عن بقاياها أثناء التنقيب. وهكذا، كلما ازدادت المصادر، سوف تصبح الصورة أكثر وضوحًا.

المشروع التربوي الأثري - التعايش المشترك في اللد

دانيال وينبرچر، سلطة الآثار
ترجمة هناء عبود، سلطة الآثار

معروف أن بلاد الهلال الخصيب غنية بالمواقع التاريخية والأثرية، وكانت محط أنظار العلماء، وأرض خصبة للتنقيب الأثري. وصل إليها الكثير من علماء الآثار، الباحثين والمغامرين، منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، جذبتهم قصص الأجداد وقصص الكتب المقدسة. إهتم علماء الآثار في المواقع الأثرية الرئيسية المنتشرة من جنوب مصر وصولًا إلى فلسطين، لبنان، سوريا والعراق. كانت منطقة الهلال الخصيب والشرق الأوسط تحت سيطرة وحكم الامبراطورية العثمانية (منذ عام 1517 وحتى 1917 م)، وعاصمتها مدينة القسطنطينية المعروفة اليوم بإسطنبول. بعد نهاية الحرب العالمية الأولى (عام 1918)، وانهيار النظام العالمي القديم تم إنشاء نظام عالمي جديد، وأصبحت المنطقة تحت سيادة فرنسا وبريطانيا، ومنطقتنا فلسطين وشرق الأردن رضخت تحت الانتداب البريطاني. تميزت أيام الانتداب بالتطور المتسارع للبنية التحتية وشملت: شق الشوارع، بناء سكك حديدية، مواني‌ء مثل ميناء حيفا وغيرها. كذلك شرع الانتداب البريطاني بسن الأنظمة والقوانين في شتى مجالات الحياة، ومنها قانون الآثار (عام 1920). استند قانون الآثار الجديد على القانون العثماني (عام 1869)، الذي تم تعديله مرات عديدة، آخرها عام 1906. كان الهدف الرئيسي من قانون الآثار العثماني، حماية المواقع الأثرية من السرقة والتنقيبات الأثرية غير الشرعية في جميع أنحاء الامبراطورية. في عام 1920 وافق المندوب السامي على إنشاء دائرة آثار في فلسطين، وكانت تحت سلطة دائرة الأشغال العامة. منذ ذلك الحين، تميزت معظم التنقيبات التي جَرت في البلاد بنوعين رئيسيين من التنقيبات: إنقاذ وأكاديمية. كان هدف تنقيبات الإنقاذ اكتشاف وتوثيق المواقع الأثرية في المناطق والأماكن الراضخة للتطوير. نظرًا لأن بعض المناطق المخصصة للتطوير تقع ضمن موقع أثري، يُلزم القانون الدولة أو مالك الأرض بالحرص أو تقليل الأضرار والحفاظ على الآثار من أسنان الجرافات وأضرار مشاريع التطوير. أما التنقيب الأكاديمي، فهدفه البحث العلمي، وتطوير الأبحاث الأكاديمية. جدير بالذكر أن التنقيبات الأكاديمية تكون في مواقع أثرية غير معرضة للخطر والتدمير. بالإضافة لهذين النوعين من التنقيبات، تطور في الآونة الأخيرة نوع جديد من التنقيبات الأثرية، ألا وهو التنقيبات الجماهرية التعليمية. لطالما أثار علم الآثار والاكتشافات الأثرية فضول الكثيرين من مختلف شرائح المجتمع. يبدو أن الجمهور لم يبق غير مبالٍ بنتائج التنقيبات ونشر الأبحاث المتعلقة بالاكتشافات الأثرية في البلاد والعالم. تمت في السنوات الأخيرة، إضافة العديد من المشاريع المجتمعية إلى مشهد التنقيبات التي تشرك الجماهير، وتتيح الفرصة لمشاركة المواطنين والطلاب في اكتشاف ماضيهم، والتواصل مع التراث الثقافي وكتابة تاريخ البلاد.

ستستعرض هذه المقالة أحد المشاريع التي تستخدم صندوق الأدوات الأثرية لربط المجتمعات بماضيها. تم تنفيذ مشروع اللد التعليمي المعروف باسم **"التعايش المشترك"** بشكل مكثف على مدى ثلاث سنوات (2016 – 2018).

ابتدأ المشروع بعد توصّل بلدية اللد وسلطة الآثار لوجود حاجة ملحّة لتقريب سكان مدينة اللد إلى ماضيها وتاريخها العريق من خلال إشراكهم بالتنقيبات داخل المواقع الأثرية العديدة المنتشرة بجميع أنحاء المدينة.

العديد من هذه المواقع تعاني من الإهمال، والهدم الناتج من عدم معرفة الجمهور بقيمتها التاريخية والسياحية. يشارك في مشروع التربوي الأثري طلاب من الصف الرابع حتى الصف التاسع من مدارس يهودية وعربية. يشارك الطلاب العرب واليهود معًا في مجموعات مختلطة حيث يكسرون الحواجز الموجودة بينهم، مما يؤدي الى تعايش مشترك مبني على الاحترام وحبّ البلد. ضمن برنامج سنوي ممنهج، يتعرف التلاميذ على مواقع أثرية في المدينة، ويشاركوا في أعمال التنقيب. ساهم هذا المشروع بشكل كبير في إزالة الحواجز، وعزز التقارب اليهودي والعربي في اللد.

مدينة اللد

تقع مدينة اللد في أواسط البلاد، على بعد حوالي 9 كم شرق تل أبيب، ويبلغ عدد سكانها حوالي 81,000 نسمة. اللد مدينة مختلطة يقطنها العرب واليهود جنبًا إلى جنب. قدم إلى المدينة في سنوات التسعين من القرن الماضي سكان جدد، حوالي 33٪ منهم مهاجرين من الكتلة السوفياتية التي تفككت. اسم اللد لدى المواطنين مرادف لمدينة ابتليت بالجريمة، المخدرات والدعاية السلبية. تتعامل البلدية والشرطة مع قضايا الجريمة، تجارة المخدرات، العنف، القتل والعلاقات المتوترة بين مختلف السكان الذين يعيشون في المدينة. يلاحظ الزائر الذي يتجول في المدينة الإهمال، الوضع الاجتماعي والاقتصادي الصعب لسكانها. وصلت العلاقات في السنوات الأخيرة، ما بين سكان المدينة العرب واليهود إلى مستوى عالٍ من العداء والشكّ. ارتفع مستوى التوتر في المدينة، وكل جانب يعتبر الآخر مسؤولًا عن تدهور العلاقات العامة وعن مستوى الأمن الشخصي للمواطن. على عكس وضعها الحالي، تعتبر اللد واحدة من أقدم المدن في البلاد. تم إعلان أجزاء واسعة من المدينة كمواقع أثرية، والمدينة مرصعة بآثار الماضي في كل مكان. أهم ما يميز المدينة هو فسيفساء اللد المكتشف في فيلا من الفترة الرومانية، والتي تعتبر من أكثر أرضيات الفسيفساء اكتمالاً وجمالاً من بين التي تم اكتشافها في البلاد (الشكلين 1–2). تعمل العديد من المنظمات والمؤسسات في المدينة من أجل تمكين سكان المدينة ووضع المدينة في المسار الصحيح.

عندما بدأنا النشاط، كان من الواضح لنا بأننا لن ننجح بدون العثور على شركاء نشطين يرغبون في استثمار طاقتهم في المشروع التربوي الأثري. جنبًا إلى جنب مع شركاء جيّدين، ودعم من بلدية اللد وسكانها نجح مشروعنا. كان لدينا في الواقع امتياز العمل مع كل من البلدية المهتمة بهذا النشاط، وشركاء يعرفون واجبهم

الشكل 1. فسيفساء الڤيلا في مكانه الأصلي (تصوير: متحدثة بلدية اللد).

الشكل 2. مركز الزوار ومتحف الفسيفساء في اللد (تصوير: ينيف بيرمن، سلطة الآثار).

ومستعدين لقضاء أيام وليال من أجل إنجاح هذا النشاط. مع تصميم الشركاء، تم نقش رؤية واحدة واضحة ومتفق عليها على رايتنا: التمكين الشخصي من خلال لقاء بين الثقافات المختلفة ولقاء شخصي بين طلاب المدينة العرب واليهود.

أهداف المشروع:

1. تفكيك الحواجز بين سكان المدينة العرب واليهود.
2. تعارف وأُلفة بين المشاركين في المشروع وارتباطهم بماضي المدينة العريق المتعدد الثقافات.
3. الحفاظ على المواقع الأثرية في المدينة.

تم اختيار اسم للمشروع يشير إلى الهدف الشامل لهذا النشاط "التعايش المشترك".

شركاء المشروع

بلدية اللد، مؤسسة مورنينج ستار (Morning star Foundation)، مؤسسة تتبرع لمشاريع تعليمية، جمعية ممكن بشكل آخر (A new way Foundation) وسلطة الآثار.

المشاركون في النشاط السنويّ، ثمانية مدارس، أربع مدارس يهودية وأربع مدارس عربية. شارك بكل عام 16 صف من طبقة الرابع تتراوح أعمارهم ما بين 9–10 سنوات، حوالي 300–350 تلميذ وتلميذة.

البرنامج التعليمي، عبارة عن برنامج سنوي يجمع بين علم الآثار ودراسات التمكين:

- دراسات في علم الآثار مع التركيز على تاريخ اللد في الفترات المختلفة بدءًا من عصور ما قبل التاريخ، الفترة التوراتية، الفترة الرومانية والفترات الإسلامية والصليبية.
- **"الآخر هو أنا"** - برنامج تقوده جمعية **"ممكن بشكل آخر"**، اجتماعات مشتركة بين الطلاب العرب واليهود، يتعلم فيها الطلاب معرفة الآخر والمختلف، يكسرون الحواجز ويكتشفون ما هو مشترك بينهم.

• التنقيب الأثري - يومين من التنقيب الأثري المشترك يجمع التلاميذ العرب واليهود، حيث يأتي كل يوم صفين من مدرسة يهودية وصفين من مدرسة عربية للعمل جنبًا إلى جنب، في الموقع الأثري القريب من فسيفساء اللد (الأشكال 3–4).

الشكل 3. الطلاب خلال أعمال التنقيب في الموقع الأثري باللد.

الشكل 4. الطلاب خلال أعمال التنقيب في الموقع الأثري باللد.

حفز النشاط في المشروع، التعاون لعدة سنوات مع مدارس من المدينة، إذ كان نشاط سلطة الآثار معروفًا ومألوفًا لكل أصحاب المصالح، إضافة إلى المربين والمجتمعات المختلفة التي تعيش في المدينة. تعزز نشاطنا في عام 2016 عند دمج مجموعة جديدة من الشركاء، حيث جلبت مضامين وميزانيات إضافية إلى المشروع التي مكنتنا من تعميق النشاط وزيادة عدد ساعات النشاط وعدد التلاميذ. تم تشغيل برنامج مماثل في المدينة بسنوات سبقت نشاط سلطة الآثار، وذلك من قبل المعهد الإسرائيلي للآثار، برئاسة الدكتور ألون شافيت. في بداية مشروعنا، كان واضحًا لنا أن علم الآثار سيكون بمثابة "**صندوق أدوات**" يمكن للطلاب من خلاله تعلم محتويات تتعلق بالهوية، التسامح واحترام الآخر، الحفاظ على آثار البلاد وتراثها متعدد الثقافات. تضمن البرنامج التعليمي لقاءات طلابية بإرشاد مختصين من سلطة الآثار وفريق علماء آثار، ولقاءات مع فريق جمعية "**ممكن بشكل آخر**" - وهي جمعية تعمل بجد من أجل التقارب بين الجماهير العربية واليهودية، ولنهج حياة جديد شعاره التسامح والتعاون بين مختلف القطاعات. نقشت الجمعية على رايتها مبدأ العيش المشترك.

رؤية جمعية "**ممكن بشكل آخر**": تعمل كقوة موحدة. "من خلال فعالياتنا، نحاول تحدي رؤيتنا المتمثلة في تمكين التغيير، من خلال خلق لقاء شخصي ومباشر بين الناس أنفسهم، الحد من المخاوف، التحيّزات، العزلة، الشك والعداء للخلافات الموجودة في العلاقات اليهودية العربية واستبدالها بالتسامح، التفاهم، الثقة، الاحترام والالتزام العميق بشراكة متعددة الثقافات بين العرب واليهود".

تضمَّن البرنامج التعليمي لقاءات تمحورت حول الدراسات الأثرية، ولقاءات مع طاقم من جمعية "ممكن بشكل آخر"، ودراسات مشتركة في المعرفة. ينقسم التلاميذ إلى أزواج، ويتعلم طلاب المدارس اليهودية والعربية معًا، ويلتقي الطلاب في المدرسة والمواقع. قمة العملية التربوية والتعليمية المشاركة بتنقيبات أثرية مشتركة لمدة يومين، يلتقي خلالها الطلاب في الحفريات الأثرية، وينقسمون إلى فرق مشتركة ويعملون معًا في الموقع الأثري (الأشكال 5–6). الموقع الذي تم اختياره هو فسيفساء اللد، حيث حفرنا في المكان وتمكنّا من الكشف ورؤية بقايا المبنى، بالإضافة إلى اكتشاف فسيفساء جديد في الموقع أثناء أعمال البناء وتجهيز المنطقة لبناء مركز الزوار (أنظر الشكل 2).

يمكن رؤية ماضي مدينة اللد من كل ركن من أركان المدينة، حيث تنتشر آثارها في كل مكان بين مباني المدينة الحديثة. من بين آثارها يمكن للمرء أن يجد جسر اللد يطلق عليه "**جسر بيبرس**" أو "**جسر جنداس**". سُمي الجسر على اسم بيبرس، السلطان المملوكي لمصر وسوريا بين عامي 1260 و1277 م. تم بناء الجسر عام 1273، على طريق البريد المملوكي الذي يربط بين مصر وسوريا.

مدينة اللد، تستضيف الديانات الثلاث: الإسلامية، المسيحية واليهودية، ويمكن العثور على رموزها الدينية جنبًا إلى جنب. تقع كنيسة القديس جاورجيوس، قاتل التنين (دير القديس جوارجيوس أو كنيسة مار جريس، كنيسة أورثوذكسية)، في مجمع "**حديقة السلام**" في البلدة القديمة، بالقرب من المسجد العمري وكنيس "**أبواب السماء**".

اكتشف في اللد عام 1996 موقع أثري وفيلا رومانية غنية بالأرضيات الفسيفسائية بالصدفة، خلال أعمال التطوير. فسيفساء اللد، واحدة من أكثر الفسيفساء إثارة للإعجاب، تبلغ مساحتها أكثر من 100 م2 وعمرها حوالي 1,700 عام (أنظر الشكل 1). ربما كانت الفيلا جزءًا من حي سكني لأثرياء اللد في أيام الإمبراطوريتين الرومانية والبيزنطية. في هذه الأيام، بعد فترة طويلة، تم الانتهاء من بناء مركز الزوار الذي تضمن أرضيات الفسيفساء، وموجودات أثرية من مدينة اللد.

الشكل 5. الطلاب خلال أعمال التنقيب في الموقع الأثري باللد.

الشكل 6. الطلاب خلال أعمال التنقيب في الموقع الأثري باللد.

الخلاصة

خلال ثلاث سنوات من النشاط في اللد، التقينا بأكثر من 1,000 تلميذ وتلميذة شاركوا في النشاط التربوي والأثري في المقاعد الدراسية، وفي التنقيب الأثري بجوار موقع فسيفساء اللد. إشتمل النشاط على لقاءات مشتركة بين تلاميذ عرب ويهود، تمحورت حول دراسات أثرية من فترات مختلفة، خلالها تم الكشف عن ماضي المدينة متعدد الثقافات، والهويات المختلفة لسكانها في الماضي والحاضر. كان الهدف الشامل للبرنامج ربط مختلف أطياف سكان المدينة معًا بتاريخ اللد المجيد وزرع بذور التمكين والرغبة في التكاتف واستعادة التاج لمجدها السابق.

أجرت جمعية "**ممكن بشكل آخر**" في عام 2019 استبيانًا بين المشاركين في المشروع، سُئلوا فيه عن المشروع وأهدافه. فيما يلي بعض نتائج الاستطلاع الذي شارك فيه 251 تلميذ يهودي وعربي من 12 صف رابع، 78٪ من المشاركين في المشروع (الشكلين 7–8).

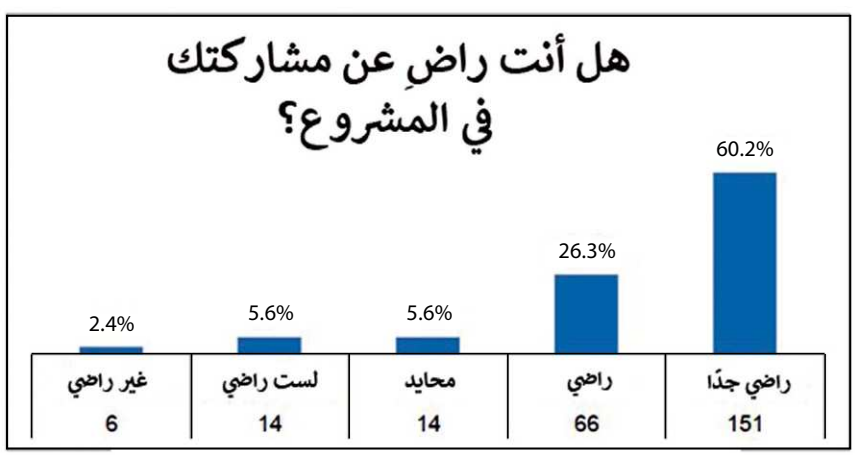

الشكل 7. جدول رأي المشاركين في المشروع.

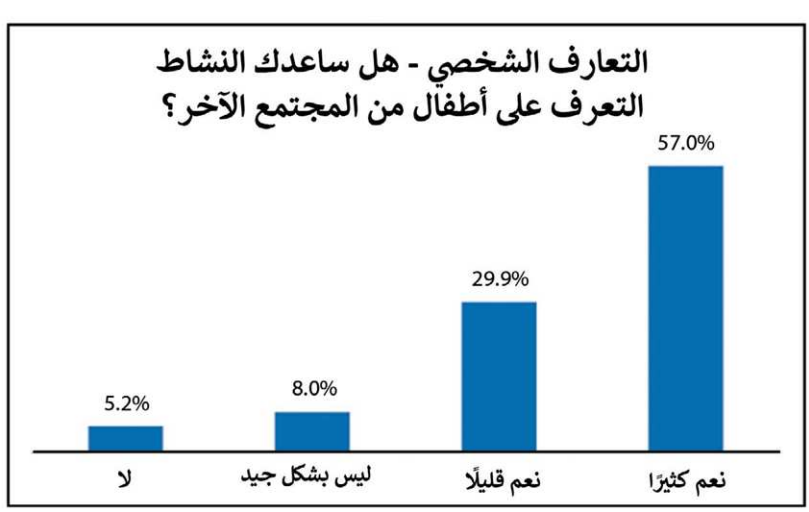

الشكل 8. جدول التعارف الشخصي.

Tel-Hai College
الكلية الأكاديمية تل-حاي

سلطة الآثار
ISRAEL ANTIQUITIES AUTHORITY

Cornerstone

Journal of Archaeological Sites

Volume 9 • June 2022

Lod

Cornerstone
Journal of Archaeological Sites

Editor: Walid Atrash

Arabic Editor: Shukri ʻArraf

English Editor: Rachel Kudish-Vashdi

Editorial Coordinator: Hanaa Aboud

Editorial Board: Hamudi Khalaily
Kamil Sari
Amani Abu Hamid
Rafeh Abu Raya
Omar Zidan
Dror Barshad
Yuval Baruch

Cover Illustrations:
Arabic: Lod, aerial view of the excavation of the Roman villa (Photography: Sky View Company)
English: Lod, the central mosaic in the Roman villa (Photography: Nikki Dudov)

Typist: Ranen Farran

Typesetting, Layout and Production: Hagar Maimon

Printing: Digiprint Zahav Ltd

© 2022, The Israel Antiquities Authority
POB 586, Jerusalem 91004
ISSN 2790-7155

www.antiquities.org.il
hanaa@israntique.org.il

Contents

The City of Lod in Prehistoric Times 1*
Hamoudi Khalaily

Ancient Lod: From the Persian through the Byzantine Period 1*
Joshua Schwartz

The Lod Mosaic Revisited 2*
Amir Gorzalczany

Signs of Marine Distress: The Hardships of the Merchant Ship Depicted in the Lod Mosaic Floor 3*
Elie Haddad

The Polychrome Synopia of the Roman-Period Lod Mosaic: Pigment Characterization and Microstratigraphic Study 3*
Rebecca Piovesan, Lara Maritan and Jacqes Neguer

The Establishment of the Shelby White and Leon Levy Lod Mosaic Archaeological Center 4*
Ra'anan Kislev

The Roman-Period Coinage of Lod (Diospolis) 5*
Yoav Farhi

Lod/Lydda on the Madaba Map 5*
Walid Atrash and Gabriel Mazor

Did the Foundation of Ramla Mark the Downfall of Lod? The Tale of the Two Cities in the Archaeological Records 6*
Hagit Torgë

Lod in the Crusader Period 7*
Rabei Khamissa

The Population of the Mamluk- and Ottoman-Period Village of Jindâs and Their Burial Customs Following an Excavation in Its Cemetery 7*
Vered Eshed, Ron Toueg and Shahar Krispin

Everyday Life in Lod in the Late Ottoman Period In Light of the Archaeological Excavations in the Old City 8*
Eriola Jakoel, Omri Danziger, Shahar Krispin and Tawfik Deadlee

Olive-Oil Soap Production in the Ottoman Period: Methods, Sites and Innovations 8*
Yoav Arbel

Lod: Friday Morning, June 26, 1936 9*
Taufik Deadlee

Educational Archaeological Project: Living Together in Lod 9*
Daniel Weinberger

The City of Lod in Prehistoric Times

Hamoudi Khalaily, Israel Antiquities Authority

Since Kaplan's pioneer excavations in Lod in the early 1950s, more than nine salvage excavations were undertaken in the area, mainly to the north of Tel Lod. The various excavations at the site revealed a continuous prehistoric occupation, dating from the beginning of the Pottery Neolithic period up to the Early Bronze Age (the ninth to the fourth millennia BP).

A significant part of the Neolithic settlement of Lod was revealed in the excavations carried out by Gopher and Rosenberg (1992), Brink (1995), Yannai and Badhi (1996), and the large-scale excavation by Yannai and Marder in the 2000s, identifying the city's significant material culture.

Ancient Lod: From the Persian through the Byzantine Period

Joshua Schwartz, Bar-Ilan University

This paper summarizes the historical and archaeological sources pertaining to Lod, offering a reconstruction of the ancient landscape and events that took place in the city during a long period of over a millennium, from the Persian period to the Muslim conquest. It is stressed that in many cases the archaeological evidence is scarce. The Lod Generation of Jewish rabbinic sages marks the glory days of the city that served as the center of Jewish life in the period between the Great Revolt and the Bar-Kokhba Revolt (70–135 CE). During that time, many sages lived and worked in the city and in its vicinity; various rabbinic discussions echo their scholarly, religious and spiritual world. Many references to the rabbinic literature are included, shedding light on everyday life, as well as to the shape and form of the city. Other Byzantine-period Christian and Jewish sources relating to the history of Lod are mentioned and discussed as well.

The Lod Mosaic Revisited

Amir Gorzalczany, Israel Antiquities Authority

The Lod mosaic was first exposed in 1996 by the late Miriam Avisar in a routine archaeological inspection of infrastructure works on He-Ḥaluẓ Street. Following its discovery, it was decided to build a museum on-site, and the author was appointed by the IAA to head further excavations prior to its construction. During this time, the mosaic had been carefully removed and sent abroad on a tour around some of the world's most renown museums, including the Altes Museum, Berlin, the Metropolitan Museum of Art, New York, the State Hermitage Museum, St. Petersburg, and the Louvre Museum, Paris. Few Israeli archaeological exhibitions received such outstanding international attention. This paper presents the luxurious villa that existed at Lod during the Late Roman period (third–fourth centuries CE) and housed this spectacular mosaic floor in its lounge, as well as another impressive mosaic pavement that was unearthed in a peristyle courtyard to its south.

The finds testify to the wealth of the residents of this urban villa, attested by the superb quality of the mosaics, made in accordance with the finest standards and combining rare and precious raw materials. The study of the mosaics led to important conclusions regarding the techniques employed in their making and the artistic schools that inspired the artisans. It is concluded that the villa was part of an affluent domestic quarter during the Late Roman period. Other finds uncovered in the excavations range in date from the Second Temple period to the twentieth century CE.

Signs of Marine Distress: The Hardships of the Merchant Ship Depicted in the Lod Mosaic Floor

Elie Haddad, Israel Antiquities Authority

One of the most beautiful mosaic floors ever found in Israel was uncovered in a salvage excavation conducted in Lod in April 1996 by Miriam Avissar, on behalf of the Israel Antiquities Authority. The floor was part of a Roman-period villa, *domus urbana*, dated from the end of the third to the beginning of the fourth century CE. This paper focuses on the southern panel in the northern part of the mosaic, depicting a unique scene of two merchant ships sailing in the open sea, surrounded by fish, a dolphin and seashells. Unfortunately, the panel—which attracted much attention by archaeologists and marine biologists—was damaged by an Ottoman-period cesspit dug in the center of the deck of one of the merchant ships, leaving only scarce clues as to the ship's original appearance.

This paper offers a reconstruction of the damaged ship based on the assumption that it was similar to the other, slightly larger, surviving merchant ship, and excavation finds. It is believed that the artist, or the villa's owner, intended to convey a certain message, i.e., that the ship survived a marine trauma that put it at risk of drowning.

The Polychrome Synopia of the Roman-Period Lod Mosaic: Pigment Characterization and Microstratigraphic Study

Rebecca Piovesan and Lara Maritan, Department of Geosciences, University of Padova
Jacqes Neguer, Israel Antiquities Authority

This paper presents the results of an archaeometric study of the pigments and painting techniques used to produce the polychrome synopia found under the tesserae of the Roman-period mosaic at Lod. The red, yellow, green and black paints preserved on the *sovranucleus* of the mortar preparation layer beneath the mosaic were analyzed by polarized light microscopy on disperse pigments (PLM), reflected light microscopy (RLM), scanning electron microscopy (SEM) and X-ray powder diffraction. The palette comprises red and yellow ochre, cinnabar, green earth and carbon black. The microstratigraphic analysis shows the presence of a carbonation layer including the pigment particles on top of the mortars, indicating that the pigments were laid on fresh mortar, in accordance with the fresco technique.

The Establishment of the Shelby White and Leon Levy Lod Mosaic Archaeological Center

Raʿanan Kislev, Israel Antiquities Authority

In 1996, a Roman-period villa was uncovered during a salvage excavation carried out on behalf of the Israel Antiquities Authority in the city of Lod, revealing one of the most beautiful mosaic floors ever discovered in the country. This unique and beautiful mosaic floor raised questions as to whether and how to present the complex to the general public. The center was established following three planning stages: the first, in 1996–1997, after completing the salvage excavation; the second, between 2009 and 2015, following the re-exposing of the mosaic floors and the expansion of the excavation area; and the third, between 2016 and 2021, after resolving issues of land ownership and awarding the project management to the Lod Economic Company.

Throughout the project phases we maintained a clear design in agreement with conservation principles, leaving an open public space. All the mosaic floors, including the main unique one, were restored *in situ*. The main hall houses a display of the small finds discovered in the villa, accompanied by interactive activities operated by high-end technologies, offering a dynamic touristic experience. Also, the city's residents took part in the planning of the visitors' center and the development of the public areas around it, promoting local pride.

At the end of 2017, the ceremony of laying the cornerstone for the center was held in the presence of the donor, Shelby White; Yair Revivo, Mayor of Lod; and Israel Hasson, then Director of the Israel Antiquities Authority. The construction of the building began in mid-2018, and by the end of 2020, the main mosaic had returned to its original place and the building of the center was completed and opened to the general public.

The Roman-Period Coinage of Lod (Diospolis)

Yoav Farhi, Ben-Gurion University of the Negev

This paper examines the development of coin minting in Lod-Diospolis in its heyday during the Roman and Byzantine periods, beginning in the third century CE, when Lod was a medium-sized city but important due to its economic prosperity. Minting coins in a Roman polis was a status symbol and a recognition of the city's importance. In Lod, however, minting began late compared to other contemporary Roman Poleis.

Over 100 coins originating in Lod were studied, including their attributes, dispersal and iconographic elements—gods, rulers and buildings—as well as their inscriptions. This study set out to understand the economic, political and cultural relationship between Lod and its surrounding area, and with the larger Roman Empire, yielding invaluable insights regarding the city and its geopolitical standing in the region.

Lod/Lydda on the Madaba Map

Walid Atrash and Gabriel Mazor, Israel Antiquities Authority

In the Late Roman period, Lod was inhabited by a small Christian community that became a majority in the fifth–sixth centuries CE. In the early Byzantine period, the city's bishop, Aetius, attended the Nicaea council (325 CE), an act that symbolized the importance of Lod in the Christian Holy Land. According to Theodosius the Pilgrim, Lod was associated with the cult of St. George from 530 CE, and the saint was mentioned in the journey of Anthony, describing the Church of St. George and the miracles he had performed. During the Persian invasion of 614 CE, rumors spread out that a treasure was hidden under the Church of St. George, which may have been the reason for its destruction. St. George is the main church in Lod, located in its center. The city of Lod, Lydda, appears in the Madaba mosaic map. Today, segments of the church walls are incorporated in the modern mosque.

Did the Foundation of Ramla Mark the Downfall of Lod? The Tale of the Two Cities in the Archaeological Records

Hagit Torgë, Israel Antiquities Authority

Very little is known about the history of Lod during the Early Islamic period. According to descriptions of ninth-century CE geographers, Lod was destroyed after the founding of Ramla. However, contrary to the written sources, the archaeological findings point to a completely different story. This paper addresses the relationship between the two cities through the architectural archaeological evidence.

Although only few excavations were carried out in Lod to date, they reveal various aspects of the history of the city throughout the ages. During the Byzantine period, Lod was an important district city and a major religious center. The remains from the Umayyad period indicate that Lod remained a large and spacious city. There is no evidence of a settlement crisis during this period. In the many excavations undertaken in neighboring Ramla, very few yielded remains from the Umayyad period. In the mid-eighth century CE, an earthquake shook the region, after which Ramla was rebuilt, and recovery and reconstruction are also evident in Lod. During the eleventh century CE, Ramla began to decline, marking the city's last days as the district capital. Excavations in Lod did not expose any pottery dated to the eleventh century CE and therefore, it seems that Lod was deserted for a period of almost 100 years until the Crusader conquest.

Lod in the Crusader Period

Rabei Khamissa, Zinman Institute of Archaeology, University of Haifa

Not much is known about the Crusader town of Lod, despite its religious and strategic importance. It is, however, very likely that the Crusader town, and the Byzantine-period settlement before it, developed around the church. In the Roman period, the church was most likely located in a cemetery outside the town. The construction of the nearby city of Ramla in the Early Islamic period extinguished the star of Lydda as the administrative and political center had moved to Ramla.

In 1177, a military division of Saladin's forces attacked the city of Lydda, which prompted some of its residents to retreat to the church and fortify its roof. Saladin conquered the city of Lydda in July 1187 after the Battle of Hattin, and ordered the cathedral to be demolished on September 24, 1191, during the Third Crusade. Some researchers suggested that the demolition of the cathedral was not complete and that its eastern section remained untouched. It is, however, clear that some of the cathedral stone walls were rebuilt in 1273 at the time of the construction of the bridge over the Masrara River at Jindas. No traces of the city's lifestyle and daily life during the Crusader period were preserved in the archaeological records.

The Population of the Mamluk- and Ottoman-Period Village of Jindâs and Their Burial Customs Following an Excavation in Its Cemetery

Vered Eshed, Ron Toueg and Shahar Krispin, Israel Antiquities Authority

The cemetery of the late Mamluk- and early Ottoman-period village of Jindâs (now in the fields of Moshav Ginaton), about one kilometer northeast of Tel Lod, was partially excavated in 2014 on behalf of the Israel Antiquities Authority. The cemetery was dated to the mid-thirteenth–early sixteenth centuries CE based on numismatic and ceramic evidence. The interred were the inhabitants of the village of Jindâs, representing a rural agricultural community.

This paper presents the results of the excavation conducted in the cemetery: the burial practices of the Muslim community and the demographic characteristics of the Mamluk village population.

Everyday Life in Lod in the Late Ottoman Period In Light of the Archaeological Excavations in the Old City

Eriola Jakoel, Omri Danziger and Shahar Krispin, Israel Antiquities Authority
Tawfik Deadlee, The Hebrew University of Jerusalem

Over the past few years, several archaeological excavations were carried out in the el-Hara el-Sharqiya (today, Ramat Eshkol) neighborhood, as well as in Khan el-Hilu and its vicinity, which comprised the nucleus of the Old City of Lod. This paper presents the main findings from Khan el-Hilu, the vicinity of the tomb of Sheikh Muhammad el-Jisr and the Sheikh Nabi Shimon quarter (today's marketplace), ending with the findings from Khan neighborhood and the local Hamam el-Wakf to its south. The study of the architectural remains, and the small finds retrieved from the various buildings and houses, serves as fertile ground for understanding various aspects of the Lodian House in the late Ottoman period (eighteenth–nineteenth centuries CE). The findings allowed for a comprehensive evaluation of aspects, such as architecture, construction methods, household, nutrition, economy, culture and leisure.

Olive-Oil Soap Production in the Ottoman Period: Methods, Sites and Innovations

Yoav Arbel, Israel Antiquities Authority

Soap made of potash and olive oil was first mentioned in sources dated to 985 CE. Later Islamic medieval sources describe soap export to Egypt and other Muslim destinations, from Turkey to Yemen. The popularity of olive-oil soap stemmed from its ritual purity, as opposed to the finer European soap that contained pig fat. Under both Mamluk and Ottoman regimes, olive-oil soap became one of the Holy Land's main manufactured goods, catering to local and foreign markets alike. The primary production centers were Nablus and Jerusalem, yet workshops also operated in Ramla, Lod, Acre, Jaffa, Gaza and Hebron.

Textual sources and archaeological findings shed light on early soap production, especially in Jerusalem. The Mandate-period factories in Lod, Acre and Jaffa, however, remain unknown. The installations used in the soap industry had not changed over time, comprising plastered basins for mixing consolidating materials, a soap-cooking vat, a storage facility for oil-production waste used for furnace stoking, and subterranean storage spaces for oil.

The soap industry developed throughout the Ottoman period, thriving in a land notorious for its hygienic deficiencies. Modernization, natural processes and violent conflicts in the area resulted in the elimination of this once booming local industry. Today, the soap industry is survived by two workshops located in Nablus.

Lod: Friday Morning, June 26, 1936

Taufik Deadlee, The Hebrew University of Jerusalem

This paper analyzes a single frozen moment in time, on Friday morning, June 26, 1936, as captured in an aerial photograph taken from a British airplane. The paper traces the different elements in the photograph—buildings, streets and monuments—piecing them together with historical and archaeological evidence. This will enable a reconstruction of aspects of everyday life, culture, trade and religion, which altered and nearly ceased to exist almost a decade later.

Educational Archaeological Project: Living Together in Lod

Daniel Weinberger, Israel Antiquities Authority

Between 2015 and 2018, a community project was initiated in the city of Lod, on behalf of the Morning Star Foundation, the Municipality of Lod, the "A New Way" Association and the Educational Center of the Israel Antiquities Authority (Central District). The aim of the project was to bring Lod schoolchildren closer to their multicultural heritage, promoting a dialogue and deepening personal connections between the different populations residing in the city.

The program involved pairs of schools, one Jewish and one Arab, that met together several times throughout the school year, taking part in various activities. These meetings also included participation in joint archeological excavations in the area of ancient Lod. The archaeological project served as a meeting point and a basis for getting to know each other, deepening ties, breaking down barriers and working together to uncover the city's common past, and building bridges for a better future for the diverse communities in the city. Some 900 third- to fifth-grade students from a variety of schools took part in these activities.

Cornerstone

Journal of Archaeological and Heritage Sites

Volume 9 June 2022

الكلية الأكاديمية تل-حاي
Tel-Hai College

سلطة الآثار
ISRAEL ANTIQUITIES AUTHORITY